الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية-قسنطينة

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم التاريخ

رقم التسلسل.....

رقم التسجيل.....

السلطة والمجتمع في الجزائر أواخر العهد العثماني

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ العثماني

إعداد الطالبة: لطرش حنان

لجنة المناقشة	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية
الرئيس	قشي فاطمة الزهراء	أستاذة التعليم العالي	الإخوة منتوري
المقرر	عميراوي احميدة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر
المناقش	عمارة علاوة	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر
المناقش	هلايلي صيفي	أستاذ محاضر	جامعة سيدي بلعباس

السنة الجامعية: 2006/2005م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

توقشت يوم: .....

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإهداء

جميل أن يكون الشخص على عتبة التتويج والأجمل أن يجد حوله أشخاص يشاركون فرحته أهدي ثمرة جهدي

- إلى من أنارت بوجودها درب حياتي، إلى التي كانت دعواتها النور الذي أستبين وأهتدي به، إلى أطيب قلب في الوجود

إلى أمي الغالية

- إلى من علمني المبادئ ومكارم الأخلاق، إلى من لقنني العزيمة والثقة بالنفس، إلى من دفعني إلى صعود سلم الحياة

إليك أبي العزيز

- إلى من قال لي يوما سلاح المرأة علمها عمي مسعود
- إلى من وقفوا دوما إلى جانبي بكل حب إخوتي وأخواتي سمير،أحمد،حسين،خالد،نصر الدين،سماح،حبيبة،رزان،ليلى،نسرين،سميرة.
- إلى جدي وجدتي وكل العائلة.
- إلى رفيق الدرب والعمر رابح بودخان.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الشـــــكر والتـــقـــدير

بعون الله وقدرته، استطعنا أن نتم هذه الرسالة، والتي كانت ثمرة مجهوداتنا الدراسيه طوال السنوات الماضية.

فالحمد لله العلي القدير على نعمته وفضله الكبير، ولا يسعنا في هذا المقام الكريم، إلاّ أن ننوه بالشكر الجزيل وكل الإحترام والتقدير إلى من ساهم في نجاحي وكانوا لي سندا وأنا في أول البحث وأخص بالذكر الأستاذ *عميراوي احميدة* الذي شرفني بتأطيره السديد وأشكره على المساعدة والتوجيه.

كما أشكر كل أفراد أسرتي تحملهم مني ومعي الكثير من المتاعب طوال فترة إنجاز البحث. هذا دون أن أنسى الشكر الخالص لأفراد عائلتي الكبيرة وصديقات الدرب منى علام، فيعموش زينب ميوض سعاد، وأخيرا أشكر عمال المكتبات والأرشيف على كل الخدمات والمساعدات التي قدموها لي.

كانت هذه عينة من الذين وقفوا إلى جانبي، ولأنه ليس بوسعي تسمية جميع من شجعوني ولو بكلمة طيبة لهم مني أسمى الشكر وأعمق الإمتنان.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المختصرات المستعملة في الرسالة :

- ش.و.ن.ط: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع.
- م.و.ط: المؤسسة الوطنية للكتاب.
- م.د.و.ع: مركز دراسات الوحدة العربية.

- R.A : Revue Africaine.
- R.S.A.C : Recueille Des Notice Et Mémoire De La Société Archéologique De Constantine.
- R.H : Revue Historique.
- R.O.M.M : Revue De L'occident Musulman Et De La Méditerranée.
- B.S.G.A.O : Bulletin De La Société De Géographie Et D'archéologie D'Oran.
- A.N.N : Annuaire De L'Afrique Du Nord IXI.
- A.I.E.O.T : Annales De L'institut D'études Oriontales.
- A.M.G : Archives Du Ministère De La Guerre A Vincennes.
- T : Tome.
- V : Volume.
- C.E.R.M : Centre D'étude Et De Recherches Maxi tes.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1-التعريف بالموضوع:

من المسائل التاريخية التي لا تزال تحتاج للبحث هي تاريخ الجزائر مع نهاية الفترة العثمانية وخلال كامل القرن 19.

وهذا حداني إلى البحث في أغوار تلك الفترة لإعطاء لمحة مختصرة عنها، حتى أتمكن من بلورة العنوان بدقة، وقد اخترت أن أتناول موضوع بحثي تحت عنوان "السلطة والمجتمع في الجزائر أواخر العهد العثماني"، وتنصب الدراسة حول السلطة والمجتمع، ذلك لأن التساؤلات حول واقع هذه السلطة خلال التواجد العثماني كانت ولا زالت مطروحة بإلحاح.

وقد انطلقت منذ البداية، برجوع إلى النظريات التي تسعى لتفسير مختلف المفاهيم للسلطة، وتحديد طبيعة البنية الاجتماعية في الفترة العثمانية، ويبدو للوهلة الأولى أن البحث في الموضوع لا يتعدى نطاق التحليل والتذكير، باعتبار أن النسق النظري لمختلف النظريات لمفهوم السلطة نتاج لما مرت به السلطة من مختلف المراحل التاريخية، وحاولت تطبيقها على واقع المجتمع، ثم إذا كانت الإشكاليات المحورية المطروحة بخصوص الهياكل القبلية في فترة ما قبل الاستعمار تتعلق بمدى استعدادها وقابليتها للخضوع للسلطة العثمانية؟

فإنه لمن شأن ملاحظات مختلف المفكرين أن تجيب نسبيا عن جانب من هذا التساؤل بما قدمه مختلف المفكرين من إسهامات وما خلصوا إليه من استنتاجات على مستوى مفهوم السلطة. ومما يجدر ذكره هو تحديدنا للفترة الزمنية وجعل الدراسة تنحصر أواخر العهد العثماني أي ما بين 1671م-1830م، لأنها من ناحية تعنى بالدايات الذين انفصلوا تقريبا بالجزائر عن السلاطين العثمانيين خاصة عند رفضهم للباشا المبعوث من الأستانة، وأيضا لطول الفترة الزمنية وعدم إمكانية تغطيتها كلها، الأمر الذي قد يفقد البحث الدقة والتعمق في الأحداث. أما فيما يتعلق بالمكان فقد تعمدت جعل الموضوع شاملا

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

لمختلف أقطار الجزائر بدل التركيز ببايلك معين لإعطاء صورة موحدة عن الحكم المحلي بالإيالة ومدى فعاليته في السياسة العامة للحكام العثمانيين بالبايلكات لا سيما أن هذه الأسر والقبائل كانت تجمعها أحلاف صف قوية جعلتها تتحد ضد الحكم المركزي بالايالة.

2- دوافع وأهداف البحث:

لقد تعددت دوافع وأهداف هذه الدراسة المتواضعة، والتي نتوخى منها فوائد شخصية وعلمية.

فأما الشخصية فتتعلق بمحاولة اكتساب مختلف المعارف العلمية إضافة لمختلف مناهج البحث التاريخي الحديث حتى تكون منطلقا لنا وحافزا لمواصلة البحث في تاريخ بلادنا العريق.

و السبب الآخر يكمن في الاستنتاجات التي توصل لها بعض المؤرخين منهم ناصر الدين سعيدوني واحميدة عميراوي وعبد الله العروي، مفادها أن حكم الجزائر في الفترة العثمانية كان يدير ظهره لدواخل البلاد، هذه النتيجة قد أثارت فضولي لمعرفة واقع الحكم العثماني والمجتمع الجزائري.

أما الأهداف العلمية فتكمن في تناولي لموضوع السلطة والمجتمع بإبراز واقع البنية الاجتماعية الجزائرية وإبراز مختلف السلطات التي كانت تخضع لها مختلف فئات المجتمع، وذلك حتى أتمكن من الوصول إلى حقيقة أن السلطة العثمانية لم تكن الطرف الوحيد صاحب النفوذ بالإيالة، فإن سلطات أخرى تمثلت أساسا في السلطة الشيخية والسلطة الطرقية والسلطة المذهبية، فضلا عن سلطة العلماء كانت سائدة في الجزائر خلال الفترة العثمانية لاسيما بالريف.

3- إشكالية البحث:

لما كان موضوع الدراسة هو "السلطة والمجتمع في الجزائر أواخر العهد العثماني" كما سبق وأشرنا، ومنه تعتبر إشكالية السلطة في الجزائر إحدى النماذج المتميزة في دراسة واقع المجتمع الجزائري أواخر العهد العثماني، وتفرض علينا طرح سؤال أساسي هو هل كانت الحكومة التركية ذات نفوذ على كامل

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

القطر الجزائري؟ وإذا كان الأمر كذلك فما هي الدلائل التي تثبت ذلك؟وإذا كان الأمر غير ذلك؟ فما هو واقع السلطة في الجزائر؟ ومن كان الحاكم الفعلي للأهالي؟ على أن الإجابة بهذا الشكل أو ذاك تفرض علينا التعرف على المعطيات التاريخية لأنها الكفيلة بجعلنا قادرين على إصدار حكم موضوعي في المسألة.

4- منهج البحث:

لتحقيق أهداف الدراسة والوصول إلى أجوبة منطقية مقبولة للتساؤلات المطروحة، ونظرا لطبيعة الموضوع الذي تطلب منا تناول إشكالية الفهم بالنسبة للسلطة والمجتمع، إذ أن ما لاحظناه خلال جمع مادة بحثنا أن كل شيء كما يقول Vatin: "محل ملاحظة وتخوف ومحاولة الفهم والتفسير"[1].

وتقودنا نقطة الانطلاق المتعلقة بإشكالية الفهم إلى أن نولي انتباهنا أكثر إلى المجتمع الجزائري وأن نعتبره مركز الأحداث.وبما أن المنهج هو طريقة في البحث ومبادئ تلتزم خلاله ومفاهيم توظف فيه، فقد اتبعنا عدة مناهج:

- **المنهج التاريخي الوصفي:** واستخدمناه بغرض عرض الحقائق التاريخية بهدف رصد وتحديد مضمون القضايا المتعلقة بها.
- **المنهج التاريخي التحليلي:** عند مناقشة الأحداث، ومحاولة الخروج منها باستنتاجات موضوعية.

ونظرا أيضا لغلبة المضمون الفكري على موضوعنا فقد سلكنا طريقة الاستقراء والاستنتاج وقد استعملته لتمهيد الفكرة للأذهان حتى يمكن استيعاب المفاهيم واستيعاب مغازيها، وجعلها منطلقا موازيا ومتعامدا مع كل فكرة وانطلاقا من الأحداث الواقعية لتاريخ المجتمع الجزائري من أجل بناء تصور نظري

Vating: "science historique et conscience historiographique de l'Algérie colonial" in annuaire de la frique du nord 1979, p.121.

في الموضوع. وهذا التناول المنهجي يبرز في نظرنا تطور سلطة المجتمع الجزائري ويخرجنا من دائرة الكتابات التي تكرر ،وسوف ينصب سعينا على البحث ضمن مادة تاريخية غزيرة ومتنوعة ،فالأمر بالنسبة إلينا لا يتعلق بطرح مختلف مفاهيم السلطة بقدر ما هو يتعلق بمحاولة فهم واقع السلطة داخل المجتمع الجزائري.

5- هيكلة البحث:

ولمعالجة الموضوع فضلنا أن نقسمه إلى مقدمة وخمسة فصول وخاتمة وملاحق: حيث جعلت الفصل الأول كمدخل للموضوع ناقشت فيه مختلف مفاهيم السلطة لدى المفكرين العرب والغربيين، وحاولت فيه تقديم صورة كلية عن البنية السكانية والاجتماعية والثقافية للمجتمع الجزائري قبل دخول الاستعمار، كما عملت من خلال عناصر هذا الفصل على تدعيم القاعدة التي نستند إليها خلال تحليلنا.

أما الفصل الثاني من البحث فقد خصصته لمعرفة نظام الإدارة العثمانية وأثرها على الحياة الاجتماعية الجزائرية ومدى نفوذها في كل من المدينة والريف، وعلاقة كل من السلطة الحاكمة والمجتمع.

وقد خصصنا الفصل الثالث للحديث عن نظام المشيخة في الجزائر ومدى نفوذها وعلاقتها بالحكام، أما الفصل الرابع تناولت فيه السلطة الروحية وحاولت التعرف على موقع كل من المرابط والطرقي وعلاقتهم بالحكام ومدى ولائهم للسلطة الحاكمة وولاء المجتمع لهم، وفي الفصل الخامس والأخير حاولت التعرف على واقع العلم والعلماء وكيفية ممارسة هؤلاء العلماء لسلطتهم وعلاقتهم مع الحكام.

وقد أنهينا بحثنا المتواضع هذا بخاتمة تضمنت جملة من النتائج تم التوصل إليها من خلال البحث والتحليل وقد ألحقنا بالموضوع مجموعة من الملاحق تخدم موضوع بحثنا بصفة مباشرة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

6- صعوبات البحث:

أمّا عن الصعوبات التي واجهتني أثناء البحث فهي لا مناص منها لكل بحث، فقد تمثلت أساس في: قلة خبرتي في مجال البحث، وكذا صعوبة اختياري للموضوع فلولا توجيهات الأستاذ المشرف لما استقر اختياري على هذا الموضوع.ومن الصعوبات التي واجهتني كذلك، هي ندرة المادة التاريخية خاصة أن الأمر بالنسبة إلي يتمثل في البحث عما هو جوهري وضروري في مادة تغلب عليها السرد التاريخي الحافل بالأشخاص والأماكن والتواريخ، وكان من واجبي أن أمحص هذه الأحداث لتقديم مادة البحث وفق سياق يراعي الموضوعية التاريخية ويجيب على التساؤلات الواردة في الإشكالية، وقد حاولت فرز وإعادة الترتيب ونزع كل ما يضلل عن صلب الإشكالية، خاصة أن مهمتي كانت العودة إلى المصادر نظرا للطابع التحليلي الذي يحتاج إلى قراءات كثيرة ومتنوعة في المصادر والمراجع.ومن الصعوبات التي واجهتني كذلك، عدم توفر الإمكانيات المادية التي تسمح لنا بالسفر خارج الوطن من أجل حصول على وثائق، قد تخدم الموضوع.

7- نقد لأهم المصادر والمراجع:

لقد اعتمدت في إنجاز هذه الدراسة المتواضعة حول موضوع السلطة والمجتمع مجموعة من المصادر والمراجع التي تمس الموضوع بصفة مباشرة وغير مباشرة وفيما يلي سنحاول التعريف بأهمها.

أولا المصادر:

- المرآة لحمدان بن عثمان خوجة أو كما نشر باللغة الفرنسية تحت عنوان (لمحة تاريخية وإحصائية حول إيالة الجزائر) وهو من أصل كرغلي سمحت له ظروفه العائلية أن يتقن كثيرا من العلوم وقد كان دافعه الرئيسي لتأليف هذا الكتاب هو إطلاع الرأي الأوروبي ولا سيما الفرنسي على الأحداث الجارية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

في الجزائر بعد الاحتلال، وقد ساعدنا هذا المصدر على معرفة واقع الحكم العثماني في الجزائر، ويمتاز كتابه بالموضوعية والنزاهة إلى حد كبير. كما اعتمدنا على كتاب أحمد شريف الزهار، نقيب أشراف الجزائر، ويعد أهم مصدر للفترة المتأخرة من العهد العثماني في الجزائر خصوصا وأن صاحبه-قد شغل منصب نقابة الأشراف بعد وفاة والده، إذ أرّخ لأهم الأحداث التي وقعت في عهده، وقد استفدت منه كثيرا.

وكتاب دليل الحيران وأنيس السهران لمحمد يوسف الزيان المحقق من طرف المهدي البوعبدلي ويعد مصدرًا هاما لتاريخ بايلك الغرب، وقد استعنت به، خاصة في أحداث الثورات وقد كان دقيقا وأمينا في معلوماته، يحلل وينقد ويقيم مواقف الرجال والأوضاع السائدة.

كتاب رحلة محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، لصاحبه أحمد بن هطال التلمساني، وقد ذكر أحداث هامة عن الحملات التي كان يشنها محمد لكبير باي وهران لجباية وتأديب القبائل المتمردة، وإذا كان ابن هطال التلمساني قد أظهر تحيزا سافرا إلى جانب محمد لكبير وأشاد بأعماله وهاجم القبائل المتمردة، إلا أن المعلومات التي احتواها كتابه تعد ذات قيمة تاريخية كبيرة.

أنيس الغريب والمسافر لمسلم بن عبد القادر، المحقق من طرف المهدي البوعبدلي، وقد قام هذا الأخير بتأريخ لأهم الأحداث التي قام بها بايات قسنطينة المتأخرين حتى الاحتلال الفرنسي، واستعنت به خاصة حول تفاصيل الثورات المحلية إذ تعرض المؤلف بإسهاب لهذه التمردات والقبائل التي شاركت في إخمادها إلى جانب السلطة.

تاريخ قسنطينة لأحمد بن مبارك العطار، وقد حققه الأستاذ رابح بونار ويعد مصدرا هاما للتأريخ لبايلك الشرق خلال الفترة العثمانية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رحلة الورتلاني للحسن الورتلاني المحقق من طرف محمد بن أبي شنب، ولقد زار الورتلاني قسنطينة في رحلته إلى الحج وعودته منه حوالي سنة 1197هـ/1765-1766م، وقد أعطانا بسطة موجزة عن هذه الحركة العلمية، قبل ولادة أحمد بن مبارك بقليل، وهي تفيدنا كثيرا في استشفاف معالم هذه الحركة على العموم، وتساعدنا على دراسة نشاطها الذي امتد إلى القرن التاسع عشر الذي عاش فيه المترجم وأدركه شيوخه. وكانت الاستفادة من هذه الرحلة بشكل كبير خاصة فيما يخص الحركة العلمية في الجزائر خلال العهد العثماني.

ثانيا: المصادر باللغة الأجنبية:

وهي كثيرة وحاولت الاستفادة منها قدر المستطاع مع الاستعانة بالمصادر المحلية رغم شحتها حتى أتمكن من الحصول على نتائج موضوعية دون أن أتأثر بنظرة الغربيين للتاريخ المحلي للجزائر وهذه أهم المصادر الأجنبية التي اعتمدتها:

-كتاب المستشرق فونتور دوبارادي (v. paradi) فقد تناول في كتابه الجزائر في القرن 18 مختلف الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والإدارية في ولاية الجزائر في العقد الأخير من القرن 18م، ويعد هذا الكتاب من المصادر الأساسية والتقليدية للتاريخ العثماني بالجزائر خاصة في الفترة التي حددها في عنوان كتابه، كما يعتبر فونتور دوبارادي من الكتاب الأوروبيين الذين زاروا الجزائر وكتبوا عنها بنزاهة نسبيا.

- كما اعتمدنا على ميرسيه الذي يؤكد بدوره أن سياسة الأتراك في الجزائر ساهمت في إخماد كل إحساس وطني لدى الجزائريين، بل غرست بينهم روح العصبية القبلية المعروفة بالصف.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- أيضا اعتمدنا على شالر أندري جوليان (Ch.a.julien) في دراسته للتاريخ الجزائري قبل الاحتلال حينما اعتبر أن الحكم التركي للجزائر المتمثل في الوجاق، لم يكن ذا طابع وطني، و لم يسمح بقيام وحدة وطنية، رغم توفر العوامل المشجعة على ذلك.

- كما أنه لايمكن إغفال القيمة الكبيرة لكتاب الأستاذ دوغرامون (Degramment, histoire d'Alger sous la domination turque)، وقد اعتمدنا عليه بالدرجة الأولى في مراحل الحكم التركي بالجزائر بصفة عامة وسياسة الدايات، إزاء الأحداث التي كانت تمر بها الإيالة، وهذا الكتاب لا غنى عنه للباحث في أي موضوع يتصل بالحكم العثماني في الجزائر.

- دون أن ننسى ذكر كتاب العسكريين الفرنسيين أمثال Depont et Copolani، وكتابات Rinn وdevoulx حول الطرق الصوفية، وتعتبر هذه الأخيرة من أهم المصادر التي خدمت موضوعنا.

ثالثا: المراجع باللغة العربية والأجنبية:

ـ وتعتبر أساسية بالنسبة لموضوعنا فقد تمثلت في المؤلفات والدراسات التي نشرها الباحثون الفرنسيون في المجلة الإفريقية أمثال فيرو (ch.féraud).

- كما قدم لنا كل من عبد الله العروي وباباس ليلى ومحمد عدالة مادة تحليلية في الجوانب الإجتماعية والاقتصادية، هذا دون أن ننسى الدراسات القيمة لكل من أبو القاسم سعد الله ومصطفى الأشرف وناصر الدين سعيدوني وحميدة عميراوي فقد قدموا لنا مادة خبرية تحليلية جيدة أفادتنا كثيرا في تحليل موضوع البحث من أهمها:

ـ ورقات لناصر الدين سعيدوني.

ـ تاريخ الجزائر الثقافي لأبي القاسم سعد الله.

ـ من الملتقيات التاريخية الجزائرية لحميدة عميراوي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رابعا: الرسائل الجامعية:

لقد اعتمدنا في دراستنا هذه على عدة رسائل جامعية منها:

-Babas leila : mythe d'origine et structure tribales dans le constantinois sous la domination turque

ـ رسالة الأسر المحلية الحاكمة لبايلك الشرق للأستاذة جميلة معاشي.

ـ النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني لفلة القشاعي.

ـ النظام الإداري ببايلك الشرق (1791-1830) لأحمد سيساوي.

وفي نهاية هذه المقدمة لا يفوتني أن أعترف بأنني استنفذت جهدي وصبري في بحث هذا الموضوع، ولكن دون التمكن من جميع جوانبه، ومع هذا أعتقد أنني بذلت جهدي قصد تقديم مساهمة أرجو أن تكون جديدة وضرورية لتاريخ الجزائر.

وسأكون راضية لو ساهم بحثي هذا في إلهام باحثين آخرين للتعمق في إشكالية البحث، خاصة أن البحث العلمي حول تاريخ الجزائر خلال الفترة العثمانية مازال يحتاج إلى دراسة.

وختاما أتوجه بخالص شكري لأستاذي المشرف على هذا العمل العلمي، وأسأله قبول شكري وامتناني، إذ هو الذي أوحى إلي بتحقيق هذا العمل الذي أرجو أن يضيف الجديد إلى تراثنا التاريخي. كما أشكر كل من قدم لي يد المساعدة من قريب أو بعيد، وخاصة والداي اللذين لولاهما لما حققت هذا الإنجاز.

وأسال الله أن يتقبل مني هذا الجهد وينفع به كل من اطلع عليه.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفـــصـــل الأول

السلطة والمجتمع في الجزائر

تـــــمهيـــــد

أولا: مفهوم السلطة و أشكالها.

ثانيا: مجال السيادة في الجزائر.

ثالثا : المجتمع الجزائري أواخر العهد العثماني.

رابعا: الحياة الروحية في الجزائر.

خـــــاتمـــــة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تـــــــمهيـــــــد

إن دراسة الوضع الإجتماعي للجزائر أواخر العهد العثماني يعكس لنا واقع الحياة التي كانت تحياه مختلف التشكيلات الاجتماعية، وما كانت تمتاز به الجزائر من كيان متميز. حيث كانت السلطة فيه غير واحدة. وانطلاقا من هذا نحاول عرض مفاهيم السلطة.

أولا- مفهوم السلطة و أشكالها

يصعب علينا تحديد السلطة في مفهوم واحد، لاختلاف حاصل بين المنظرين، فللفكر تأملات حول السلطة التي تطورت مرورا من السلطة داخل العشيرة والقبيلة إلى سلطة الإمارة والمملكة ثم إلى سلطة الدولة[1]، وقد تكون السلطة سياسية أو أخلاقية أو علمية[2]، وهو أمر يتوقف على مجال النفوذ الذي تمارس فيه هذه السلطة ولهذا انشغل الباحثون في مفهوم السلطة وعلى مر العصور مع اختلاف تياراتهم الفلسفية والفكرية وليس هناك حتى الآن تمييز واضح بين مفهوم السلطة ومفهوم ممارسة السلطة لأن معظم النظريات تتعامل مع السلطة على أنها ممارسة فعلي يتم بواسطته إخضاع أفعال إنسانية فردية أو جماعية لحالة معينة او نظام معين، ويتم فعل السلطة من خلال إجراءات معينة تعمها دراسات علم الاجتماع في أربعة أمور هي **التبادل، المصلحة المشتركة، التضامن وإجماع الرأي، السيطرة**[3].

1- خليل أحمد خليل، العرب والقيادة، ط. 1، دار الحداثة، بيروت1981، ص.49.

2-المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الموسوعة العسكرية، ط. 3، بيروت1990، ص.312.

3- المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الموسوعة العسكرية، ص.312.

1- مفهوم السلطة

1-1- السلطة لغة:

- وردت كلمة السلطة في معظم المعاجم والقواميس، وهي مشتقة من فعل **سَلُطَ** وتعني **"القهر"**[1].

- كما عرفها آخرون بـــ **"القدرة والقوة، السيطرة الواقعية"**[2]

- بينما عرفها بطرس البستاني **"بطلب السيادة"**[3].

1-2- مفهوم السلطة اصطلاحا:

السلطة ليست مفهوما سياسيا مطلقا وإنما هي واقع اجتماعي تكون حيث يكون التجمع بشري[4] **وهي مفهوم** يتعلق بنشوء ظاهرة خضوع المجموعات البشرية وإطاعتها لفرد أو مجموعة فيما يقرره أو تقرره من **أوامر** ونواه[5]. وحسب بعض الدارسين فالدولة هي التي تمثل السلطة التي لا تعلوها سلطة وهذا لامتلاكها **السيادة** ووسائل الإكراه والقوة لتطبيق القوانين في المجتمع[6]، فالدولة عند دوركايم **"هي تعبير عن السلطة السياسية"**، في حين يقول أنجلز إنّ **"الدولة ليست سوى آلة لقمع طبقة من قبل طبقة أخرى"** ومنه **فالدولة إذا أداة** تحتكر السلطة لمصلحة المجتمع بأكمله"[7]. على خلاف بعض الدارسين الذين قالوا أن

1- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، ص. 265، كذلك ذكرها محمد رضا، معجم متن اللغة، مجلد 3، ص. 189.

2- محمد بن يعقوب الفيروز ابادي، القاموس المحيط، ج. 2، مجلد 3،ط.2 ،المطبعة الحديثة المصرية، ص. 5، وجبران كورنو، معجم المصطلحات القانونية، ترجمة منصور القاضي، ج. 2، بيروت 1998، ص. 908.

M. Bescherelle Aine, Dictionnaire Nationale, Longue française, T.2 , Paris Chez Garnier Frères, Editeurs1860, P. 104

3- المعلم بطرس البستاني، كتاب دائرة المعارف، ج. 9، ص. 732.

4- جان وليام لابيار، السلطة السياسية، ترجمة إلياس حنا إلياس، ط. 3، بيروت، ص-ص. 48-49.

5- المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الموسوعة العسكرية، مجلد.4، ص. 312.

6- عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، ج. 3، ص. 215.

7- رابح كعباش، النظام السياسي والتحولات الاجتماعية في الريف الجزائري، رسالة دكتوراه الدولة في علم الاجتماع، تحت إشراف دليو فضيل، 1999-2000، جامعة منتوري، قسنطينة، ص45.

السلطة يمكن امتلاكها في سياق الصراع الاجتماعي وليس من خلال الدولة أي هي "**القوة التي تستطيع كل طبقة أو فئة اجتماعية امتلاكها في إطار حمايتها لمصالحها الاجتماعية ودفاعها عنها**"[1]، بينما يعرفها بولا لتزاس بأنها "**قدرة طبقة اجتماعية على تحقيق مصالحها الموضوعية النوعية**"[2].

ولسنا هنا بصدد عرض الخلفية الفلسفية لمفهوم السلطة بل بصدد عرض بعض المفاهيم الفكرية المتولدة عن علم الاجتماع السياسي وإسقاطها على المجتمع الجزائري، لأن لكل عصر سلطاته المتميزة، فالصراع مستمر من أجل الحكم والقوة تأخذ وسائل متعددة كالدين والجيش والحاكم ولهذا فكثير من المفكرين أمثال هوبز ولوك وماركس وماكس فيبر يأخذون بواقع القوة واعتبارها محرك أساسي لتطور الإنسان[3]، في حين نشأت بعض النظريات لتثبت سلطة الحاكم والمطالبة بالولاء له حفاظا على السلم الاجتماعي كالقول: "بأن **السلطان ظل الله في الأرض**" إلاّ أنه تعددت المفاهيم في استخدام هذه الكلمة في مختلف الهيئات الاجتماعية.

1-3- مفهوم السلطة عند المفكرين المسلمين :

نجد السلطة في الفكر الإسلامي تتمثل في السلطة الشرعية المكلفة بحماية المصالح الاجتماعية عن طريق الالتزام بالقواعد والمبادئ والحقوق التي أقرها الإسلام للناس ومنه تعتبر السلطة الشرعية هيئة تمثيلية لحماية مصالح العامة[4]، كما يعتبر الدين والعصبية ركائز العمل السياسي وضوابط لممارسة السلطة[5]، فابن

1- عبد الإله بلقيز، " مقالة الدولة والسلطة والإيديولوجية"، مجلة المستقبل العربي، العدد 167، ص. 65.

2- عبد الإله بلقيز، " مقالة الدولة والسلطة والإيديولوجية"، المرجع نفسه، ص. 65.

Ni Cos Poulantzas, Pouvoir Politique Et Classe Sociales,T. 1, p. 107

3- حميدة عميراوي، من الملتقيات التاريخية الجزائرية، ط. 1، دار البعث، قسنطينة2000، ص. 96.

4- محمد فاروق النبهان، المدخل للتشريع الإسلامي، ط. 2، وكالة المطبوعات الكويت 1981، ص. 55.

5- رجيه كوتران، السلطة والمجتمع والعمل السياسي من تاريخ الولاية العثمانية في بلاد الشام، مركز الوحدة العربية. بيروت، لبنان، ط. 1، 1988، ص. 20.

خلدون يقول إن القوة هي أساس الحكم، والتي تتمثل في قوة شخصية وعصبية الحاكم وهذه الأخيرة تقهر كل من يحاول شق عصا الطاعة عليه[1]، وأنه هناك شكلين من أشكال الحكم:

أ- شكل قائم على الاحترام الطوعي للرئيس في المجتمع القبلي.

ب- شكل قائم على القهر والإكراه في ظل الملك والدولة[2].

بينما يقول الدكتور سعد الدين إبراهيم أن شرعية السلطة تكمن في خضوع المحكومين لها فيقول "قد يكون سبب قبول المحكومين لحق الحاكم في أن يحكم بوحي من معتقدهم الديني أو بوحي من تقاليد راسخة توارثوها عبر الأجيال، أو بسبب إعجابهم الشديد بصفاته وخصاله وما يجسده من قيم وتمثل عليا يربون إليها، أو لأنه يرعى مصالحهم ويوفر لهم الأمن والأمان أو لأنهم اختاروه بأنفسهم وأعطوه هذا الحق..."[3].

1-4- مفهوم السلطة عند المفكرين الغربيين :

* كما تناول فلاسفة وعلماء الاجتماع الغربيين مفهوم السلطة من عدة زوايا: فقد أخذ الكثير من المفكرين بواقع **القوة** كأساس للسلطة أمثال فريدريك نيتشه الألماني الذي رأى" أن السيادة لا تكون إلاّ للأقوياء"[4]. وميكافيلي الإيطالي الذي رأى "أن القوة هي المحرك الأساسي لقيام الدولة"[5]. ودوركايم الذي

1- إدريس خضير، التفكير الاجتماعي الخلدوني وعلاقته ببعض النظريات الاجتماعية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1983، ص- ص. 134-135.

2- أحمد خشاب، التفكير الاجتماعي، دراسة تكاملية للنظرية الاجتماعية، دار النهضة العربية 1981، بيروت، ص- ص. 315-319.

3- سعد الدين إبراهيم، المجتمع والدولة في الوطن العربي، تحقيق غسان سلامة، عبد الباقي الهرماسي، ط. 2، بيروت، م.د.و.ع1996، ص. 406.

4- إسماعيل علي سعد، في السياسة والمجتمع، المدخل إلى علم الاجتماع السياسي، دار النهضة العربية، بيروت، ط.1، 1989، ص- ص. 113-115.

5- إدريس خضير، التفكير الاجتماعي الخلدوني وعلاقته ببعض النظريات الاجتماعية، ص. 138.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رأى "أن السلطة هي النظام الاجتماعي والسياسي الأبدي لأنها القاسم المشترك عبر العصور" فالسلطة عنده هي "القوة"[1]. كذلك ماكس فيبر يقول" أن القوة والإكراه المشروع هي من وظائف النظام السياسي"[2].

- وهناك آخرون رأوا أن السلطة تتمثل في علاقات متبادلة بين الأفراد أمثال إريك فروم إذ اهتم هذا الأخير بالجانب النفسي للسلطة فعرفها بأنها: "علاقة متبادلة بين أشخاص فينظر فيها شخص إلى آخر على أنه متفوق عليه"[3].

- أما السلطة عند جروتيوس (1583-1654) فقد قال أنها تتمثل في السلطة السيّدية العليا ويتمتع بها كل من لا يستطيع أي فرد آخر أن يرد له أمرا وأن هناك مصدران للسلطة الشعب والملك[4]. وذهب بودان[5] مع ما ذهب إليه جروتيوس من أن السلطة هي لصالح السلطة العليا وصاحب السيادة فيها لا يتقيد إلا بالقوانين الطبيعية والقانون الإلهي ومنه فهي تتمثل في القوى العليا المفروضة على الجميع[6].

2- أشكال السلطة و أنواعها:

- بعد أن وضحنا ماهية السلطة وفلسفتها نحاول تحديد أنواعها من خلال آراء بعض المفكرين:

إن السلطة في الأنظمة الثيوقراطية تتركز في الجهة الدينية وتسند فيها الشرعية السلطوية إلى الحق الإلهي ولا تكون خاضعة إلاّ للجهة التي تحددها الجهة الدينية[7]. خلاف بعض المفكرين الذين حاولوا تعديد السلطات والفصل فيما بينها وسنحاول عرض البعض منها:

1- احميده عميراوي، من الملتقيات التاريخية الجزائرية، ص. 97.

2 - Max Weber, Le Savant Et La Politique,Tra. Julien Freud,Plon, Paris 1959, p. 156.

3- المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الموسوعة العسكرية، ص. 213.

4- أحمد خشاب، التفكير الاجتماعي، دراسة تكاملية للنظرية الاجتماعية، ص 357.

5- يعد بودان من أشهر فلاسفة فرنسا "1530-1599"و هو أول من استخدم لفظ سياسة بالمعنى الاصطلاحي المعروف، وذلك في كتابه الجمهورية الذي نشره عام 1586م، أحمد الخشاب، المرجع نفسه، ص. 317.

6- إسماعيل علي سعد، في السياسة والمجتمع، المدخل إلى علم الاجتماع السياسي، ص-ص. 113-115.

7- عبد الوهاب الكيالي، موسوعة سياسية، ج. 3، ص. 216.

2-1- أشكال السلطة عند اريك فروم:

- **إريك فروم:** هذا الأخير الذي خلص إلى وجود نمطين من السلطة.

1- **سلطة عقلانية** (rational authority): ومن النمط الأول علاقة الأستاذ والتلميذ حيث يمارس الأول السلطة على الثاني لمصلحة الثاني مع ازدياد الممارسة التي تضيق هوة التفوق بين الطرفين.

2- **سلطة قامعة** (inhibithing authority): وتتمثل في العلاقة بين السيد والعبد حيث يمارس الأول السلطة على الثاني لمصلحة الأول وضد مصلحة الثاني ولاستغلاله وتوسيع هوة التفوق بينهما[1].

2-2- أشكال السلطة عند جان وليام لابيار:

- **أما جان وليام لابيار** فقد وضحها من خلال ثلاثة أشكال أساسية:

1- **السلطة الاجتماعية المباشرة:** وهي التي تفرض نفسها على كافة أعضاء الجماعة دون أن يتولى ممارستها أحد منها، فالجميع يحترمون العادات والتقاليد، ولا يوجد ترهيب في هذه السلطة الطاعة بالغريزة وهذا النوع من الحياة قد ينطبق على الحياة القبلية العشيرة - المنتشرة بكثرة في الجزائر-. فالفرد في هذه القبائل لا يمكن أن يخترق عادات العشيرة التي ينتمي إليها فانتهاكه لأحد المحرمات أو إهماله لأحد الطرفين يجلبان الموت والخسارة "فالمسؤولية، في هذا المناخ جماعية أكثر منها فردية"[2].

2- **السلطة الاجتماعية المجسدة:** وتتجسد هذه الأخيرة عن طريق الوظائف الاقتصادية والعسكرية والدينية، فكل وظيفة تولي لمن يمارسها أهمية تفوق تلك التي توليها لنا أعضاء الجماعة -وقد

1- المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الموسوعة العسكرية، ص. 213.

2- جان وليام لابيار، السلطة السياسية، ترجمة الياس حنا الياس، ط. 3، منشورات عويدات بيروت 1983، ص. 21.

تتمثل هذه الأخيرة في سلطة الحكومة العثمانية في الجزائر- لاكتسابها لمختلف المناصب العسكرية وكذلك الموارد الاقتصادية كالأسواق الأسبوعية مثلا[1].

3- النفوذ، القوة، المكانة، السلطان: يتوصل بعض الأفراد للعمل بوظائف تمكنهم من الاستيلاء على السلطة وهذه الظاهرة هي ذات أصل نفسي واجتماعي ويمكن القول أنها استعداد لدى بعض الناس، لأن يصبحوا قادة محرّكين ويمكن أن نطلق على هذا النوع "بنفوذ الوجيه" وهذا الأخير يجب أن يمتلك قوة تضمن له البقاء سيدا[2]. لأن القوي كما يقول روسو "لا يبقى على قوته التي تؤمن له بقاءه سيدا ما لم يعرف كيف يحول القوة حقا والطاعة واجبا[3]" حسب لابيار فالمكانة هنا تزيل كل شعور بالإكراه ويصبح الخضوع لإدارة الوجيه نوعا من الانجذاب[4].

2-3- أشكال السلطة عند ماكس فيبر:

- **أما ماكس فيبر** فاهتم بالجانب الحضاري لمفهوم السلطة وقسّمها إلى ثلاثة أنماط:

1- سلطة تقليدية (traditional authority): وتقوم هذه الأخيرة على إيمان الناس الثابت أو المستقر بقداسة العادات والتقاليد التي تسود المجتمع[5]، فالسلطة الشرعية قائمة على الاعتقاد بقدسية التقاليد التي كانت موجودة تلك التقاليد التي تقر من هو في السلطة "رئيس القبيلة العشيرة"، إذ أن الأساس الذي تسند عليه هذه السلطة هو اعتقاد الأفراد بوجود قواعد معينة لها قدسية تعرض المخالف لها للغضب الإلهي أو إلى شر من الشر الدنيوي[6].

1- جان وليام لابيار، المرجع نفسه، ص-ص. 27-36.

2- جان وليام لابيار، السلطة السياسية، ترجمة إلياس حنا إلياس، ص-ص. 38-39.

3- جان جاك روسو، في العقد الاجتماعي، ترجمة دوقان قرقوط، دار القلم بيروت، ص. 51.

4- جان وليام لابيار، المرجع نفسه، ص. 93.

5- إسماعيل علي سعد، في السياسة والمجتمع، المدخل إلى علم الاجتماع السياسي، ص. 169.

6-أحمد الخشاب، التفكير الاجتماعي، دراسة تكاملية للنظرية الاجتماعية، ص-ص. 570-571.

2- **السلطة الرشيدة أي العقلانية** (rational legal): وهي السلطة التي تقوم على أساس قانوني صادر عن العقل والمنطق[1]، وفي هذا النوع يكون الاعتماد على قواعد معينة يعتقد بها الأفراد والشخص الذي يأتي إلى السلطة واستنادا لهذه القواعد فهو الذي يملك الشرعية في الحكم، وهذه القواعد تتمثل في دستور معين يؤمن به الأفراد[2].

3- **السلطة الكاريزمية** (charismatic authority): المقصود بالكاريزما هي القابليات والخصائص الغير اعتيادية التي يملكها الفرد سواء كانت هذه الصفات حقيقية أو وهمية، فالسلطة الكاريزمية إذن هي التي تقوم على أساس وجود شخص يملك صفات خارقة يعتقد بها الأفراد والتي قد تستمد جذورها من شيء غيبي أو يتمتع بها الحاكم[3]، وحسب فيبر فالسلطة الكاريزمية تكتسب عن طريق ديني في حركة دينية، أو رائد مقاتل بين جنوده، أو زعيم بين صفوف تابعيه، ويرتبط تبرير هذه المعتقدات بالجماعات، والسلطات الكاريزمية لا ترتبط بالتقاليد أو بالنظام القائم[4]. إن هذه النماذج لا تعني أنها تشمل جميع أنواع السلطات الشرعية الممكنة، فكثيرا من السلطات القائمة قد تحتوي على بعض عناصر السلطة الكاريزمية مع بعض عناصر السلطة التقليدية، أو هناك تراكيب متعددة ناتجة من مزيج من عناصر السلطات الثلاث بالشكل الذي حدده فيبر.

1- إسماعيل علي سعد، المرجع السابق، ص. 169.

2- أحمد الخشاب، المرجع السابق، ص-ص. 568-569.

3- أحمد الخشاب، المرجع نفسه، ص-ص. 569-570.

4- إسماعيل علي سعد، المجتمع والسياسة، ط. 3، دار المعرفة الجامعية، إسكندرية، ص. 75.

2-4- أشكال السلطة عند روبرت ماكيفر:

أما **روبرت ماكيفر** فقد حدد أنواع السلطة في نمطين:

1- سلطة الشيخ: حيث تكون العائلة هي مرتكز الحكومات في أبسط المجتمعات، وهي تمارس دورها ممارسة سلطوية وتؤدي عملية التكاثف الاجتماعي بين العائلات إلى تقبل الجماعة لهذه السلطة ويصبح بمقدور الرئيس أن يدخل في حياة الجماعة ما تحتاج إليه من تنظيم[1].

2- الكهنة (رجال الدين): حيث يعتبر الكاهن حارسا قويا للسلطة ويحرص الأفراد على ممارسة تلك الطقوس الدينية حتى ينالوا الثواب والرضى[2]. إن هدفنا من تقديم هذه النماذج من السلطة هو إيجاد وصياغة مفهوم نظري يمكن استعماله عندما نريد تحليل شكل أو نوعية السلطة القائمة في أي مجتمع من المجتمعات، ومنه يمكننا مطابقة أشكال السلطة على واقع النظم السائدة في المجتمع الجزائري في العهد العثماني، وهذا يقودنا إلى طرح سؤال رئيسي هو ما نوع السلطة في الجزائر العثمانية؟

فالسلطة تنبع من حاجة الحياة الاجتماعية إلى النظام والسلم والأمن وإلى أهميته توفر الاستقرار والاستمرار الاجتماعي وتحديد الحقوق والواجبات الاجتماعية، ومنه فالحياة الاجتماعية هي أساس ظاهرة السلطة[3]. فظاهرة السلطة كما وصفها جوفيتل بقوله "إن ظاهرة السلطة أقدم في أصلها من تلك الظاهرة التي تسمى الدولة" فضلا عن أن السيطرة الطبيعية لبعض الأشخاص على الآخرين هي المبدأ الأساسي في جميع التنظيمات الإنسانية[4]. وما يهمنا هو دراسة الواقع الذي آلت إليه أشكال السلطة المحلية في الجزائر وذلك وفقا للمعنى الاصطلاحي لتوزيع السلطات وأنواعها، فالواقع السياسي للجماعات في مجتمع ما وفي إطار

1- روبرت ماكيفير، تكوين الدولة، ترجمة حسين صحب، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط. 1، ص- ص. 52-53.

2- روبرت ماكيفير، المرجع نفسه، ص. 62.

3- عبد الوهاب الكيلي، الموسوعة السياسية، ج. 3، ص215.

4- إسماعيل علي سعد، المجتمع والسياسة، ص. 168.

علاقات سلطة تنتظم وحدتها تراتبيا في سلم يبدأ من سلطة العائلة إلى سلطة الشيخ أو إلى سلطة المرابطين والطرقيين إلى سلطان "الداي" الذي تمثل فيه السلطة المركزية.

فبالنسبة للدولة العثمانية فإن (wenleress) يرى بأنها: "كانت لحمة اصطناعية لم تنبثق عن السكان والأرض... فالإطارات السياسية سواء كانت كبيرة أو صغيرة لا تترجم تماما الحياة الحقيقية للسكان هذه الحياة الحقيقية ينبغي البحث عنها خارج هذه الأطر، ينبغي البحث عنها في الطوائف المختلفة، في طوائف قرابة الدم "القبائل"، في الطوائف الدينية وفي الطوائف المدنية أو الحرفية، فداخل هذه الطوائف تجري حركة امتلاك الناس والأفكار، دون اعتبار للحدود الإدارية والسياسية"[1]. ومنه فالبنية الاجتماعية تحمل في طياتها مختلف التشكيلات السياسية وبناءا على هذا ومن خلال واقع المجتمع خلال العهد العثماني لا يمكن تحديد مفهوم واضح للدولة بسبب تداخل المعاني والمصطلحات والمعاني والممارسات، فالدولة بالمعنى القومي العربي: فهي السيادة على إقليم بأكمله، بينما يحمل التراث العربي الإسلامي في مسألة الدولة مفهوما آخر "للسلطة" إنه مفهوم "الولاية" التي تضيق أو تتسع في مهامها السلطوية تبعا لعلاقة التوازن بين الخليفة "الداي" ومختلف الجماعات "الشيوخ" المرابطين والطرقيين ومنه يمكن القول وعلى رأي الدكتور روجي كوتراني أن "الدولة هي إطار لتعايش أشكال من السلطات المندرجة أو المترتبة التي تذهب من مختلف السلطات المحلية والأهلية إلى السلطة المركزية المتمثلة في الهيئة الحاكمة المتمحورة حول السلطان وفي هذا الإطار يحتل الدين والعصبية ركائز العمل السياسي وضوابط ممارسة السلطة"[2].

وبهذا يمكننا الحديث بسهولة عن سلطة أو سلطات في الجزائر العثمانية لأنه إذا كانت الدولة قوة اجتماعية واقتصادية وسياسية وتاريخية، فالدولة العثمانية لم تكن قائمة على هذا الأساس، ولعل هذا ما عبر

1- روجي كوتراني، السلطة والمجتمع والعمل السياسي، من تاريخ الولاية العثمانية في بلاد الشام، دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط. 1، 1988، ص. 17.

2- روجي كوتراني، السلطة والمجتمع والعمل السياسي، 18.

عنه عبد الله العروي بدولة لادولة لأن المؤكد تاريخيا أن قبائل جزائرية أخرى كان لها فضاء سياسي منسلخ عن الفضاء السياسي العثماني[1] وعلى ضوء هذا يمكن القول أنه توجد أكثر من سلطة في الجزائر العثمانية ويمكن عرضها بالصورة التالية.[2]

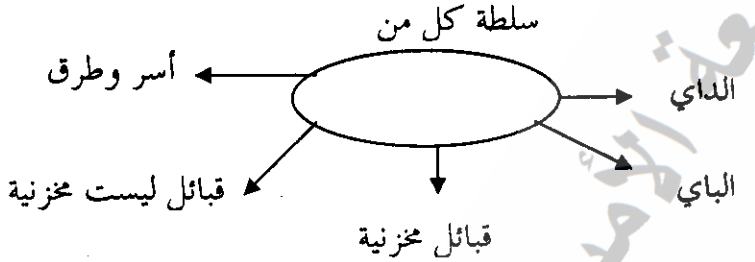

ومن خلال هذا التقسيم يمكن القول أن السلطة لا تصدر دوما عن التنظيم السياسي الحاكم بل قد توجد في جميع التنظيمات الاجتماعية المكونة للمجتمع، فكل جماعة منظمة في المجتمع صغيرة أو كبيرة مؤقتة أو دائمة، لها بناءها الخاص من السلطة[3].

وحسب عرضنا السابق لمفاهيم السلطة يمكننا القول أن وجود قوة قاهرة تأخذ على عاتقها نظم المجتمع وبنائه أمر ضروري وحتمي، لأن الفطرة الإنسانية تؤكد أن قيام النظام الاجتماعي يحتاج إلى قوة مسيطرة قاهرة تنظم مختلف التشكيلات الاجتماعية، وسنحاول عرض مختلف هذه التشكيلات في الجزائر خلال الوجود العثماني وتحديدها بمختلف النظريات السابقة الذكر، فحياة الفرد تتشكل طوعا أو كرها وفق القالب الذي تضعه قوة هذه التنظيمات بسطوتها وقوتها[4]. وبما أن الإنسان هو جزء من الجماعة فهو

1- حميدة عميراوي، من الملتقيات التاريخية الجزائرية، ص. 101.

2- حميدة عميراوي، المرجع نفسه، ص. 102.

3- إسماعيل علي سعد، المجتمع والسياسة، ص-ص. 164-166.

4- أبو الأعلى المودودي، الحكومة الإسلامية، ترجمة أحمد إدريس، ديوان المطبوعات الجامعية، ص. 49

يخضع لاحترام بعض الأنظمة وتنفيذ أحكامها[1]، ومن خلال كل المفاهيم السابقة نتساءل عن السلطة هل هي دوما قاهرة أم أنها لها وجه آخر هو قبولها والموافقة عليها؟ وعن نوع السلطة في الجزائر أواخر العهد العثماني؟ والسؤال الرئيسي الذي يمكننا طرحه من كان يتولى السلطة شرعا في الجزائر؟

وأخيرا يمكننا أن نجيب على كل هذه التساؤلات وغيرها من خلال فحص او عرض مختلف التشكيلات الاجتماعية الجزائرية والتمييز بين مختلف الروابط التي تجمع بين أفرادها وكذلك مختلف القوى "السلطة التي تسيرها".

ثانيا- مجال السيادة في الجزائر:

الجزائر في الأصل هي جمع جزيرة وهي أرض في البحر ينجزر عنها المد وهذه الأخيرة هي قاعدة ملك الأمراء العثمانيين في المغرب الأوسط[2]. أو الواسطة حسب ما أورده محمد بن عبد القادر الجزائري[3]. وقد حاول الكثير من الدارسين سواء غربيين أو عرب تحديد حدود هذا البلد. ومهما يكن من محاولة لتعيين هذه الحدود خلال القرن 18م فهذه الأخيرة لم تعرف الثبات والاستقرار ولعّل هذا ما دفع نوشي إلى وصفها بالحدود الغير ثابتة، أو ما يمكن أن نعبر عنه بالحدود البشرية بدل الحدود السياسية وفقا للوضع الاجتماعي السائد[4]. وقد وضع الدكتور شو(Shaw) خلال القرن 18 خريطة وضّح عليها معالم وحدود

1- جان وليام لابيار، السلطة السياسية، ترجمة الياس حنا الياس، ص. 7.

2- أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، مطبعة البعث، قسنطينة، ص. 251.

3- محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، تعليق وتحقيق محمود حقي، دار اليقظة العربية، 1964، ط.2، ص. 11.

4- عميراوي حميدة، علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، دار البعث قسنطينة 2002، ص. 16.

الجزائر التي وصفها بأنها من أهم الحكومات العثمانية في إفريقيا، يحدها من الغرب تطوان وجبال درارا، جنوبا الصحراء، شرقا نهر الزيابي، وشمالا البحر المتوسط[1].

وهذا الأخير الذي يعرف الموضع أكثر من غيره يعتقد أن عرض المملكة في اتجاه تلسمان لا يتجاوز 40 ميلا، وأن متوسط 60 ميلا يمثل عرض المملكة انطلاقا من البحر الأبيض حتى الصحراء، إلاّ أن هذا الامتداد يختلف من مكان إلى آخر حيث يصل على أكثر تقدير 900 ميل من الشرق إلى الغرب[2]. ونلاحظ أن شو حاول وضع حدود اجتماعية عرفية وهذا يعني أنه كان مدركا لفعالية هذه الحدود الاجتماعية في الإيالة الجزائرية خاصة الحدود الشرقية والغربية على عكس شالر الذي حاول وضع حد سياسي فاصل، حيث وضح أنه يحد القسم الغربي من المملكة الجزائرية إمبراطورية المغرب الأقصى، ومن الشمال البحر الأبيض المتوسط ومن الجنوب الصحراء الكبرى، أما من الشرق فيحدها الأراضي التونسية[3] وقد وضح محمد شريف الزهار أنّ الحد بين عمالة تونس والجزائر يقال له سراط[4]. أما الورتلاني فذكر أن مدينة الكاف هي حد مدائن تونس، ولا مدينة بعدها وقد عبّر محمد بن عبد القادر عن هذه الحدود بدقة أكثر في كتابه تحفة الزائر، حيث وضّح أنه يحد المملكة الجزائرية من جهة الغرب تخوم وجدة أي وادي ملوية وبجاية إلى القالة، ومن جهة الشمال بحر الروم المحيط بشطوطها من مصب وادي عجرود فيه من وراء البلاد مسيردة غربا إلى القالة شرقا، ومن جهة الجنوب العرق المحيط بالتلول ومن قرب قصور توات غربا

1-Shaw (Thomas) ,Voyage Dans La Régence D'Alger , Trad, De Anglais,Par Mac Carty, Paris, Marlin1830, P- P. 1-2.

2- shaw , op. cit, p.3.

3- وليام شالر، مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر [1816-1824]، تعريب وتعليق إسماعيل العربي، ش.و.ط، ص. 26.

4- محمد شريف الزهار، مذكرات نقيب أشراف الجزائر، تحقيق أحمد توفيق المدني، ش. و. ط، 1980، ص. 48.

إلى بلاد الجريد[1] شرقا[2]. وقد قدرت مساحة الجزائر حوالي 30 ألف ميل مربع[3]، وتبقى هذه الحدود من القضايا التي استمرت موضع خلاف مثلما استمرت وسيلة تقارب وتبادل المصالح بين الأنظمة والاعراش، والحد أو التخم هو خط مرسوم يحدد وجود مجال سياسي معين، على هذا الافتراض تكون الحدود شكلا من أشكال ممارسة السلطة[4]، ،على الرغم من أنّ رسم الحدود ضّل هشا على أرض الواقع مع هذا تعددت وتشابكت فيما بينها وتبقى دائما ترجمة للسلطة ومجالا للسيادة ومظهر للتنظيم الداخلي والعلاقات السياسية والاجتماعية، فحدود قسنطينة مثلا لم تكن ثابتة ومرسومة، فالتخوم كانت محددة بشريا أكثر مما كانت محددة سياسيا[5]، فأوطان القبائل والعشائر في الجزائر لم يكن ولاءها ثابتا لنظام حكم واحد بل يتغير مجال السيادة لهذا النظام أو ذاك، كما أن حدود الجنوب الجزائري التونسي كانت محل نزاع دائم بين سكان المنطقة حسب رأي فيرو شال أن سكان وادي سوف كانوا يعتبرون مدينة نفطة ملكا لهم[6]، وأكبر دليل على ذلك المراسلة التي قام بها أحمد باي قسنطينة إلى حسين باشا حاكم تونس إذ قال أحمد باي: "إن ورغة قد تعد الحد الفاصل بينهما، وبين الحنانشة، وهذا السبب يوقع بينهم الفساد وإن شئت فابعث من يف على الحد المعروف والرسم الفاصل المألوف" وجاء رد مصطفى باي تونس كالتالي:

1- ويقصد بالبلاد كما أوضح شو، البلاد اليابسة الجافة. Shaw , Voyage Dans La Régence D'Alger, p. 4

2 – محمد عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، ص-ص. 14- 15. وكتاب أحمد بن سحنون، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، ص. 253

3- وليام شالر، مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر [1816-1824]، ص. 28.

4- عميراوي حميدة، علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبدايةالاحتلال الفرنسي، ص-ص. 17-18.

5- عميراوي حميدة، المرجع نفسه، ص. 19.

6 -Feraut (Ch) , "Note Historique Sur La Province De Constantine, Les Ben Djellab" , In R. A 1882, P-P. 361-386 .

"وقوله إن ورغة قد تجاوزت الحد فإن ما وجدنا عليه من قبلنا، لم نتجاوزه ولازلنا باقين على حده وها نحن موجهون من له خبرة وبصارة بأرضهم وحدودها فإن وجدهم قد تجاوزوا حدهم ولو قدر فإنا نرجعه ونحكم فيهم"[1]. كما أن الغزوات المستمرة بين السلطات العثمانية والتوسية والتي قدرها حمدان بـــ 11 غزوة قامت بها القوات العثمانية على تونس لإخضاعها لسيادتها[2]، ومن الجدير بالملاحظة أن سنة 1023هـــ /1614م، شهدت ضبط الحدود بين الجزائر وتونس من جهتها الشمالية الغربية باعتبارها بوابة الصراع فكان الحد الفاصل واد صراط[3]. ولا يختلف الوضع في التخوم الغربية حيث كان يتغير بحسب العلاقة بين المغرب الأقصى والإيالة الجزائرية ففي عهد محمد الكبير مثلا كانت قبائل عرب أنقاد تارة بجانب الجزائر وأخرى بجانب المغرب[4]. وقد كان الصراع قائم بين سلاطين المغرب والعثمانيين، لضم مملكة تلمسان وأول حملة لاسترجاع تلمسان من المهدي هي ضد عبد الله بن محمد الملقب بالشيخ وبالسلطان المهدي[5]، وقد قام بها حسن بن خير الدين لاسترجاع تلمسان بقيادة حسن قوضو وانسحب على إثرها

1- عميراوي حميدة، علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، ص-ص. 17-18.

2 -Hamden Khodja, Le Miroir, Aperçu Historique Et Statistique Sur La Régence D`Alger, Introduction D`A. Djeghloul. La Bibliothèque Arabe Sindbad 1985, p. 98.
_Feraut (Ch),"Note Historique Sur La Province De Constantine, Les Ben Djellab", In R. A 1882, P-P. 361-386.

3- ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، المطبعة التونسية، ط. 1، ص. 184. ويضيف نور الدين عبد القادر أن الحدود عينت من واد السرات إلى وادي ميلاق (بتشديد اللام) ثم إلى البحر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، نشر كلية الآداب، قسنطينة، مطبعة البعث، 1965، ص. 124.

4- عرب أنقاد: أهم قبيلة كانت لا تزال تقطن بسهل وجدة، وهم عرب رحل نزلوا بالمكان في القرن 14 بأمر من ملوك تلمسان، مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة، ش، و، ط، الجزائر 1979، ص. 153.

5- ولد هذا الأخير 396هـــ بدرعة، استولى على فاس 956هـــ.

محمد الشيخ وتبعه محمد قوصو إلى وادي ملوية واعترف هذا الأخير بالحدود بين الجزائر والمغرب[1]، إلاّ أن المناوشات على الحدود بين البلدين بقيت مستمرة، وتراجعت إلى وادي تافنة سنة 1064هـ، إثر معاهدة بين المولى محمد والباشا أحمد[2]، لكن معاهدة وجدة بين الداي شعبان وإسماعيل أعادت الحدود من تافنة إلى وادي ملوية 1103هـ[3]. وقد أشار بن ميمون أن الحدود استمرت على هذه الحال حتى الدخول الفرنسي[4].

ثالثا- المجتمع الجزائري أواخر العهد العثماني:

1- تعريف المجتمع:

إنّ المجتمع واقع كلي يشمل جميع الأشكال الاجتماعية التي يسود بين أفرادها علاقات مستمرة، نفسية وخلقية واقتصادية وسياسية وثقافية، وقد عُرف الفلاسفة المجتمع بأنه يتمثل في مختلف العلاقات

1- وقد أبرمت هذه المعاهدة عند وادي ملوية بين حسن قورصو ومحمد الشيخ في صفر 958هـ. وبنودها سبعة:

1- وادي ملوية هو الحد الفاصل بين الجزائر والمغرب.

2- احترام الحدود القائمة بين البلدين والموروثة عن مملكتي الزيانيين والمرنيين.

3- عدم الاعتداء على بعضهما.

4- عدم التدخل في الشؤون الداخلية لكل بلد.

5- عدم التحالف مع عدو كل طرف أو أي طرف آخر ضد الطرف الثاني.

6- عدم تأييد الثائرين على النظام القائم بكل بلد.

7- التعاون فيما بينهم ضد الإسبان.

Court Augustes, L'établissement Des Dynasties Des Chérifs Au Maroc Et Leur Rivalités Avec Les Turc De La Régence d'Alger (1509-1830) Paris , 1904. p. 122.

2- وقد وقع الصلح بين مولاي محمد بن شريف الذي عاهدهم بلادهم بكتابة مولاي رشيد الذي عمل معهم الحد على وادي تافنة. وذلك سنة 1089هـ، نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى إنتهاء العهد التركي، ص-ص. 125-126.

3- للمزيد من المعلومات ينظر مكي جلول، مسألة الحدود بين الجزائر والمغرب رسالة ماجستير، تحت إشراف الدكتور مولاي بلحميسي، معهد التاريخ، جامعة الجزائر 1413هـ/1993م.

4- بن ميمون محمد الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تحقيق محمد بن عبد الكريم، ش. و. ط، ط. 1، ص. 25.

الاجتماعية التي تنشأ بين البشر بعضهم ببعض على أن يكونوا شاغلين لمكان معين في زمان معين[1]. وينطبق هذا التعريف على العائلة والقبيلة والقرية والمدينة، فالكل الاجتماعي الذي يحمل اسم المجتمع هو إذن واقع قائم بنفسه[2]، وكما جاء في مقدمة ابن خلدون إن الاجتماع الإنساني ضروري، ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم **"الإنسان مدني بالطبع، أي لابد من اجتماع"**[3]. وهذه التعاريف تنطبق على واقع المجتمع الجزائري، إلاّ أن كل مجتمع يحمل في ثناياه تاريخه وخصائص بنيانه السابقة لان للاحداث التاريخية تأثير واضح على البناء الاجتماعي فالمجتمع الجزائري هو مجتمع مكوّن من "الخلايا الإثنية" تعيش على نفسها[4].

2- خصائص بنية المجتمع الجزائري:

وسنحاول من خلال هذا العرض معرفة خصائص بنية المجتمع الجزائري أواخر العهد العثماني.

لقد تميزت الفترة العثمانية التي ابتدأت في الربع الأول من القرن 16م (1516م) بالتحرش الإسباني، وانتهت في الربع الأول من القرن 19م (1830م) بالغزو الفرنسي، بوضع اجتماعي متميز وبالرغم من أنه يصعب تحديد عدد سكان الجزائر، إلاّ أن هناك بعض الدراسات التي حاولت ذلك، فقد قدّر دوبارادي عدد سكان الجزائر بالعاصمة حوالي 125 ألف نسمة إلى 30 ألف نسمة وربما يزيد عددهم عن ذلك، هذا بالإضافة إلى عدد النساء التي يصعب عدهن لأنهن محتجبات[5]، بينما ذهب ياكونو (yacono) إلى القول أن عدد سكان الجزائر لم يتعدى ثلاثة ملايين نسمة[6]، على خلاف حمدان الذي قال أن عدد سكان الجزائر

1- إسماعيل علي سعد، المجتمع والسياسة، ص. 15.

2- ناصف النصّار، نحو مجتمع جديد، دار الطبعة، بيروت، ط. 4، 1981، ص. 85.

3- ابن خلدون، المقدمة، تحقيق علي عبد الواحد، دار الرائد العربي، بيروت، ط. 5، 1982، ص. 272.

4 - Valensi Lucette, Le Maghreb Avant La Prise d'Alger(1790-1830), Flammarion, Paris, 1969. p. 49.

5 -Venture De Paradis, Alger au XIII siècle,édité par E. fagnons, Alger Typographie, Adolphe Jourdan Imprimeur Libraire Eduteur 1898,p.3.

6 -Yacono,"Peut-On Evaluer La Population De L`Algérie Vers 1830" ,In R. A 1954, P-P. 277-307.

كلها بلغ حوالي 10 ملايين نسمة[1]. وقد ذهب غيرهما إلى أن عدد السكان قدّر بحوالي مليون نسمة عام 1830، وأن هذا العدد كان موزعا على سكان الريف والمدينة معا[2]، وبالرغم من عدم وجود إحصائيات رسمية، فإن بعض التقديرات تشير إلى أن سكان الجزائر في نهاية العهد العثماني كان يتراوح بثلاثة ملايين ونصف مليون نسمة وأن خمسة بالمائة من هؤلاء السكان كانوا يعيشون في المدن و95% كانوا يعيشون في الريف[3]، ومنه يمكننا القول أن السمة الغالبة على المجتمع الجزائري أواخر العهد العثماني هي ازدواج الحياة بين الحضري والبدوي, فالتركيب الاجتماعي للسكان في القطر الجزائري يكون واحد سواء بايلك الشرق أو بايلك الغرب أو التيطري, وقد إتخذ التنظيم الاجتماعي القائم على مبدأ التفاضل ومن خلال نوعية التعامل وطبيعة العلاقة مع السلطة شكل هرم مقلوب، تحتل أعلى قمته الطائفة التركية وتليها الجماعات المساندة التي تحصل على أكثر الامتيازات دون الخضوع لأية مطالب، وأما قاعدة الهرم المقلوب فتتشكل من طائفة البرانية في المدن وجماعات الرعية في الريف وحسب رأي سعيدوني "... هذا ما حمل مخاطر كانت تهدد بتفكك المجتمع والقضاء على الأسس التي كان يقوم عليها نظام الحكم"[4]، وهذا الوضع الاجتماعي المتدهور المبني على التفرقة بين عناصر السكان نتيجة للسياسة المنتهجة في تكريس التفاوت الطبقي والولاء للسلطة الحاكمة، أدى لنقمة الطبقة المحرومة، المنهكة بالضرائب والإتاوات وجعلها تتحين الفرص بمحاولة التخلص منه، وبالتالي أدى لاستمرار الصراع بين من يملك ومن لا يملك، وأدّى لتوسيع

---

1 - Hamden Khodja, Le Miroir, Aperçu Historique Et Statistique Sur La Régence D`Alger, Introduction D`A. Djeghlou. P. 45.

2- عميراوي حميدة، من الملتقيات التاريخية الجزائرية، ص. 26. كما أكد وليام شالر في مذكراته أن هذا الشعب لا يتجاوز عدد أفراده مليون نسمة ومعظمهم من الرعاة. ص. 191.

3- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (1792-1830)، ط. 2، المؤسسة الوطنية للكتاب 1985، ص. 41.

4- ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ط. 1، ص. 177.

الهوة الموجودة بين الطبقات مما كان له الدور الكبير في تشتيت القوى الاجتماعية [1]. وتتطلب الدراسة منّا الفصل بين مجتمع المدينة ومجتمع الريف على الأقل من حيث التنظيم الاجتماعي.

2-1- سكان الريف:

كان الريف يمثل الواقع المهيمن في الجزائر قبل الاستعمار، إذ لم تكن المدن الجزائرية تمثل في مطلع القرن 19 سوى نسبة خمسة بالمائة إلى ستة بالمائة كما ذكرنا آنفا، ومن المعلوم أن البنيات الاجتماعية في القطر الجزائري لا تختلف كثيرا من منطقة لأخرى حيث كان أساس الهرم الاجتماعي للريف الأسرة التي تعد الخلية الأساسية في تكوين المجتمع وتكون هذه الأسرة تحت مسؤولية الوالد أو الأخ الكبير، ثم تلي الأسرة الدشرة أو العرش حيث كانت كل عشيرة تتشكل من مجموعة من الخيام في مكان معين يطلق عليها (دوار) وقد كانت العشيرة في شؤونها الخارجية لأكبر أبناءها سنا، وتُشكل مجموعة الاعراش القبيلة التي تعتبر وحدة سياسية واقتصادية واجتماعية [2].

فالقبيلة لم تكن تتكون من أفراد ينحدرون بالضرورة من جد واحد على الرغم من أنّ الجد كان المرجعية بالنسبة لأفراد القبيلة. فالقبيلة أو العشيرة: تتكون من أفراد تجمعهم مصلحة واحدة، يدين لها أفرادها بالولاء التام للحصول على الأمن والرزق [3]. وهي بنوعيها الزراعية (المستقرة) والرعوية (المتنقلة) تعد الأساس الثاني بعد الأرض للحياة الاجتماعية [4] وهذا يؤكد قول نوشي بأنه: "لن نفهم شيئا عن المغرب العربي إذا استبعدنا القبيلة... " [5] ويعيش العرب والبربر وفق هذا التنظيم القبلي القوي كمّا عبّر عن ذلك الجابري "إن

1- مبارك محمد الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر الحديث والقديم، ج. 3، مكتبة النهضة الجزائرية، بيروت 1964، ص- ص 316-317.

2- محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، ش. و. ط، ص- ص. 45-46.

3- عميراوي احميدة، من الملتقيات التاريخية الجزائرية، ص. 37.

4- عميراوي احميدة، علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبدايةالاحتلال الفرنسي، ص. 21.

5 - Noushi (A) , Sur Le Féodalisme, Cahier Du C. E. R. M. Ed,Social,1974, P. 183.

القبيلة... تكبر بتحالف أو غيره، حتى تغطي منطقة بكاملها، وتصبح قوة سياسية وعسكرية يحسب حسابها، لأن أفراد القبيلة الذكور كانوا كلهم محاربين وكان دورهم الاجتماعي تابع لدورهم الحربي قوة وضعفا، وكان هؤلاء الفتيان المحاربون في القرى بمثابة الأسوار في المدن"[1]. وهكذا يمكننا القول أن التركيبة الاجتماعية للريف الجزائري تتمثل في الدوار كأكبر تجمع والفرقة كأصغر وحدة للقبيلة. ووفق هذا التنظيم القبلي، تعد العائلة الوحدة القاعدية الاقتصادية والاجتماعية للقبيلة يحكمها نظام من القيم الموروثة عبر الأجيال[2]. كما لا يفوتنا ونحن نتحدث عن التنظيم الاجتماعي لسكان الريف بأن نذكر أنّ معظم العشائر لها رئيس يتصف بالصلاح والتضحية، ويتمتع بسمعة طيبة بين أبناء القبيلة، يسهر على مصالح أفراده ويحافظ على سيرة أبنائها[3]. وتعتبر العصبية من أهم الشروط التي يجب أن تتوفر في شيخ القبيلة لتشد أزره[4]. فأساس قوة المجتمع القبلي هي العصبية، كما حددها محمد عابد الجابري فهي "رابطة اجتماعية سيكولوجية، شعورية ولا شعورية معا، تربط أفراد جماعة ما، قائمة على القرابة، ربطا مستمرا يبرز ويشتد عندما يكون هناك خطر يهدد أولئك الأفراد كأفراد أو كجماعة"[5]. وابن خلدون رأى أن العصبية استمرت فقط عند القبائل التي تمكنت من الحفاظ على استقلالها بقوله: "إن المذلة والانقياد، كاسران

1- الجابري محمد عابد، العصبية والدولة، مركز دراسات الوحدة العربية، 1992، بيروت، ص. 23.

2-طاهر عمري، دور بنى المجتمع الجزائري في مقاومة الاستعمار، (1830-1900)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الأمير عبد القادر-قسنطينة 1989، ص. 45.

3- إبراهيم محمد الطلاوي، مزاب بلد كفاح، دار البعث، قسنطينة، 1970، ص. 59.

4- جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط، خلال القرنين 3-4 هـ/ الموافق ل9-10م، ديوان المطبوعات الجامعية، ص. 252، كما أن هذا الأخير قسم المجتمع القبلي الجزائري تقسيما دقيقا فالقبيلة تضم عدة جماعات داخلية ابتداء من الأسرة والرهط والعائلة، ثم العشيرة ثم الفخذ ثم البطن وتجمع عدة بطون فتشكل العمارة ومن مجموع عدة عمائر تتألف القبيلة.

5- محمد عابد الجابري، العصبية والدولة، معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، ط. 2، دار البيضاء، 1982، ص. 254.

لصورة العصبية وشدتها"[1]. كما يقول: "أن الأوطان الكثيرة القبائل والعصائب قلّ ما تستحكم فيها دولة ما"[2].

وتدعيما لما شرحناه سابقا عن القبيلة نحاول سرد بعض النماذج عن التنظيمات القبيلة التي كانت تحكم الجزائر. فالمجتمع الريفي ببايلك قسنطينة مثلا حسب ما أورده الرحالة الفرنسي (peyssonel) ينقسم إلى عدد كبير من القبائل المتكونة من عدد من الأسر التي تنتمي إلى أصل واحد، وهذه الأخيرة تشكّل قرى صغيرة تسمى الدوار وكل دوار يتكون من ثمانية إلى 10 خيام ولكل قبيلة من القبائل شيخ يحكمها، وكان الشيخ عادة أكثر أفراد القبيلة سنا وحكمة وهو الأمير والقائد، ويساعده في تسيير شؤون القبيلة طالب أو كاتب وباش مكاحلي (رئيس الحرس) وزمالة*.

أما قبائل البربر فحسب ما أورده ابن خلدون تنقسم إلى بتر وبرانس[3]، وتخضع هذه القبائل إلى تنظيم اجتماعي واحد، سواء كانت قبائل مستقرة أو رحالة وتمتاز هذه القبائل بالحلف في ساعات العسر وتصبح واحد لشن الغارات على العدو، وهم يلبّون في ذلك نداء الدم ولا يستجيبون لداعي العقل، إذ أنهم يعتبرون من العار التخلي عن حليفهم فكأنما ضرب فيهم مثل "أنصر أخاك ظالما أو مظلوما"[4].و أكثر ما يجمع هذه القبائل هو "قوة العصبية القبلية وضعف العصبية الوطنية فيما بينهم"[5].

1- ابن خلدون، المقدمة، ص. 141.

2- ابن خلدون، المصدر نفسه، ص. 143.

*زمالة: هي فرقة مسلحة من الفرسان العرب ومن يتبعهم من المماليك و الرعايا، فيلالي السيايخ، الثورات الشعبية ضد الحكم العثماني (1827/1800)، ص.8.

3- ابن خلدون، العبر في ديوان المبتدأ والخبر والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط. 2، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1961، ج. 6، ص. 175.

4- عبد الوهاب منصور، قبائل المغرب العربي، جائزة المغرب، 1968، ج1، مطبعة الملكية، الرباط، 1968، ص. 281.

5- عبد الوهاب منصور، المصدر نفسه، ص 280.

فالنظام الاجتماعي القبلي البربري حسب ما ذكره توفيق المدني يتكون من العائلة أو مجموع من العائلات التي من أصل واحد وتسمى (الخروبة) [1] ومجموع الخروبة يؤلف القبيلة، وتجمع هذه القبائل حول ذكرى جد واحد، فينادى عليها باسم آيت أي أهل فنجد آيت بالقاسم مثلا آيت مقران ويقصد بها أهل بالقاسم، أهل مقران... الخ، ويسير أمور هذه القبائل مجالس محلية عرفية هي مجالس الجماعة ويجتمع بها رؤساء الخروبات والمشايخ والأعيان، ولهذا المجلس سلطة واسعة حيث يتكفل بالمسائل الحياتية والسياسية والمالية، أما قراراته فتتخذ باجماع الآراء، وينتخب رئيس المجلس مرة كل سنة ويسمى (امرار) [2] أو الكبير ويقوم هذا الأخير بتنفيذ قرارات الجماعة، وهناك في بلاد البربر فوق مجلس الجماعة مجلس يجمع ممثلي القبائل كلها لا يجتمع إلاّ نادراً أو في الظروف الخطيرة[3]. وتغلب صفة التعاون بين أفراد هذا المجتمع ذكورا وإناثا داخل الأسرة والقرية فالفرد كذات لا يساوي شيء بالنسبة للضمير الجمعي، ومن ثم كان الفرد من الناحية العلمية وبمصطلح فلسفي موضوع بالنسبة للذات أي المجتمع[4]. وقد تتحد هذه القبائل وفق ما يسمى (احلاف الصف) لتحدد موقفها من القبائل الأخرى[5]. ومن أهم القبائل التي التزمت بمبدا الصف كاولاد حداد، أولاد سنان، أولاد دراج، أولاد حمزة، أولاد مقران وبني عباس بالغرب وإلى الشمال من سطيف

1- الخروبة: وحدة عائلية تخضع لسلطة الكبير في العائلة الذي له حق الإشراف على أمور الخروبة مثل حفظ النظام، وفض المشاكل العائلية، وفض القضايا الخاصة، وإليه يرجع أمر الزواج والطلاق، وهو الذي يقوم بإكرام الزائرين والضيوف باسم الخروبة، ويسير الأعمال الفلاحية ويوزعها، فمجموع العائلات يؤلف الخروبة، ومجموع الخروبة يؤلف القبيلة. أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، دار المعارف، الجزائر، 1963، ط. 2، ص. 102.

2- وذكره عبد الوهاب منصور باسم "آمغار" وهو يمثل شيخ القبيلة، قبائل المغرب، ص. 281.

3- أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، دار الكتاب، البليدة، ط. 2، 1832-1963، ص-ص. 102-103.

4- عميرواي حميدة، جوانب من السياسة الفرنسية وردود الفعل الوطنية في قطاع الشرق الجزائري، دار البعث، ط. 1، ص. 25.

5 -hanoteau et letourneux, la kabylie et les coutumes kabyle,T. 2,éditeur a. challamel. Paris 1893, P-P. 11-12.

كذلك قبائل بني عمران وبني عامر وبني سيار، وبني خطاب وفرجيوة وزواغة وساحل البابور بالشمال طيني[1]، وقبائل فليسة[2] وزواوة[3].

كما تعتبر قبائل بني ميزاب من أقوى القبائل الجزائرية لها نظام اجتماعي مميز تسير وفقه ولا يمكنها مخالفته كما لا يمكن لأي نظام أن يخترقه، وقد اختار هؤلاء نظام يحاكي نظام الإمامة في حفظ الدين وصيانة الجمهور من التلاشي إلاّ أنه مصغر وهو نظام المجالس الدينية، وسمي بمجلس (العزابة)[4]، وقد تشكل هذا الأخير وفق بلاد ميزاب السبع غرداية، بني يزقن، مليكة، بنورة، العطف، القرارة، بريان، وتتكون كل بلدة من عشائر ومن هذه العشائر تختار الهيئات ذات النفوذ الديني والدنيوي[5].و يتولى شؤون هذه القبائل شيخ وادي ميزاب العام في حالة الدفاع وقيادة الشعب وفي حالة السلم غير أنّه مقيد بمشورة المجلس، ويعقد هذا الأخير فيما بين ثلاثة أشهر إلى سنة وكذلك في حالة الطوارئ[6]، ويمثل القوة التنفيذية المخزنية في البلد[7] وهذا القسم من القبائل يعتبر من السكان الأصليين للبلاد وقد حافظو على استقلالهم، فلم يخضعوا للفاتحين من عرب وأتراك، بل التجئوا إلى المناطق الجبلية حيث تحصنوا بها وما يميز هذه القبائل أنهم كانوا يميلون إلى الاستقلال والحكم ذى الطابع الجمهوري[8]، كما وضحّ شالر أن كل قبيلة من بني ميزاب يحكمها مجلس يتكون من 12 عضو من الأعيان ومجلس العزاب الذين ينتخبهم الشعب، وقد كان لهذا المجلس أعظم الأثر

1- فلة القشاعي، النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني، 1771-1873م، جامعة الجزائر، 1989 - 1990، رسالة الدراسات المعمقة، تحت إشراف ناصر الدين سعيدوني، ص. 33.

2- فليسة: هي أحد القبائل الكبيرة في الجزائر وقد كانت تضم تحت حوزتها المناطق الممتدة من دلس إلى القل.

3- زواوة: هي كذلك إحدى القبائل الكبيرة في الجزائر وقد كانت تضم تحت حوزتها حوالي 300 قرية.

3 -Venture De Paradis, Alger Au XIII Siècle, P-P. 13-14.

4- العزابة: وهي الهيئة العليا ولها سلطة مطلقة في كل ما له علاقة بالدين، أحمد توفيق مدني، كتاب الجزائر، ص. 105.

5- أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص-ص. 105-106.

6- أحمد توفيق المدني، المرجع نفسه، ص. 101-110.

7- أحمد توفيق المدني، المرجع نفسه، ص-ص. 112-113.

8- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، دار الغرب الإسلامي، ط. 1، 2000، ص. 157.

في استقرار بني ميزاب وتنظيم حياتهم الاجتماعية، وذلك بوضع القوانين والأحكام في الجرائم والجنايات والمعاملات، ومجموعة قوانين التي يسير عليها بني ميزاب مدونة وتعرف (باتفاقيات وادي ميزاب)، ويحمل هذا المجلس اسم الشيخ عمي السعيد[1] ويعاونه هيئة العزابة وله سلطات عامة في حكم البلاد منذ الماضي، وتتجلى تلك السلطات في مجالات الحساسة الأربعة: الدينية، الاقتصادية، السياسية، والاجتماعية[2].

وهم لا يعترفون إلاّ بسلطة الامين الميزابي الذي يقيم في الجزائر وبلدهم يتمتع باستقلال تام عن حكومة الايالة[3].

أمّا عن قبائل الصحراء فيقول حمدان "... إن أصل هؤلاء عربي، والقيادة فيهم يتوارثها الآبن عن الأب أو يزعمون أن هؤلاء القادة ينحدرون عن النبي داوود ويتصرف كل واحد في 10 آلاف خيمة، لا تبقى في مكان واحد أكثر من شهر"[4]. بعد أن وضحنا النظام الاجتماعي الذي تسير عليه القبائل في الجزائر وحتى لا يظل ما تحدثناه عن القبيلة في الجزائر سابقا مجرد تعليمات نظرية، فإننا نرجع إلى مصادر في هذا الموضوع وهو المجلة الإفريقي (revue africaine) التي تعطينا نموذجا للقبيلة الجزائرية ما قبل الاستعمار وهذا النموذج ليس الوحيد بل يشكل بشكل جيد البنية الاجتماعية للقبيلة وهذه القبيلة هي مسيردة الواقعة في منطقة التل الساحلي للجزائر يقول كاتب التقرير "إن هذه القبيلة تمتاز بالامتزاج العرقي بين العرب والبربر بحيث يصعب التمييز داخلها بين العنصرين، كما يذكر أن هذه القبيلة تأثرت كثيرا بطرق

1- عمي السعيد بن علي بن بو حميدة بن عبد الرزاق بن سعيد الجبري، المتوفى 898هـ / 1492م وقد وفد إلى ميزاب سنة 1450م وأسس مجلسه يوم 13 شوال 855هـ/1452م ويعتبر مجلس عمي السعيد هو الهيئة التشريعية ومجلس الاستئناف الأعلى، يتكون أعضائه من قضاة البلاد، وعلمائها، يتولى رئاسته أحد العلماء البارزين وتعقد جلساته كل ثلاثة أشهر، حمو محمد عيسى النوري، نبذة من حياة المزابيين الدينية والسياسية والعلمية من سنة1505-1966م، دار الكروان باريس1984، ج. 1، ص. 164.

2- حمو محمد عيسى النوري، المرجع نفسه، ص- ص. 161-164.

3- وليام شالر، مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر، تحقيق إسماعيل العربي، ص. 111.

4- حمدان خوجة، المرآة، تحقيق وتعليق محمد العربي الزبيري. 76.

الصوفية..."[1]. ومن أهم القبائل التي كان لها دور في العهد العثماني نجد في عمالة الجزائر مثلا في جبال جرجرة كل من قبيلة زواوة وهي تشمل حوالي 300 قرية، وفليسة[2]، أمّا في عمالة وهران فمن أكثر القبائل شهرة هي قبيلة مازونة وهي من زناتة وتوجد في الجبال الواقعة قرب مستغانم[3]، كما توجد إلى جانب هذه القبائل قبائل لا تنتمي إلى البربرية إلاّ بالنسب ويطلق عليها (البربر المستعربون) ومن أشهرها، أولاد عبد النور وينتشرون في السهول بين قسنطينة وسطيف، الحنانشة (سوق أهراس)، النمامشة[4] (قرب تبسة). الحراكتة (قرب عين البيضة) أمّا في نواحي الغرب (وهران) فمن أشهر القبائل زناتة قرب تلمسان[5]. بالإضافة إلى أولاد حدّاد وأولاد سنان، أولاد دراج وأولاد مقران، وبني عباس[6] بالجهات الواقعة إلى الغرب وإلى الشمال من سطيف، أما بضواحي الصحراء فمن أشهر القبائل بها قبيلة الذوادة التي لعبت دورًا هاما في تاريخ الشرق الجزائري منذ عهد زعيمها صخري يعقوب بن علي الذي كان له النفوذ الفعلي بالزيبان[7] ومن المعلوم أن جميع هذه القبائل تسير وفق النظام العشائري السالف الذكر، وهي لا تخضع في حكمها إلاّ

1 - Gabriel, "La Tribu De Msirda" ,In R. A, 1927, P. 74.

2 - Venture De Paradis, Alger Au XIII Siècle, P.17.

3- أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص-ص. 118-119.

4- النمامشة: لقد اشتهرت بقوة شكيمتها خاصة في منطقة شرق الأوراس. فلة القشاعي، النظام السضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1771-1873م)، رسالة الدراسات المعمقة، تحت إشراف ناصر الدين سعيدوني، جامعة الجزائر، 1989-1990 ص. 33.

5- أحمدتوفيق المدني، المرجع السابق، ص- ص. 119-120.

6- عرّف وليام شالر بني عباس بأنهم قوم يقطنون الجبال التي تمتد بين الجزائر وقسنطينة ويستطيعون وحدهم تحدي جميع القوات التي تملكها حكومة الجزائر وهم سادة هذه المنطقة ومن شدة عداوتهم للأتراك يعتبرون كل أجنبي تركي فيقتلونه، مذكرات، تحقيق اسماعيل العربي، ص 116.

7- أحمد مبارك الميلي، تاريخ حاضرة قسنطينة، تصحيح وتعليق نور الدين عبد القادر، الجزائر1952، ص. 54.

لمجلس الجماعة الذي ذكرناه آنفا، وقد كان هذا النظام هو السبب في عجز الأتراك عن إخضاع هذه القبائل خضوعا تاما وتركهم يعيشون بجانبهم أحرارا[1].

وقد توصّل سعيدوني إلى تصنيف هذه الفئة من المجتمع تصنيفا جديدا وذلك حسب صاحب الحكام:

1- سكان متعاونون (قبائل المخزن)

2- سكان خاضعون (قبائل الرعية).

3- سكان متحالفون (الأحلاف).

4- سكان ممتنعون (في المناطق النائية والجبلية)[2].

كما توصل الدكتور سعد الله إلى نتيجة مهمة وهي: "إن الريف الجزائري كان متنوع الحكم، ولكن أقسى أنواع الحكم فيه هو المسلط على الرعية طبعا، والعلاقة بين السلطة والسكان علاقة استغلالية محضة"[3].

2-2- سكان المدينـــة:

إنّ أكبر العواصم في القطر الجزائري كانت تحت نفوذ الأتراك مباشره، فكما سبق وذكرنا إن سكان المدن في مطلع القرن 19، لم يمثلوا سوى نسبة خمسة بالمائة إلى ستة بالمائة من مجموع السكان، فمثلا سكان مدن بايلك الشرق الجزائري يمثلون حوالي ثلاثة بالمائة في حين ترتفع هذه النسبة كلما تقدمنا نحو الغرب حيث تكثر المدن، فقوام المجتمع المدني في الجزائر عدة طبقات إلاّ أنه حسب محمد العربي الزبيري لم تكن هناك حواجز طبقية حادة بين المجتمع الجزائري عامة تحت حكم الأتراك[4].

1- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج. 3، ديوان المطبوعات الجامعية، ط. 7، 1994، ص. 473.

2- ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ، ج. 4، وزارة الثقافة والسياحة، ص. 105

3- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)، ج. 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ط. 1، ص. 158.

4- محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، ش. و. ط، ص. 47.

تمثلت الطبقة الأولى في فئة الأتراك[1]: وتشكل هذه الفئة حسب الدكتور سعد الله إعلى السلم الاجتماعي من الباشا إلى اليلذاش[2]، وتتشكل في أغلبها من الجنود الأتراك (الانكشارية) الذين استقروا في الحصون والثكنات أو يتوزعون على حاميات المدن، وقد ظلت الأقلية التركية قليلة العدد[3] إلى غاية أوائل القرن 19 ويعيش أغلب أفراد هذه الفئة في عزلة عن المجتمع الأصلي، ولذلك لم تؤثر في البنية السكانية للمدن[4]، إلاّ أن هذا لا ينفي أن هذه الفئة كانت ذات سلطة واسعة في البلاد وحرصت دوما على إبقاء المناصب الحكومية فيما بينها[5].

وبعد عدة أجيال من الوجود العثماني ظهرت طبقة ثانية هي فئة الكراغلة: وقد تشكلت من تزاوج أفراد الجيش التركي بنساء جزائريات واحتلت المرتبة الثانية في التقسيم الاجتماعي، بعد الأتراك، ومما يلاحظ كما يذكر سعيدوني أن الكراغلة في أواخر العهد العثماني صار اهتمامهم منصبا على تنمية ثرواتهم ولم يعبر عن طموحات الأهالي، بل لقد زاد التصاقهم بالأتراك وتخوفهم من العرب[6].

أما الطبقة الثالثة فهي طبقة الحضر[7] وتسمى أيضا (البلدية): وهي تتشكل من مجموعات سكانية أصلية، تسكن المدن وترجع أصولها إلى الفترة الإسلامية، وما انضم إليها من الأندلسيين وأشراف[1]، وذلك

1- محمد العربي الزبيري، المرجع نفسه، ص. 46.

2- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)، ج. 1، ص. 153.

3- وقد ذكر عمار بوحوش في التاريخ السياسي للجزائر أن عدد أفراد هذه الفئة لم يتجاوز سنة 1830م حوالي 2000.0ن ص. 72، وقد أكد توفيق المدني في مؤلفه كتاب الجزائر على قلة العنصر التركي في المدن ففي بسكرة الزيبان مثلا وجد 63 تركي وببجاية 44 تركي وبمعسكر حوالي 42 تركي، ص. 176.

4- ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ، ص- ص. 93-94.

وقد رأى سعد الله أن هذه الفئة كانت تنظر إلى السكان نظرة استعلاء واحتقار وازدراء، وكانت الرشوة هي أساس المعاملات سواء في ما بين الأتراك أو مع الأهالي، تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 1، ص. 153.

5- ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي، المرجع نفسه، ص-ص. 93-94.

6- ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي، المرجع نفسه، ص-ص. 94-97.

7- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج.

لكونهم أكثر ثقافة ونشاطا من باقي المجتمعات الأخرى[2]. فمعظمهم توجه للتجارة والصناعة[3]، إلاّ أن هذه الفئة وحسب الدكتور سعد الله رغم دورها الاجتماعي فهي محرومة من التطلع السياسي[4].

أما الفئة الرابعة المكونة لمجتمع المدينة فهي فئة البرانية (أبناء البلد): وتتألف من المجموعات السكانية التي هاجرت إلى المدن الكبرى كالجزائر وقسنطينة وتلمسان للإقامة والعمل، وقد فرض عليها الوضع الاجتماعي والاقتصادي أن تنتظم حسب أصولها الجهوية تحت إشراف أمين يختاره البايلك[5]، فقد كان الميزابيون من هذه الفئة يتمتعون بمكانة قوية وكانت لهم امتيازات وعقود مكتوبة ويشتغلون بالحمامات ومحلات الجزائريين ومطاحن القمح العمومية، كما كان الأغواطيون والبسكريون والقبائل وغيرهم[6].

وينبغي لنا ونحن نتحدث عن الفئات المكونة لمجتمع المدينة أواخر العهد العثماني، أن لا نغفل الجالية اليهودية: وقد ارتفع شأنها في الجزائر خاصة وأنهم كانوا يتعاملون مع الداي وقادة الجيش (الرياس)[7] أما أصولهم فترجع إلى اليهود المحليين الذين استقروا بالجزائر قبل الإسلام أو الذين اعتنقوا اليهودية من أهالي البلاد، إضافة إلى يهود الأندلس السفرديم، واليهود الذين قدموا من الموانئ الإيطالية للتجارة[8]، وبداية من

1- أشراف، وتتشكل فئة الأشراف في التنظيم الأهلي الديني من العائلات ذات النسب الشريف الذي يعود نسبها إلى أهل البيت، وكان على الأمة توقير واحترام هذه الفئة وكان لها نفوذ في عهد الدولة التركية وأول من بدأ يوظف نقابة الأشراف السلطان با يزيد سنة "1499-1495هـ"، رجيه كوتراني، السلطة والمجتمع والعمل السياسي من تاريخ الولاية العثمانية في بلاد الشام، مركز الدراسات الوحدة العربية، ط. 1، بيروت1988، ص. 46.

2- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 1،، ص. 155.

3- عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، دار الغرب الإسلامي، ط. 1، 1997 الجزائر، ص. 74.

4- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 1، ص. 155.

5- ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ، العهد العثماني، ج. 4، ص. 99.

6-André Julien(CH) ,Histoire De l'Algérie Contemporaine, La Conquête Et Les Début De La Colonisation (1827-1871) , Presses Universitaires De France, Paris 1964, P. 13.

7- عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ص. 75.

8- ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي، الجزائر في [illegible] العثماني، ج. 4، ص-ص. 102-103.

القرن 18 كان يهود ليفورنيا منهم (بكري وبوشناق) وهؤلاء احتلوا المكانة الأولى وصاروا سادة التجارة الخارجية، وكذلك ديبلوماسيين لدى وزارات الخارجية الأوروبية[1].

أما آخر فئة في مجتمع المدينة فهي فئة الدخلاء: وهم العناصر الأجنبية عن المجتمع الجزائري مثل التجار والقناصل الأوروبيين ورجال البعثات الدينية والإرساليات التبشيرية وجماعات الأسرى المسيحيين وقد كانت هذه الفئة تعيش في عزلة عن باقي السكان[2]. ومن خلال تعرفنا على البنية الاجتماعية لسكان المدن والريف يمكننا القول أن التفاوت الاجتماعي الذي بين مجتمعي المدينة والريف وحتى بين القبائل نفسها يرجع إلى الوسط الذي تعيشه وإلى الشروط الطبيعية والاجتماعية السياسية التي تعيشها هذه الفئات، وعلى رأي الدكتور عميرواي: "إن أهم التشكيلات الاجتماعية الجزائرية كانت تجمعها مثمنات دينية وعرقية أكثر مما كانت تجمعها اعتبارات عثمانية ومستويات اقتصادية وحكومية... "[3]. وإذا أخذنا بالتصنيف بعض الكتاب الفرنسيين المهتمين بالتجمعات السكانية نجد أن العائلات ذات الطابع التيوقراطي المعتمدة في سلطتها على النفوذ الروحي تسود الجزائر الغربية، والعائلات الأرستقراطية استمدت نفوذها من استعمال السيف والعلم تتركز في الشرق الجزائري وجنوب التيطري، بينما الحياة الديمقراطية القبلية انحصرت في المناطق الجبلية في شمال وشرق الجزائر الوسطى، وقد كانت معظم العائلات الإقطاعية تتحكم في توجيه سكان الريف لا سيما ببايلك الشرق مما دفع السلطات التركية التعاون معها حتى يستتب لها الأمر[4].

---

1 - André Julien(CH) ,. Op Cit, P-P. 11-13.

2- ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص- ص. 104-105.

3- عميراوي احميدة، من الملتقيات التاريخية الجزائرية، ص. 104.

4 -Carette Et Warnier, Description Et Division De l'Algérie,Hachette Paris , 1847, p-p. 17-19.

رابعا–الحياة الروحية في الجزائر:

1- المرابطون والطرق الصوفية في المجتمع الجزائري أواخر العهد العثماني:

إن المرابطين والطرق الصوفية، من الجماعات الدينية الكبرى التي لعبت دورا بعيد المدى، وعميق الأثر في حياة المجتمع الجزائري، على مدى قرون عديدة خاصة في مجتمع ساذج لا يؤمن بالعقل، ولا يتعامل مع المنطق، لا يصدق إلى المسموعات الخارقة للعادة[1]. وحسب فيلالي مختار الطاهر أن أول ما يسترعي انتباه القارئ أثناء دراسته للتاريخ العثماني هو الدور الكبير الذي قام به المرابطين والطرق الصوفية سواء في تثبيت أقدام الأتراك في الجزائر أو في إسقاط حكمهم[2].

لهذا سنحاول بداية تقديم عرض بسيط عن اعتقاد المجتمع الجزائري في المرابط[3] والمكانة التي يحتلها بين فئات القبائل، خاصة أن انتشار المرابطين ابتدأ منذ القرن 15م، فيقول حمدان "... إن سطوة هؤلاء نعني المرابطين – الخارقة للعادة قد أثرت في أفكار البرابرة الضيقة... إذ يبدو لهم أن الله هو بذاته يسوق هؤلاء المرابطين ويأمرهم"[4].و ينتشر المرابطين في الجبال، وبين قبائل البدو أكثر من انتشارهم في المدن[5]. وقد يعود هذا حسب رأي الأستاذ مسعود إلى أن القبائل والعشائر كانت تتسابق ليكون لكل منها مرابطها الخاص، حتى تتدعم شوكتها وقوتها بين القبائل لأن هذا الأخير، حسب اعتقاداتها يحيطها ببركاته فيجلب لها المنافع ويرد عنها المضار، كما أن إقبال الناس بشكل كبير جعل هؤلاء المرابطين، وجعل الكثير من

1- العيد مسعود، "مقالة المرابطون والطرق الصوفية"، مجلة سيرتا، العدد10، ص. 4.

2- فيلالي مختار الطاهر، نشأة المرابطون والطرق الصوفية وأثرهما في جزائر خلال العهد العثماني، ط. 1، دار الفن، بيروت، ص. 5.

3- تعريف المرابط: إن كلمة مرابط أطلقت في بداية استعمالها في المغرب على الرجل التقي الذي يلازم الرباط في الثغور لمراقبة العدو وللعبادة من جهة أخرى إلاّ أن مفهومها تطور عبر العصور وصارت تطلق على كل من يثير إعجاب الناس بورعه وتقواه، العيد مسعود، "مقالة المرابطون والطرق الصوفية "المرجع السابق، ص. 8.

4= حمدان خوجة، المرآة، تقديم محمد العربي الزبيري، ص. 32.

5- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 4، ص. 291.

الدجالين يدّعون الولاية ويتظاهرون بالعبادة والزهد ليستغلوا سذاجة الناس. وبذلك كثر المرابطون، وكثرت الرباطات في الجزائر وقد اختار هؤلاء الريف مقرا لنشاطهم مقدرين حاجة السكان لمن يعلمهم دينهم ويمدهم بالقوة على متاعب الحياة[1]. كما أن السبب الآخر في انتشار المرابطين هو العدد الكبير من أبناء المرابطين أنفسهم حيث الإلهية على الولي تنتقل لذريته فيصبحون جميعا مرابطين[2]، على أساس أن البركة تفيض على الولي ثم تنتقل إلى ذريته، فيصبحون جميعا مرابطين يتلمس منهم الناس البركة[3]. وحسب أوغسطين بيرك ففي بلاد المغرب عموما لا يهتم الناس بفكر الرجل، ولكن بالرجل نفسه، فالاهتمام هنا بالشخص بقطع النظر عن العقيدة، وهذا الرأي في عمومه صحيح قياسا على التاريخ والواقع[4]، وقد تحدثت كتب الرحالة عن القصص المختلفة للمرابطين وكرامتهم منها ما أورده الرحالة شو عن العصا الحديدية لسيدي بن مختار الذي كان يلقي بها العقاب على الجنود الترك بشكل طلقات كالمدافع، كلمّا جاءوا لطلب الضرائب من القبائل التي تعيش تحت رعايته منها قبائل بني عامر[5]، كذلك قصة قدر سيدي أحمد بن بلعباس التي رواها بيسونال حيث أن الناس كانوا يعتقدون وجود البركة في هذه القدر فيستعيرونها لطهي طعام الأعراس، مثلا وترجع بعدها بنفسها لمكان الزاوية[6].

أمّا عن دور هؤلاء المرابطين فرأى حمدان أن المرابطين يسكنون بين القبائل ويعلمونهم الأخلاق والصلاة بقدر إدراك هؤلاء السكان، ومقابل ذلك يحظى هؤلاء بالطاعة المطلقة، وعلى هذا فعلى سخط

1- العيد مسعود، "مقالة المرابطون والطرق الصوفية" المرجع السابق، العدد 10، ص-ص. 8-9.

2- فيلالي الطاهر، نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني، دار الفن القرافيكي للطباعة والنشر، باتنة، ط. 1، ص. 24.

3- André Julien (CH) ,Histoire De l'Algérie Contemporaine, P. 130.

4- أوغسطين بيرك، "أسرى الألوهية"، مجلة البحر الأبيض المتوسط، عدد10، 1951، ص-ص. 296-302.

5- Shaw. voyage dans plusieurs provinces de la Barbarie et du levant ,Traduit par Jean Neaulme .T.1

6 -Peyssonel, Et Desfontaines, Voyage Dan... ...nces De Tunis ... Alger, p-p. 188-191.

المرابط أو بركته تتوقف سعادة القبائل الخيالية، وتأثيره يكون أكثر من تأثير شيخ القبيلة نفسه[1]، فأغلبية المسلمين ينظرون إلى الإخوان الدراويش، وخاصة شيوخهم على أنهم أرواح طاهرة طيبة جاءت من السماء ذات علاقة حميمة مع القوى الروحانية، لهذا وجب على المسلمين ذوي الإيمان القوي أن ينحنوا لها ويؤمنوا بها في صمت[2]. وحسب سعيدوني يعد هذا المرابط بمثابة العالم المستنير لدى سكان القبائل حيث يلجأ إليه في مختلف القضايا بإقرار أحكام الشريعة الإسلامية والتكفل بشؤون العبادات والتعلم وكذلك التوسط في النزاع... الخ[3]. ومع هذا ومهما كانت شهرة المرابط فهو أبدا لا يقوم بالدعوة الصوفية، فليس لهم أوراد كالطرق الصوفية ولا أتباع منتظمون ولا دعاة[4]. كما أنه ونظرا لمكانة هؤلاء، أجبر الحكام العثمانيين على منحهم امتيازات ليجعلوا منهم واسطة بينهم وبين الأهالي[5] وهذا كان أحد أسباب ضعف سطوة المرابط على القبائل خاصة بعد ما اقتصر اهتمام أبناء هؤلاء المرابطين على التمتع بالموارد التي اكتسبوها من أجدادهم وأهملوا الإرشاد والدعوة لله، وتركوا حياة الزهد والتقشف وانغمسوا في الترف، فالمرابطون لم يعودوا يعبروا عن رغبة الأهالي لأن الكثير منهم اشتغل مع الوجاق خاصة وأن الحكومة التركية أرهقت كاهل الأهالي بالضرائب خلال القرن 18 وذلك لضعف موارد القرصنة البحرية، هذه الوضعية جعلت الأهالي يبحثون عن قوة جديدة ليلتفوا حولها، فلم تجد سوى "قوة الطرق الصوفية"[6].

بعد أن تطرقنا لمكانة المرابط ودوره في المجتمع القبلي خاصة نحاول عرض موجز بسيط عن ظهور الطرق الصوفية في الجزائر وانتشارها وكذا مدى مكانتها ودورها في التحام القبائل، هذا بالإضافة إلى دورها الديني والثقافي والاجتماعي والسياسي، ومن المؤكد أن هذه الطرق قد حضيت بدعم شعبي واسع.

1- حمدان خوجة، المرآة، تحقيق وتعليق محمد العربي الزبيري، ص-ص. 56-57.

2 - Louis Rinn, Marabouts Et Khouans,Jourdon,Alger1884, p-p. 103-106.

3- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، ص. 192.

4 - Louis Rinn, Marabouts Et Khouans,p. 118.

5- ناصر سعيدوني، ورقات جزائرية، ص. 492.

6- العيد مسعود، "المرابطون والطرق الصوفية"، مجلة سيرتا، العدد 10، ص. 10.

أما عن كلمة "صوفية" فقد اختلف الباحثون في اشتقاقها فقيل من الصفاء أو الصفة أو "الصف الأول" أو تعريف لكلمة "سوفيا" اليونانية التي تعني الحكمة وهذا رأي بعض المستشرقين أو من "الصوف لأنه كان اللباس الغالب للإنسان الصوفي وهذا رأي أغلبية الباحثين"[1].

2- ظهور التصوف في الجزائر:

وأصل التصوف عند ابن خلدون هو عبادة ومجاهدة للنفس ومحاولة لإدراك الحقيقة ومحاسبة النفس على الأفعال[2]، بينما يرى أوليري أن هذا المصطلح لا يعني الزهد بمنتهى الدقة بل يعني كبح جماح النفس وتطهيرها بالبساطة التي ترفض كل ترف وأبهة، وتحاول بمحض اختيارها المحافظة على أسلوب في العيش بسيط وبدائي ومنكر للذات[2]. وقد ظهر التصوف في الجزائر منذ القرن 12م[3] وانتظم وانتشر في شكل طرق صوفية خاصة أواخر القرن 15م وبداية القرن 16م عندما كان يحاول كل من الأسبان والبرتغال، احتلال المغرب الإسلامي فقد كانت الزوايا والأربطة نقط الالتقاء الرئيسية للحياة الوطنية والمقاومة، وقد كان مؤسسو هذه الطرق عادة أولياء يحترم الناس تقواهم وورعهم[4]. وهذه الزوايا عادة تكون ملاذ المريدين وتوجد قرب ضريح مؤسس الطريقة وتكون لها زوايا تابعة لها تكون أقل منها شأنا[5]. أما الدكتور سعد الله فقد رأى أن التصوف ظهر في القرنين العاشر والحادي عشر[6]. فالجزائر قد عرفت العديد من شيوخ المدارس

1- عمر فروح، تاريخ الفكر العربي، دار العلم للملايين، بيروت 1960، ص. 470.

2- دي لاسي أوليري، الفكر العربي ومركزه في التاريخ، نقله للعربية وعلق عليه إسماعيل البيطار، دار الكتاب، لبنان، ص-ص. 155-156.

3- عبد الفتاح مقلد الغنيمي، موسوعة المغرب العربي، مجلد 3، ج. 5-6، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص. 93.

4- عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المصدر نفسه، مجلد 3، ج. 5-6، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص. 93.

5- Roudout, L'islam Et Les Musulman D'aujourd'hui, Vol1, Paris 1958, p-p 204-206.

6- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 1، ص. 478.

الصوفية جاءوا إليها من الأندلس ومنهم من استقر فيها نهائيا كأبي مدين شعيب[1]، والشيخ الحلوي[2]، ولقد كان لمدرسة أبي مدين أثر كبير في حركة التصوف في الجزائر خاصة[3]. ويقول العيد مسعود إن تصوف هؤلاء كان تصوفا مدرسيا وفرديا، يرتكز على الزهد والعزلة الفردية والتأليف أما التصوف الذي ظهر في القرن 16م – وهو ما يهم بحثنا- وتطور في النصف الثاني من القرن 18 والربع الأول من القرن 19، وهذا الأخير يمكن أن نسميه "التصوف الشعبي" ولقد تعايشت الطرقية في بدايتها مع المرابطين لما لهم من نفوذ إلاّ أنها انفصلت عنهم شيئا فشيء حتى اضطر المرابطين أنفسهم للاندماج فيها للحفاظ على بقائهم[4].

وحسب قول دونوفو فإن نشأة هذه الطرق ارتبطت "بحلم ديني حصل فيه المرابط من محمد (ص) شخصيا على حي الطريقة الذي يجب اتباعه والصورة المثلى في العبادة للتقرب من الله، بعدها ينطلق في استقطاب وتكوين أتباع ودعاة يلقبون بالإخوان وهم في ذلك مثل المرابطين واثقون من الحصول على الغفران باتباعهم للتعاليم التي نزلت عليه في صورة رؤيا"[5]. أما المشرف على هؤلاء الطرق، فهو قائد روحي وهو الخليفة يعين دوما مسبقا من طرف أسلافه، ويكون ذلك كتابيا أو في اجتماع كبير يضم الغالبية الكبرى

1- هو شعيب بن الحسن الأندلسي، توفي بتلمسان سنة 594هـ ترجمته في أبي عبد الله محمد بن محمد ابن احمد الملقب ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، أصله حضرة الشيخ محمد أبي شنب، المطبعة الثعالبية1362هـ/1908م، ص. 108.

2- هو أبو عبد الله الشودي الإشبيلي، المعروف بالحلوي، توفي في تونس في سنة غير معروفة، أحمد بن مريم البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، أصله حضرة الشيخ محمد أبي شنب، ص. 68.

3 - Louis Rinn, Marabouts Et Khouans ,p. 211.

4- العيد مسعود، "المرابطون والطرق الصوفية"، مجلة سيرتا، العدد 10، ص. 10.

5-إدوارد دونوفو، الإخوان، ترجمة كمال فيلالي، دراسة اثنولوجية حول الجماعات الدينية عند مسلمي الجزائر، دار الهدى، قسنطينة، ص. 24.

من الإخوان يشهدون على خلافته ويعين هذا الأخير في كل مدينة خليفة له يدعى (المقدم)[1]، وكان له نفوذ أوسع من نفوذ شيخ القبيلة والباي[2].

3- انتشار الطرقيـــــة:

إن الطرقية انتشرت في المدن قبل الأرياف إذ ظهر معظم المتصوفون في المدن الكبيرة، مثل بجاية وتلمسان ووهران وقسنطينة[3]، لكن مع فساد الحياة السياسية، وكثرة الظلم والفساد، انتقلت حركة التصوف إلى داخل البلاد، وأسس أتباع أولئك المرابطين الزوايا في الأرياف[4]، وقد اتخذت هذه الطرق الريف مجالا لنشاطها وذلك بحكم المستوى العقلي لسكان هذه المنطقة وفي نفس الوقت كانت بعيدة عن السلطة التركية إضافة لهذا ما ادعاه شيوخ الطرق من ادعاءات تذهل عقول السذج والبسطاء[5]، خاصة من سكان الريف ذلك أن الفلاح كما يقول بورديو "كان يجهل حقيقة الدين وكان يطلب الخوارق من المرابطين، الذين ألف حضورهم في محيطه... وهكذا فإن الاعتقاد في بركة المرابطين صارت قاعدة يستند إليها التنظيم الطرقي"[6]. فقد كان سكان القبائل يعتقدون بأن شيوخهم يملكون خوارق مذهلة، وأن نفوسهم عزيزة على الله[7]، ومن أهم ما يلاحظ على هذه الطرق أنهم: لجئوا جميعا إلى وسيلة الحج باعتبارها ملتقى العلماء والمتصوفة، كما أقاموا برحلات في مختلف أقطار العالم الإسلامي واطلعوا على شتى المذاهب الإسلامية الصوفية وتعاليم الطرقية، وقد عمدوا جميعا إلى غلق باب الاجتهاد والتفكير والتعليل أمام

1- إدوارد دونوفو،، الإخوان، ترجمة كمال فيلالي، ص. 25.

2- عميرواي احميده، علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، ص. 82.

3- حيث وجد في قسنطينة وحدها ما يقارب 100 زاوية لوحدها ما قبلالاحتلال الفرنسي، عميرواي احميده، بحوث تاريخية، دار البعث، قسنطينة 2001، ص. 82.

4- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 1، ص. 468.

5- العيد مسعود، " المرابطون والطرق الصوفية"، مجلة سيرتا، العدد 10، ص. 11.

6 - Bourdieu Pierre, Sociologie De L'Algérie, P. U. F, Paris , 1958, p. 102.

7- - العيد مسعود،، " المرابطون والطرق الصوفية"، المرجع السابق، ص. 12.

مريديهم حتى يتمكنوا من تسخير الرعية حسب رغباتهم فهم ينصحون المريد دوما بقولهم "اعتقد ولا تنتقد" أو بقولهم "من لا شيخ له فالشيطان شيخه"، وهلما جر من الوسائل[1]. ومن هؤلاء الشيوخ من شطح بعض الشطحات الغريبة جدا جعلت بعض العلماء والمثقفون يبتعدون عن التصوف ويحاربونه[2].

كذلك من أهم ما ساعد على انتشار الطرقية في المجتمع الريفي بالجزائر أنه عند انتماء رئيس القبيلة إلى طريقة معينة، هذا يحتم على باقي أفراد القبيلة الانتماء إلى نفس الطريقة، وذلك بفعل الروابط والالتزامات داخل القبيلة[3].

وعن إحصاء عدد الطرق بالجزائر يقول (depont) و(coppolani) إنه في الجزائر وحدها يوجد ما لا يقل عن 23 طريقة ولها 349 زاوية[4] بينما يقول سعد الله أن البعض عددها 17 طريقة وأن 13 منها تابعة للطريقة الشاذلية[5].

ودون أن نلجأ إلى حصر الطرق الصوفية التي كانت لها حضور بالجزائر نحاول التعرف على أهم الطرق منها القادرية، الرحمانية، التيجانية، الدرقاوية والشاذلية[6]، وقد قسّمها أبو القاسم سعد الله إلى قسمين حسب تواجدها الجغرافي، قسم انتشر في الغرب الجزائري وهي الطريقة الشاذلية والقادرية والتيجانية

1- فيلالي مختار الطاهر، نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني، ص. 57.

2- الفريد بيل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمه عن الفرنسية: عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1981، ص. 431.

3 -Bourdieu Pierre, Sociologie De L'Algérie, p. 211.

4- عبد الرحمن جيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج. 3، ديوان المطبوعات الجامعية، ط. 7، 1415هـ-1994م، ص. 257.

5- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 1، ص. 466.

6- العيد مسعود، "مقالة المرابطين والطرق الصوفية"، [illegible]، العدد 10، ص. 10.

والطيبية والدرقاوية والزيانية بينما في الشرق الجزائري انتشرت كل من الطريقة الرحمانية والخنصالية والشابية بالإضافة للقادرية والشاذلية[1].

كما أن هذه المؤسسات تختلف فيما بينها اختلافا جذريا ولا تتشابه فيما بينها إلاّ في كلمة "أخ" التي تستعمل في جميع الطرق ولا يدخل فيها إلاّ المسلمين[2]

3-1- الطريقة القادرية:

تأسست في القرن 6هـ/ 12م على يد عبد القادر الجيلاني[3]، وهي أوسع الطرق الصوفية انتشارا، وتعتبر أول طريقة ظهرت في العالم الإسلامي على يد مؤسسها محي الدين أبي محمد عبد القادر الجيلاني بن أبي موسى الحسني المولود في أوجلان بالقرب من بغداد عام (471هـ /1078م). ومتوفى (561هـ/1166م) ببغداد[4]، وقد كان طوال حياته متواضعا وسندا للفقراء والمساكين وذلك حتى بعد مماته مما جعل أحد مقاديم الطريقة القادرية يصرح بقوله "لو لم يختر الله سيدنا محمد -ص- ليكون خاتم الأنبياء لبعث سيدي عبد القادر نبيا... "[5]، وقد بدأ حياته معلما ببغداد، ولكنه رأى أنه خير وسيلة لنشر تعاليمه هي الترحال عبر أرجاء العالم الإسلامي شرقا وغربا ومنه تمكن من نشر تعاليم طريقته الصوفية وقد

1- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص. 188.

2- إدوارد دونوفو، الإخوان، ترجمة كمال فيلالي، ص. 27.

3- ألفريد بيل، الفرق الإسلاميةفي الشمال الإفريقيمن الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبدالرحمان بدوي، ص. 99، وعبد الفتاح مقلد الغنيمي، موسوعة المغرب العربي، مجلد. 3، ص. 94.

4- أما توفيق المدني فيقول "ولد ببلدة جيلان في بلاد فارس1079 م، كتاب الجزائر، ص. 352، بينما أورد عبد الله نقيرة أن هذا الأخير ولد في العراق سنة 470هـ / 1077م، متوفى في 561هـ / 1166م، انتشار الإسلام في إفريقيا، ص. 159.

5- - Louis Rinn, Marabouts Et Khouans, P-P. 137-175.

وجد في وهران وحدها حوالي 200 زاوية[1]. ويقول رين أن تعاليم هذه الطريقة انتشرت في المغرب العربي عن طريقين هما:

أ – مصر: والتي استقر بها أحد أبناء عبد القادر وهو عيسى "مؤلف لطائف الأنوار".

ب– الأندلس: وذلك عن طريق ولدي الشيخ "إبراهيم وعبد العزيز"[2]. غير أن (coppolani) اختلف مع رين في هجرة إبراهيم إلى الأندلس ورأى أنه جاء من الشرق مباشرة إلى فاس ثم انتقل إلى منطقة الأوراس بالجزائر لنشر تعاليم الطريقة وهو الذي أسس زاوية المنعة بها[3]، أما المقر العام فقد ظل دائما ببغداد ويقوم ببعث مراقبين لفروعهم المنتشرة عبر أنحاء العالم في شكل تجار ولهم الحق في تثبيت المقاديم[4]. أمّا في الجزائر فيختار هؤلاء المقاديم عن طريق الحضرة أثناء إحساس –المقدم المثبت– بدنو أجله بعدها يطلب المقدم الجديد مباركة شيخ الطريقة ببغداد وذلك بالذهاب إليه بنفسه[5].

- ونجد زوايا هذه الأخيرة منتشرة في توات وأدرار في الجنوب الجزائري وفي الغزوات ووهران وفي الميلية والأوراس بالغرب والشرق الجزائريين، وتيارت وتلمسان[6]، وقد ذكر رين أن عدد زواياها بلغ بالجزائر 29 زاوية و268 مقدم وبلغ أتباعها 14574 خونيا سنة 1882م[7]. نظرا لما تدعو إليه هذه الطريقة من

1 -Louis Rinn, Op. Cit. , p. 175.

2 -LouisRinn. , op. Cit, p. 175.

3 -Depont Et Copolani , Les Confréries Religieuse Musulmanes, Adolphe Jourdan Alger, 1897, p. 312.

4 -Louis Rinn, , Marabouts Et Khouans, p. 158.

5- Louis Rinn, Op Cit, p. 199.

6- محمد ثابت أفندي، دائرة المعارف الإسلامية، مجلد 9، ص-ص. 199-200.

7- Louis Rinn, Marabouts Et Khouans, p. 200.

التسامح[1] ومع هذا لم تلعب دورا سياسيا يذكر في العهد العثماني بالرغم من شعبيتها الكبيرة التي كانت تتمتع بها في الجزائر[2].

3-2- الطريقة الرحمانية:

أسسها سيدي محمد بن عبد الرحمن القشتولي الجرجري المولود سنة 1720 بقبيلة آيت إسماعيل بجرجرة[3]، وقد أسس الطريقة ووقع له جدال عظيم مع علماء المسلمين بالعاصمة وتوفي بمسقط رأسه 1794م، ثم نقل للعاصمة ودفن بضريحه والمعروف في حي بلكور[4]، وقد توجه سنة 1152هـ/1739م إلى المشرق لأداء فريضة الحج وأثناء عودته استقر بالجامع الأزهر وتتلمذ على يد محمد بن سالم الحفناوي وأصبح مريدا للطريقة الخلوتية وداعية لها في السودان لأكثر من مرة[5]، وقد عاد للجزائر عام 1183هـ/1769م لأن شيخه أمره بنشر الدعوة في الجزائر، وفعلا عاد لمسقط رأسه وأنشأ زاويته هناك وقد التف حوله الكثير من الناس خاصة المستقلين عن السلطة العثمانية[6]. ثم انتقل للحامة للتوسيع دائرة دعوته ولكن سرعان ما ثار معارضوه من المرابطين والعلماء لأنه هدد مكانتهم ونفوذهم وقد أرغموه على المثول أمام مجلس العلماء متهمين إياه بالزندقة والانحراف إلاّ أن المجلس برّئه[7]. ولقد تميزت الطريقة الرحمانية

1- كما أن المؤسس كان يردد دوما قوله "ينبغي علينا أن لا ندعو لأنفسنا فحسب ولكن لكل من خلقه الله مثلنا، شكيب أرسلان، حاضر العالم الإسلامي، المجلد 2، دار الفكر، ط. 2، 1971، ص. 395.

2- فيلالي مختار الطاهر، نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني، ط. 2، ص. 39.

3- ولقد سمي بالجرجري نسبة إلى جبل جرجرة موطن قبيلته وبالأزهري لتلمذته بالجامع الأزهر، فيلالي مختار الطاهر، نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني،، ص. 40

4- أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص. 352.

5 -Louis Rinn, , Marabouts Et Khouans, p. 453.

6 -Louis Rinn, Op Cit, p. 453.

7- وذلك حسب قول رين خوفا من سخط بلاء القبائل على الحكم المركزي وحرصا على عدم إثارة القبائل ضدهم..

-Louis Rinn, Op Cit, p. 454.

بنشر التعليم ولهذا كثرت الزوايا التعليمية لها[1]، وقد بلغ عدد أتباع الطريقة 156. 214 خونيا في عام 1898م[2]، ومن أهم مراكزها في العهد الأخير من العهد العثماني، الحامة قرب العاصمة، آيت إسماعيل ببلاد القبائل، زاوية صدوق بناحية سطيف وقسنطينة، والبرج قرب طولقة، وأولاد جلال وخنقة سيدي ناجي وهذه المراكز الثلاث بالواحات[3].

3-3- التيجانية:

أسست سنة 1778م بمدينة فاس على يد الشيخ أحمد بن محمد المختار التيجاني المولود بناحية عين ماضي بناحية الأغواط والمتوفى بمدينة فاس سنة 1815م وقد درس في مسقط رأسه ولما توفي والده عام 1752[4] خلفه في منصب التدريس، ويقال أنه مال إلى التصوف وعمره 20 عام فدرس علومها واطلع على بعض أسرارها، ثم رحل من أجل الاستزادة من بحر هذا العلم فكانت مدينة فاس أول حاضرة نزل بها 1171هـ/ 1757م، وأثناء ذهابه لأداء فريضة الحج سنة 1186هـ/1772م كان بلغ 36 سنة اتصل بعبد الرحمن مؤسس الطريقة الرحمانية فأخذ عنه أوراد الطريقة الخلوتية ثم واصل سفره إلى تونس ثم مصر، حيث اتصل هناك بمحمد الكردي مقدم الطريقة الخلوتية، وفي سنة 1773م توجه للحج حيث التقى بعدد كبير من شيوخ الصوفية ثم قفل راجعا، فاتصل ثانية بمحمد الكردي، الذي عهد إليه بجمع مريديه في طريقة دينية يكون لها أذكارها الخاصة[5]، ثم عاد إلى تونس فعين ماضي فتلمسان حيث عكف على التدريس والوعظ ثم رجع إلى فاس سنة 1777م/1191هـ، وفي هذه السنة أحس أن الوقت قد حان لتأسيس طريقته الذي ظل يعمل في الإعداد لها ربع قرن 1171هـ-1196هـ غير إن الأوضاع السياسية المتدهورة بها جعلته يرجع

1- العيد مسعود، "مقالة المرابطون والطرق الصوفية"، مجلة سيرتا، العدد 10، ص. 14.

2- محمد ثابت أفندي، دائرة المعارف الإسلامية، مجلد 9، ص. 80.

3- فيلالي مختار الطاهر، نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني، ص. 44.

4- أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، دار المعارف، 1963، ص. 253.

5 -Louis Rinn, , Marabouts Et Khouans, p.

لتلمسان ثم الصحراء حيث نزل بقرية شلالة ثم إلى قرية بوسمغ ون وفيها أعلن عن طريقته بعدما انتهى من جمع أراء وأفكار كل الطرق الصوفية في العالم الإسلامي، وأخذ ينشر تعاليمه واستطاع بسرعة جمع مريدين كثر[1]. وهذه الطريقة لم تنتشر بشكل كبير باستثناء الصحراء[2] وذلك لعدم إقبال الجزائريين عليها ويرجع ذلك في نظر الأستاذ العيد مسعود لعدة أسباب:

1- تطرف مؤسس الطريقة: فقد أعلن أن النبي أمره أن يترك جميع الطرق، هذا بالإضافة إلى ادعائه أنه منحه الغفران له ولمن رآه ومن رأى من رآه الأمر الذي فرّ الناس منه وشكوا في صدق دعوته.

2- ظهور يقظة علمية في الجزائر في هذه الفترة التي تأسست فيها الطريقة. مما حال دون انتشارها في الشمال خاصة، ومما يوضح ذلك أن هذه الطريقة لم تنتشر إلاّ في البيئات الساذجة الصحراوية[3].

- وقد أورد رين في الإحصاء الرسمي لسنة 1882م أن عدد زواياها بلغ 17 زاوية و100 مقدم و11082 مريد[4]. كما لا يفوتنا الإشارة إلى أن مراكز التيجانية في الجزائر في العهد العثماني هي عين ماضي، تمنراست، الأغواط، تقرت، ورقلة، وادي سوف[5].

---

1 -Louis Rinn, Op Cit, p. 424.

2- يقال أن سيدي أحمد التيجاني كان دوما يتحكم في علاقة عرب التل برجال الصحراء وكان له نفوذا يمتد حتى القبائل حسب إدوارد دونوفو، الإخوان، ترجمة كمال فيلالي، ص. 104.

3- العيد مسعود، " المرابطون والطرق الصوفية"، مجلة سيرتا، العدد 10، ص. 12.

4- Louis Rinn, Marabouts Et Khouans, p. 425.

5- فيلالي مختار الطاهر،، نشأة المرابطين والطرق الصوفية ونشرها في الجزائر خلال العهد العثماني، ص. 51.

3-4- الطريقة الدرقاوية[1] الشاذلية:

نسبة لشيخ أبي الحسن الشاذلي التونسي المتوفى سنة 1258هـ ودفن في مدينة الحميرا بالصعيد المصري[2]، وقد سميت كذلك نسبة لمؤسسها الشيخ العربي أحمد بن الحسن بن محمود يوسف الملقب بـ (أبو درقاوي الشريف الإدريسي)، وقد ولد هذا الأخير في قبيلة بني زروال بضواحي مراكش عام 1450هـ/1773م وعمل مدرسا في فاس وتردد على الدروس الصوفية على يد بن عبد الرحمن الجمال آخر شيخ للسلسلة الصوفية التي تمتد لأبي مدين شعيب ويرى آخرون أن عبد الرحمن الجمال هو المؤسس الحقيقي لطريقة الدرقاوية[3]، وقد تسلم العربي بن أحمد السلطة الروحية من شيخه وأسس زاوية له في بوبريخ وأخذ يجمع أتباعه ومريديه في طريقة جيدة ووضع لها نظمها وقواعدها وانطلق في نشرها[4] وحسب دونوفو قد تمكن هذا الأخير بفضل كراماته وأفعاله النبيلة، أن يزيد من نفوذه في المجتمع على حساب حكومة الباشاوات[5]. كما أن نظم هذه طريقة تدعو لسلم والابتعاد عن الاضطرابات وعدم المشاركة في الثورة على الحكام فقد حاول العربي سنة 1220هـ/1805م رد خليفته عبد القادر الشريف[6]

1- تعريف الدرقاوية: ويرجع المصطلح مفرد درقاوي إلى مدينة صغيرة تابعة لإمارة فاس، غير أن التعريف بعيد الاحتمال، أما الاشتقاق الثاني، فيرجع أصل الكلمة للمرقعات إشارة لعادة أصحاب هذه الطريقة في ارتداء برانس مرقعة في حالة رثة، أصل ثالث يرجعها إلى فعل درق بمعنى حجب وخفي. للتفاصيل أكثر العودة لكتاب إدوارد دونوفو، الإخوان، ترجمة كمال فيلالي، ص-ص. 85-86.

2- أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص. 353.

3- Louis Rinn, Marabouts Et Khouans, P. 232.

4- فيلالي مختار الطاهر، نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني، ص. 56.

5- إدوارد دونوفو، الإخوان، ترجمة كمال فيلالي، ص. 77.

6- عبد القادر بن شريف: ينتمي إلى قبيلة أولاد سيدي بالليل بوادي العيد وكان قد سافر للمغرب وتتلمذ على يد محمد العربي بن أحمد الدرقاوي في زاوية بوبريح وبعد أن أخبره شيخه بنشر تعاليم الطريقة، محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق المهدي بو عبدلي، ش، و، ط 1978، ص-ص. 92-93.

الذي قام بثورة عارمة على الأتراك في غرب الجزائر إلاّ أنه فشل في ذلك[1]. والواقع أن هذه الطريقة لم تنتشر إلاّ أواخر القرن 19 على يد الثائر الذي حول هذه الطريقة إلى نظام شبه سياسي في مختلف جهات قطر الوطن الجزائري[2]، فأصبحت دوما على استعداد لاستغلال أبسط فرصة لتعبئة الشعوب وتحريكها للثورة عليها، فالدرقاوية لم تبقى عبارة عن طريقة دينية فحسب بل أصبحت تشكيلة سياسية كانت في مواجهة دائمة مع البايات طوال الحكم العثماني، خاصة عندما قام هؤلاء باضطهاد الأهالي من القبائل[3].

3-5- الطريقة الشابية: أسسها الصوفي أحمد بن مخلوف الشابي متوفى سنة 1482م[4]، ويرجع تاريخها في الجزائر إلى القرن 16م، ولها زوايا عديدة في تونس والجزائر وكان عملها دينيا وساسيا امتد من عنابة إلى وادي سوف[5]، وقد ضمت البربر القاطنين بين مجردة وقسنطينة في الشمال وتوزر والأوراس في الجنوب[6]، كما كان لشّابية دورا في النفوذ العثماني فهي من الطرق التي تجمع بين الدين والدنيا وهي طريقة تتقرب من الحكومات وأصحاب النفوذ لكي تحافظ على فوائد الزيارات التي يأتي بها الأتباع[7].

ويلاحظ العيد مسعود أنه على رغم انبعاث هذه الطرق من منبع واحد، وهو التصوف إلاّ التنافس على جذب الأتباع والاستمرار كان على أشده فيما بينها[8]. أمّا عن تأثيرها في المجتمع فيعتبر هؤلاء الرجال هم المحركين الأساسيين للسكان، فقد كانت تلك القبائل تلجأ إلى المرابطين وإلى شيوخ الطرق الصوفية لحل قضاياها ومشاكلها الخاصة التي كانت تنشب بينها، وثقة بعض القبائل بهؤلاء المرابطون الطرقيون قد

1- Louis Rinn , Marabouts Et Khouans, P. 234.

2- ادوارد دونوفو، الإخوان، ترجمة كمال فيلالي، ص. 85.

3- ادوارد دونوفو، المرجع نفسه، ص. 103.

4- ألفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمان بدوي، ص. 422.

5- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 4، ص. 275.

6- ألفرد بل، المرجع السابق، ص. 422.

7- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج. 4، ص. 277.

8- العيد مسعود، "المرابطون والطرق الصوفية"، مجلة سيرتا، العدد 10، ص. 13.

وصلت إلى حد التآليه والتقديس ولم تستقطب الطرق الصوفية حولها الذكور –فقط– بل استطاعت أن تؤثر كذلك في المرأة خاصة الطريقة التيجانية والرحمانية[1]. فقد كان للطرقية دور فعال في معظم الأحداث السياسية والاقتصادية والثقافية[2]. فكانت كل من القادرية والرحمانية والتيجانية الأكثر انتشارا، عن طريق زواياها المتواجدة في كل مكان للإطعام ولتقبل الهدايا وللتعليم، لكن بقدر ما كان هؤلاء المرابطون الطرقيون نعمة على المجتمع بحملهم لواء الثقافة وفصل النزاعات وتوفير الأمن سواء للأشخاص أو القوافل بقدر ما كان بعضهم نقمة لما أحدثوه من صراعات محلية ونشرهم للخرافة والشعوذة وسط المجتمع[3]. كما أن الطرقية تمكنت من توحيد المجتمع الجزائري روحيا وهو ما عجزت عنه السلطة العثمانية[4]، لأن "لها نظام إداري شبيه بنظام الحكومات خاصة فيما يتصل بالمناصب وجباية الأموال وتسخير الأتباع في استثمار أملاك الدولة وعقارات الزوايا..."[5].

1- العيد مسعود، "المرابطون والطرق الصوفية"، مجلة سيرتا، العدد 10،، ص-ص. 18-19.

2-عميراوي احميدة، فواصل من الفكر والتاريخ، دار البعث، 2002، ص. 112.

3- عميراوي احميده، فواصل من الفكر والتاريخ، ص. 113.

4- عميراوي احميده، بحوث تاريخية،، ص. 84.

5- العيد مسعود، المرابطون والطرق الصوفية"، مجلة سيرتا، العدد 10، ص. 19.

خـــــاتمـــــة

لقد تميزت البنية الاجتماعية في الجزائر بالفروق الواضحة –نسبيا– بين مجتمع المدينة والريف، فوحدة المجتمع القبلي في الريف هي القبيلة المكونة من العرش والعائلة الموسعة، أما مجتمع المدينة فقد كان أقل انسجاما وترابطا، وقد كان هذا المجتمع يستمد استمراره وتطوره من الروابط الدينية والسياسية والأخلاقية، فارتبطت ممارسة الإسلام في المدن بمؤسسات رسمية كالمسجد، والزاوية، هذه الأخيرة التي كانت تؤدي عدة وظائف متداخلة كالعبادة، والتعليم، والخدمات الاجتماعية. أما في الريف فممارسة الإسلام تدور حول الطرق الصوفية والزوايا التي كانت مندمجة في البنية الاجتماعية. فالمجتمع الجزائري إذن ينفرد بظاهرة الطرقية "الإسلام الشعوبي" المشدود إلى الغيب "الحقيقة الإلاهية" أكثر من الإسلام المشدود إلى السلفية النصية[1] ومنه تعتبر الطرقية قوة فعالة في مجتمعنا، فالطرق الصوفية جزء لا يتجزأ من بنية المجتمع الريفي خصوصا، لأن الانخراط في هذه الطرق غالبا ما يخرج سكان الريف من حالة التهميش التي عاشوها خلال العهد العثماني[2].

وسوف نكون أقرب إلى تصور المجتمع الجزائري أواخر العهد العثماني عندما نأخذ في عين الاعتبار أن أغلب أفراد المجتمع الريفي وابتداء من سن معينة كانوا كلهم منخرطين في واحدة من الطرق الصوفية بخلاف سكان المدن الذي ظل الكثير منهم يحتفظ باستقلاليته عنها[3].

– وحسب العيد مسعود فهذه الطرق هي التي ملأت فراغ هذا المجتمع الريفي الذي كان يعيش في عزلة عن حكومة لا تولي أي أهمية له لا من حيث التعليم ولا التوجيه الديني، ويتساءل ماذا يمكن أن يكون حال المجتمع لولا هؤلاء الطرق الصوفية؟ –لقد حققت هذه الأخيرة الوحدة الروحية بين أفراد الشعب،

1– عميراوي احميدة، من الملتقيات التاريخية الجزائرية، ص. 36.

2 - Bourdieu Pierre, Sociologie De L'Algérie, P. U. F. Paris , 1958, p. 203.

3- Depont Et Copolani ,Les Confréries Religieuse Musulmanes, P-P. 211-212.

فالوحدة التي تقيمها الأيديولوجية الدينية تلغي الحدود والفواصل العصبية، وتطرح نفسها كإطار عقائدي موحد يسعى لتجاوز كل أشكال التطاحن والتنازع العصبي[1]، وهذا ما تعمد الأتراك إهماله لأنّ هذه الوحدة ستعرض حكمهم للخطر[2] ومع هذا فهذه الطرق رغم تمكنها من المحافظة على المقومات العربية الإسلامية لم تمكن المجتمع الجزائري من التقدم[3]. إن ما نخرج به من هذا الفصل التمهيدي، أن هناك بنية اجتماعية وثقافية متمايزة بين الريف والمدينة، وهي تخضع لعدة قوى سياسية ودينية وقبلية، ومن خلال عرضنا السابق لمختلف مفاهيم السلطة، سنحاول معرفة نوع السلطة في الجزائر؟من خلال الفصول القادمة لهذه الرسالة،و معرفة ما إذا كانت هذه الفئات خضعت كلها للسلطة العثمانية؟، أم أنه هناك سلطات أخرى وجدت وفق أعراف ومعتقدات المجتمع فخضع لسلطتها بالولاء؟

1- المختار الهراس، " القبيلة والدروة العصبية"، قراءة في التحليل الخلدوني، المجتمع القروي المغاربي، مجلة المستقبل العربي، العدد. 98، مجلد 9، 1986-1987.، ص47-65.

2- العيد مسعود، " المرابطون والطرق الصوفية"، مجلة سيرتا، العدد 10، ص. 17.

3- عميراوي احميده، بحوث تاريخية، ص. 88

الفـــصـــل الثاني

نـــظام حكـــم الدايات

تـــــمهيـــد

أولا: الإدارة العثمانية في الجزائر

ثانيا: أثر الضرائب في الحياة الاجتماعية الجزائرية.

ثالثا: أثر القضاء في المجتمع الجزائري.

رابعا: سياسة الحكام ونفوذهم داخل المجتمع الجزائري.

خامسا: موقف المجتمع الجزائري من الحكام.

خـــــاتـــــمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تـــــمهيـــــد

بعد أن تعرفنا على مفاهيم السلطة وأنواعها نحاول التعرف على نظام الحكم الذي كان سائدا في الجزائر وماهية السلطة السياسية التي تحكم البلاد ومدى نفوذها وسيطرتها على المجتمع الجزائري. إن تواجد شعب في إقليم جغرافي معين يلزم وجود هيئة منظمة تمارس السلطة لحكم الشعب وإدارة البلاد وأن تبسط هذه الهيئة سلطانها على الإقليم الذي تحكمه بما لا يسمح بوجود سلطة أخرى منافسة، فهل تمكنت السلطة العثمانية من تحقيق سلطانها فعلا على كامل القطر الجزائري؟

وكما هو معروف إن السلطة السياسية قد تبسط نفوذها عن طريق القوة والردع، ولا يشترط أن تنال رضاء الشعب، فمن مميزات هذه السلطة أنها تكون عامة وعليا, وأنها أصيلة ومستقلة وكذلك تحتكر القوة العسكرية في البلاد، كما تلتزم بوضع القوانين الوضعية وتكس سيذها. وحسب علماء الاجتماع فالحاكم الفرد أو النخبة الحاكمة، يكون دائما خائفا غير مطمئن نفسيا، وغير مستقر اجتماعيا وغير متمكن سياسيا مهما استخدم من وسائل القهر[1]. أما جان جاك روسو فيقول: "...كما تمنح الطبيعة كل إنسان سلطة مطلقة على جميع أعضائه فإن الميثاق الاجتماعي يمنح الهيئة السياسية سلطة تحمل اسم السيادة..."[2]. فهل تملك الحكومة العثمانية السيادة الفعلية على كامل أجزاء الوطن؟ هذا ما سنحاول معرفته من خلال عرضنا لهذه الهيئة الحاكمة.

1- رابح كعباش، النظم السياسية والتحولات الاجتماعية في الريف الجزائرية، رسالة دكتوراه الدولة في علم الاجتماع التنمية، تحت إشراف د. دليو فضيل، 1999-2000، جامعة منتوري، ص-ص. 33-35.

2- جان جاك روسو، العقد الاجتماعي، ترجمة دو فان [illegible] دار القلم، بيروت-لبنان، ص. 70.

أولا ــ الإدارة العثمانية في الجزائر

تضمن خطاب الخلافة العثمانية منذ تأسيسها شعارات ثلاثة: الأول الدين، الثاني السلطان(الخليفة)، الثالث هو الأرض العثمانية (الأم)، وقد تمكن السلطان العثماني بظهور كخليفة لحماية الدول الإسلامية من الخطر الأجنبي لهذا دخل الجزائريون باسم العقيدة والولاء في الرابطة العثمانية، خاصة أن الخليفة في الفكر السني مسؤول أمام الله وليس أمام من يبايعوه[1].وقد دخل الأتراك الجزائر منذ سنة921 هـ/ 1515م واستمرت دولتهم حتى سنة1246 هـ/1830م.

1- أنظمة حكم الجزائر العثمانية:

تميز نظام حكمهم للبلاد بتعاقب عدة أنظمة سياسية عبر فترات تاريخية:

1-1- فترة حكم البيلربيات (1518-1588) "باي البايات":

وتميزت هذه الفترة باستقرار الحكم التركي، حيث عرفت القرصنة نشاطا كبيرا، قضت خلالها على توسعات الأسبان في البلاد، وتمتعت بمكانة مرموقة بين الدول الأوروبية، وذلك بفضل أسطولها[2].

1-2- فترة حكم الباشاوات (1588-1659):

وقد تميزت بتحديد فترة كل حاكم بـــثلاثة سنوات، وهذه الفترة جعلت الباشا يشعر بأنه ليس في حاجة إلى ولاء الشعب مادامت مدة ولايته محدودة، ومنه أصبح هدفه الوحيد هو جمع أكبر قدر ممكن من الأموال طوال فترة حكمه[3].

1- عميراوي احميدة، من الملتقيات التاريخية الجزائرية، مطبعة البعث، قسنطينة، 2000، ص. 100.

2- محمد بن عبد الكريم، حمدان بن عثمان خوجة الجزائري ومذكراته، دار الثقافة، بيروت-لبنان، ط. 1، 1972، ص. 9. وأحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا، 1766-1791، الجزائر 1986، ص-ص. 30-37.

3- مبارك محمد الهيلالي الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، مكتبة النهضة الجزائرية 1964، ج. 3، ص. 137. وناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ، ج. 4، ص. 14.

1-3- فترة حكم الآغوات (1659 – 1671):

وقد تميزت فترة حكم الباشوات باضطراب نظام الحكم وفوضى في شؤون الإدارة، ومنه تقرر إعطاء السلطة التنفيذية للآغا، أي رئيس الفرقة العسكرية، على أن لا تتجاوز مدة حكمه الشهرين، أما السلطة التشريعية فقد تقرر أن تكون بيد الديوان[1].

1-4- فترة حكم الدايات:

واستمرت دون انقطاع من (1671م –1830م)[2]، تميزت باستقلال فعلي على الدولة العثمانية وبكيان متميز، وسنتعرض لها لاحقا بمزيد من الإيضاح لأنها تخص الفترة الزمنية لبحثنا.

وهناك من اعتبر الفترة الممتدة من سنة (1512م-1546م) مرحلة مستقلة أطلق عليها عصر الفتح التركي[3].وإذا ما أردنا توضيح السياسة العثمانية في الجزائر خلال طول تواجدها لن نجد أحسن مما قاله أحمد توفيق المدني: "...فهم لم يكونوا مستعمرين...لأنهم لم يملكوا أرضا، ولا أبعدوا مزارعا عن مزرعته و لم يكونوا محتلين، لأن جيشهم لم يكن ذا عدد يمكنهم أصلا من احتلال جزء من البلاد...فالوجود العثماني كان معتمدا من جهة على رجال القبائل الجزائرية، ومن جهة أخرى كان معتمدا على فكرة الجامعة الإسلامية التي تملكها الخلافة العثمانية، وكانت السلطة كلها تحت إدارة الباشا، والباقي بيد شيوخ الجزائر شرقا وغربا، سهلا وجبلا..."[4]

2- نظام حكم الدايات:

إن الجزائر كانت دوما تحاول تأكيد ذاتيتها ووضعها الخاص فقد حاولت دوما أن تكون مستقلة عن

1- مبارك محمد الهلالي الميلي، المرجع السابق، مكتبة النهضة الجزائرية، 1964، ج. 3، ص. 171.

2- أما ناصر الدين سعيدوني فقد قسم هذه الفترة نفسها إلى قسمين: الدايات الأوائل من(1671 إلى1710) والدايات الباشاوات من(1711 إلى 1830)، الجزائر في التاريخ، ج. 4، ص. 14.

3- أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا، ص- 23.

4- أحمد شريف الزهار، مذكرات نقيب أشراف الجزائر، تحقيق احمد توفيق المدني، ش. و. ط، الجزائر، 1980، ص. 8.

اسطنبول[1] وكان عام 1671م بداية المرحلة الأخيرة من فترة الحكم العثماني في الجزائر، هذه الفترة التي اعتمدت على النظام العسكري[2]، ويعتبر هذا الدور هو أطول أدوار العهد العثماني استمر خلال قرن ونصف، وكانت من أهم الأسباب التي دعت لتغيير نظام الآغوات هي حالة الفوضى والاضطراب والقتل المتتابع للحكام فتباعد الناس عن مناصب الحكم والرئاسة، خوفا من الخطر المحدق بهم[3]، كما ان الهجومات المتوالية التي شنّها الأوربيون على الجزائر أواخر عهد الآغوات كان لها تأثير كبير على الوضع الداخلي للبلاد، وعلى السلطة نفسها، فقد فقدت البلاد كثيرا من سفنها التجارية، ومن أجل ذلك تآمر رياس البحر على آخر الآغوات علي آغا وقتلوه عام 1671م، ومنه حدث انقلاب جدري في أسس السلطة العليا، واتفقت طائفة الرياس مع الديوان الذي تمثل الأغلبية داخله، على اتخاذ نظام جديد يكون على رأسه رئيسا يدعى الداي[4].

2-1- نظام الإدارة العثمانية عهد الدايات:

إن التنظيم الإداري الذي أقره نظام الدايات كما أشار إلى ذلك مبارك الميلي، اقتصر على تجزئة الأرض دون أن يتناول بالتنظيم البيئة الاجتماعية للسكان، فالهياكل الإدارية للسلطة التركية بالجزائر دخلت على الأجهزة الاجتماعية التي وجدتها دون أن تدخل عليه أدنى تغيير، فأبقت على نظام القبائل ونظام العروشية وقد تكون هذه العوامل هي التي حالت دون تطوير نظام الدايات إلى حكم مركزي قوي[5]. وقد كانت السلطة الإدارية بالجزائر تنقسم إلى قسمين:

1- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ش. و. ط، ج. 2، الجزائر، ص. 140.

2- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي في الجزائر في أواخر العهد العثماني (1792-1830)، ط. 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985، ص. 31.

3- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي في الجزائر في أواخر العهد العثماني (1792-1830)، ص. 31.

4- يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، المطبوعات الوطنية الجزائرية، دار الطليعة، ط. 1، 1956، ج. 1، ص. 920.

5- محمد مبارك الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، ج. 3، ص- ص. 217-218.

1- الإدارة المركزية.

2 ــ الإدارة الإقليمية.

2-1-1- الإدارة المركزية: وتتكون من الديوان العام والخاص[1]. أما الديوان العام "الكبير فيتكون من الموظفين والضباط المتقاعدين ويقوم بتنفيذ أوامر الديوان الخاص، ولا يجتمع إلا في المناسبات الرسمية والمواسم الدينية[2]، وقد فقد هذا الأخير أهميته بمرور الزمن[3]، خاصة عندما نقل علي باشا مقر الحكم من(قصر الجنينة) إلى(قصر القصبة) فأصبح كما ذكر القنصل الأمريكي وليام شالر: "مجرد حبر على ورق في دستور المملكة"[4]. أما عن الديوان الخاص فهوعبارة عن مجلس محدود يتألف من الداي ومجلسه الوزاري.

أ-سلطة الداي: إن لقب الداي، لا يكاد يلفظ في الجزائر، وإنما يستعمله الأجانب ومن المرجح أنه كان في البداية مجرد كنية ومعناه باللغة التركية "العم"[5]، وحسب ما تدل عليه الشواهد التاريخية، أنه توقف عن استعمال هذه اللفظة منذ عام (1123هـ/1711م)، وأصبح يشار إليهم بالألقاب التالية مثل لقب "باشا" و"ميرميران" و"بكلريكي" و"دو لتلو" أي صاحب الدولة و"رأفتلوا" أي صاحب الرأفة[6]، أما العامة فتطلق عليهم لقب "السلطان" و"الأمير"[7].

1- يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج. 1، ص. 290.

2- ناصر الدين سعيدوني والمهدي بو عبدلي، الجزائر في التاريخ، ج. 4، ص. 16.

3 - venture de paradis, Alger Au XIII siècle, P-P. 115-116.

4- وليام شالر، قنصل أمريكا في الجزائر(1816-1824)، تعريب وتعليق إسماعيل العربي، ص. 43.

5- وليام شالر،، مذكرات، تعريب وتعليق إسماعيل العربي، ص. 43.

6- خليفة حماش، العلاقات الخارجية بين الجزائر والباب العالي من سنة (1798 إلى1830)، رسالة ماجستير، تحت إشراف خليل عبد الحميد عبد العال 1988 م، ص-ص. 46-47. كما تعرض الأستاذ خليفة حماش لشرح كلمة الداي شرحا وافيا في رسالته حيث ذكر أنها لفظة تركية الأصل وتحمل عدة معاني، منها الحار، والرجل المتوسط السن، والوليف، والمدافع، والرئيس، والقائد، وهذه الكلمة لم ترتبط بأي وظيفة رسمية في نظام الحكم العثماني، وإنما تطلق كلقب للرجل الشجاع، ومن ثم خص بها قادة الجيش، ومنه استعملت في الجزائر على الجند الذي يعينه الوجاق لتولي الحكم.

7-مسلم بن عبد القادر، أنيس الغريب والمسافر، تحقيق رابح بونار، ص. 33.

إن هدف تمرد الوجاق ا الانفراد بالحكم، و لم يكن للسلطان العثماني سوى إصدار الفرامانات بالموافقة على الدايات الذي يعينهم الديوان، وتعيين الباشا الشكلي الذي يجلس بجانب الداي ولا يحكم[1] إلى أن تخلص الداي علي نهائيا من الباشا شارقان إبراهيم وانفرد بالحكم[2]. وقد كان الدايات في أول الأمر ينتخبون من طائفة الرياس (1671-1689م)،و من الأوجاق (1689م-1679م) أي من ضباط الإنكشارية[3]، وقد أشار سعيدوني أن سبب اختيارهم من بين صفوف الرياس في الأول هو لنفوذهم وثروتهم ومكانتهم بين الناس، وبعد نقص ثرواتهم بسبب ضعف نشاط القرصنة أصبحوا يختارون من بين قادة الوجاق[4]، ولا يتم اختيارهم إلا في إطار الوجاق، وغالبا ما يتم اختيار الداي من بين ثلاثة موظفين سامين وهم الخز ناجي وآغا العرب وخوجة الخيل[5]، أما حمدان خوجة فيرى أنه لا يختار إلا من بين موظفين فقط هما وكيل الخرج والخزناجي[6]، ويضيف سعد الله أن منصب هذا الأخير انتخابي ولا يخضع لكبر السن ولا للرتبة ولكن لانتخاب الجيش له وذلك عن طريق ممثلي الجيش في الديوان بواسطة سلطة الاقتراع وأحيانا برفع الأيدي[7]، أما تنصيبه الرسمي لا يكون إلا بعد وصول القفطان التقليدي وسيف الدولة اللذان يرسلان عادة بواسطة قبجي باشا أي مبعوث الدولة العثماني[8].

1- يحي بوعزيز، الموجز في التاريخ، المطبوعات الوطنية الجزائرية، ط. 1، 1965، ج. 2، ص-ص. 291-292.

2- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي في الجزائر في أواخر العهد العثماني (1792-1830)، ط. 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص- ص. 22-23.

3- ناصر الدين سعيدوني، المرجع نفسه، ص. 24.

4- ناصر الدين سعيدوني والمهدي بو عدلي، الجزائر في التاريخ، ج. 4، ص. 15.

5 - Emirit," le voyage de lacadamine à Alger en 1703" in R. A, 1954, p. 292.

6- حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تقديم وتعريب محمد العربي الزبيري، ص. 127.

7- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، ط. 2، ج. 2، ص. 320.

8- وليام شالر، مذكرات، تحقيق وتعريب إسماعيل العربي، ص. 43. ومحمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية في الشرق الجزائري، ش. و. ط، ص- ص. 19-20

Hamden khoudja, miroir, aperçu historique sur la régence d'Alger, introduction DA. dgejhloul .P-P

وقد كان أي تركي مهما ساء أصله يستطيع أن يصل لمنصب الداي بمجرد انخراطه في الإنكشاري، ويستثنى من ذلك من ولد في جزيرة كريت، وحتى الداي الذي ينتخب لا يوجد له خيارين إما الموت أو العرش[1]. وقد كانت سلطته مطلقة في بداية الأمر بتطبيق القوانين المدنية والعسكرية، والإشراف على حصون المدينة والقيام بتنظيم الجيش وتوطيد الأمن في البلاد، هذا بالإضافة إلى إشرافه على التنظيم الإداري عامة، وتعيين الأعضاء الذين يشكلون حاشيته[2]، وحله للمشاكل الخارجية رافضا تدخل السلطان العثماني، مثل رفض الداي كرد على وساطة الدولة العثمانية من أجل إبرام الصلح مع إسبانيا عام (1725م-1726م). ومنه يتضح أن الدولة الجزائرية كانت مستقلة السيادة في اتخاذ جميع قراراتها، حتى فيما يتصل بعلاقاتها مع الدول الأجنبية، كما أنه من صلاحيات الداي أن يعقد مجالس لتنصيب كبار الموظفين وخاصة البايات، وتقسيم غنائم البحر أما إذا قتل فثروته ترجع لبيت المال وأفضل وصف نجده ينطبق على الداي ما وصفه به ايميريت حيث قال "مستبد وليس له حرية، أرستقراطي لكنه محروم من أرباح القرصنة"[4]. كما ينطبق قول جان جاك روسو على سلطة الداي وذلك بقوله أن صاحب السيادة لا يملك من قوة إلا القوة التشريعية وكلما كان للحكومة قوة وجب على صاحب السيادة الاحتكار من أجل إظهار نفسه[5]. وبلغ عدد الدايات 19 دايا ولم تكن سياستهم واحدة وكان ترتيبهم كالآتي[6]:

126.127

1- وليام شالر، المصدرالسابق، ص- ص. 44-45.

2- حمدان خوجة، المرآة، تحقيق وتعريب محمد العربي الزبيري، ص. 125. وكتاب محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم، ص. 109.

3- يحي بوعزيز، الموجز في التاريخ، ج. 1، ص- ص. 291-292.

4 -Emirit,"le voyage de lacadamine a Alger en 1703" in R. A, 1954, p. 292.

5- جان جاك روسو، العقد الاجتماعي، ص. 147.

6- محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم، ش. و. ط، ط. 1، 1972، ص- ص، 43-44. وكذلك يحي بوعزيز، الموجز في التاريخ، المطبوعات الوطنية الجزائرية، ج. 1، ص. 208.

الدايات	سنوات توليتهم
الحاج محمد باشا تخلى عن الحكم بعد معاهدة الأتراك والمغاربة وآخر لطرابلس.	1082هـ-1092هـ/1671م-1682م
الحاج حسن باشا قتل بعد معاهدة صلح مع فرنسا 1683	1092هـ-1094هـ/1681م-1683م
الحاج حسين باشا "ميزومورتو" تخلى عن منصبه بعد سوء تفاهم مع الديوان وسافر إلى المشرق	1094هـ-1100هـ/1683م-1688م
الحاج شعبان باشا ومات مقتولا	1100هـ-1106هـ/1689م-1695م
الحاج أحمد باشا وقد سلم الحكم لمن بعده	1106هـ-1110هـ/1695م-1698م
حسين باشا الشاوش وقد تخلى عن الحكم	1110هـ-1112هـ/1689م-1700م
الحاج مصطفى باشا مات مقتولا	1112هـ-1117هـ/1700م-1705م
حسين خوجة الشريف وقد خلع من الحكم	1117هـ-1118هـ/1705م-1707م
محمد بكداش ومات هذا الأخير مقتولا	1118هـ-1122هـ/1707م-1710م
علي باشا شاوش	1122هـ-1130هـ/1710م-718م
محمد بن حسن باشا	1130هـ-1136هـ/1718م-1724م
كردي عبدي باشا	1136هـ-1145هـ/1724م-1733م
إبراهيم باشا	1145هـ-1157هـ/1733م-745م
إبراهيم باشا كوجوك	1157هـ-1160هـ/1745م-748م
محمد بكير باشا	1160هـ-1166هـ/1748م-1754م
علي باشا ملمولي (بو الصباع)	1166هـ-1178هـ/1754م-1766م
محمد عثمان باشا	1178هـ-1203هـ/1766م-1791م
حسين باشا	1201هـ-1210هـ/1791م-1798م
مصطفى باشا	1210هـ-1217هـ/1798م-1805م
أحمد باشا	1217هـ-1220هـ/1805م-1808م
علي باشا الغسال	1220هـ-1221هـ/1808م-1809م
الحاج علي باشا	1221هـ-1227هـ/1809م-1815م
عمر باشا	1227هـ-1229هـ/1815م-1817م
علي خوجة	1229هـ-1230هـ/1817م-1318م
حسين باشا	1230هـ-1242هـ/1818م-1830م

ويمكن أن نصنفهم حسب أعمالهم إلى صنفين: صنف منصرف إلى الأعمال الخيرية وكفاءة التسيير وصنف آخر عرف بعدم مقدرته على تسيير أعمال الدولة وقد اهتموا بالظلم والقتل والتدمير وتبذير الأموال وإشباع الرغبات، والاهتمام بالمصالح الخاصة وإهمال شؤون الرعايا نتيجة لجهلهم [1]. أما الصنف الأول فيمكن أن ندرج فيه بابا محمد عثمان (1766-1791) الذي أنفق ثروته الخاصة في تشييد المسجد المقابل لقصره – على الأرجح – وهو مسجد السيدة وأيضا تشييد مختلف القلاع والحصون؟!، ومن أشهر أعماله وضع 200 ألف سكة جزائرية من ماله الخاص في خزينة الدولة[2]. أيضا ولاية الداي بابا عبدي الملقب با (الكرد) و(الأعور)، قد يكون من أكراد العراق، تقلد عدة وظائف عسكرية وإدارية، آخرها وظيفة آغا الصبايحية (العرب)، وارتقى بعدها إلى منصب باي ولاية التيطري، ثم دايا على الجزائر يوم السبت (20 جمادى الثاني 1136هـ / 15مارس 1724م)، وأول عمل قام به القضاء على ما كان منتشرا في أنحاء القطر الجزائري من الفوضى والخلاف، وما كان كذلك حاصلا من رؤساء القبائل والعشائر[3].

أما الصنف الثاني فأفضل مثال هو الداي علي الغسال الذي قيل أنه إشتغل بغسل الأموات سنة (1808م)[4]، والداي محمد بكير باشا (1748-1754م) الذي انفق كل ما في الخزينة على أولاده وزوجته[5]. وقد كان العنف وسيلة وطريقة للحكم، فعن طريقه يعزل الدايات والبايات منذ مدة حتى أن الفوضى شاعت

1- فلة القشاعي، النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني (1771-1837)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، تحت إشراف ناصر الدين سعيدوني، جامعة الجزائر 1989-1990، ص. 37.

Benachennou,A L'ethat Algerien En 1830 ,Ses Institution Sou Lemir Abdel Kader. Sed. p. 29.

2 - Venture De Paradis, Alger Au XIII Siecle, p. 101.

3- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، ط. 7، 1415هـ-1994م، ج. 3، ص. 220

4-Henri-Delmas(Degramont),Histoire D'Alger Sous La Domination Turque(1515-1830),Presentation De Lemnouar Marouche ,Edition Bouchene2002, P-P. 269-370.

5-الحسين بن محمد الورتلاني، الرحلة الورتلاني، تحقيق محمد بن أبي شنب، ص. 686.

Venture De Paradis, Alger Au XIII Siècle, p. 101

في تعين الدايات والدليل على ذلك تولية 14 داي بعد اغتيال أسلافهم[1]. فقد قتل علي الغسال في نوفمبر (1808م)، وذبح علي خوجة في شهر مارس(1815م) وخنق الحاج محمد باشا بعده بأسبوعين، وكانت الحالة تتميز بالاضطرابات في العاصمة وبالفتن داخل البلاد حيث تقوى كل يوم روح الاستقلال[2]، كما شاع فساد الحياة السياسية والإدارية ببيع المناصب والوظائف والتوسط للحكام لتعيين وتولية أفراد يخدمون أغراضهم، دون مراعاة مصالح البلاد وهذا الفساد السياسي أدى بالضرورة لإضعاف قوة البلاد[3].

ب-المجلس الوزاري: ويعاون الداي في مهامه ويتألف من:

أ- خوجة الخيل: - هو وزير الحرب[4]،و يعتبر من أهم الذين تحكموا في القبائل المقيمة بعزل البايلك (أراضي الدولة) الواقعة بدار السلطان مثل عشائر رحمان والزناخرة، وأولاد سيدي عمر...الخ[5].

ب- الخز ناجي: وزير المال وضابط حساب الدول.

ج- وكيل الحرج: وزير البحر والتموين والناظر على أعما ل القرصنة.

د- القبودان رايس: وهو القائد العام لجند البحر.

هـ- الباش كاتب: وهو رئيس ديوان الإنشاء.

و- البيت ماجي: مهمته مصادرة أملاك الجنود وموظفي الإيالة الذين لا يتركون ورثة لهم[6].

ن- الآغا: - قائد فرق الانكشارية(الوجاق) وجماعات فرسان المخزن (الصبايحية) ويتلقى أمره من

1- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج. 3، ص. 186.

2- مولاي بلحميسي، " الثورة على الأتراك"، مجلة الثقافة، العدد 48، 1987، ص. 38.

3- مبارك إبراهيم الميلي، تاريخ الجزائر الحديث والقديم، ج. 3، ص. 212.

4- ناصر الدين سعيدوني والمهدي بو عبدلي، الجزائر في التاريخ، ج. 4، ص. 16.

5 -Ferdemann Et Aucapitaine," Notice Sur L'histoire Et L'administration Du Beylik De Titteri" In R. A, 1865, P-P. 280-302.

6 - Venture De Paradis, Alger Au XIII Siècle, P-P. 115-119.

الداي مباشرة[1]. بالإضافة إلى هؤلاء يوجد موظفون آخرون لهم اعتباراتهم منهم القياد والحكام الذين يتكفلون بالمحافظة على الأمن واستخلاص الضرائب من سكان الريف،تجنبا لاصطدامهم بالأهالي لأنهم من أصل تركي، ويلجأون دوما للاستعانة بشيوخ القبائل والدواوير والأعراش وبقبائل المخزن،كما يكلفون بمراقبة طائفة الحضر بالمدن الكبرى وأخذ الرسوم من أمناء النقابات المهنية ورؤساء المجموعات العرقية[2].

2-1-2- الإدارة الإقليمية: وقد كانت هذه الأخيرة تتكون من ثلاث أقاليم يطلق عليها بايليكات، بايلك الشرق الجزائري، بايلك غرب الجزائر، بايلك التيطري كما أطلق عليها إسم (بكوية) نسبة إلى لقب بك الذي كان لقب واليها قبل ذلك، وهذه الأخيرة تنقسم بدورها إلى قبيلة ثم دوار ويتولى إدارة بعض القبائل موظف إداري يسمى قائد، أمّا الدوار فيتولى قيادته الشيخ وهو جزء من القبيلة نفسها وقد ظل الأمر كذلك حتى الاحتلال الفرنسي[3]. وقد قسمت الجزائر إلى مقاطعات صغيرة مستقلة عن بعضها البعض إداريا وعسكريا وماليا[4]، ليتمكن الأتراك من إخضاع الجميع تحت الحكم التركي وقسمت البايلكات كالتالي:

1- ولاية الجزائر: ويدخل تحتها خمسة مدن بضواحيها، الجزائر العاصمة، البليدة، القليعة شرشال، دلس، وكانت تعرف بدار السلطان وهي تحت تصرف الداي مباشرة تمتد من دلس شرقا إلى شرشال غربا

1- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، دار الغرب الإسلامي، ط. 1، 2000، ص-ص. 228-229.

2- ناصر الدين سعيدوني، المرجع نفسه، ص. 236. وأيضا ناصرالدين سعيدوني والمهدي بو عبدلي، الجزائر في التاريخ، ج. 4، ص-ص. 14-22.

3- إحسان حقي، الجزائر العربية، منشورات المكتبي التجاري، بيروت، ط. 1، 1961، ص-ص. 37-39. كما يرى الزبيري أن البايلك ينقسم إلى أوطان وعلى رأس كل وطن قائد عربي أو من الأتراك، والوطن نفسه مكون من مشايخ تجمع الواحدة قبيلة أو أكثر، يرأسها شيخ من الأهالي، التجارة الخارجية بالشرق الجزائري، ص. 21.

4- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي في الجزائر أواخر العهد العثماني، ص. 94، أيضا محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية، تقديم وتعريب محمد بن عبد الكريم، ط. 1، ص. 35.

ومن ساحل البحر شمالا إلى سفوح الأطلس[1].

2- **ولاية الجنوب:** وهي التيطري أسست سنة(1470هـ/1540م) وعاصمتها المدية، وهي أصغر ولاية في القطر الجزائري. وكانت سلطة باي المدية أقل من سلطة آغا العرب، فكثير من القبائل لا تخضع لسلطته وسميت بقبائل العزل، والسلطة الفعلية في هذه القبائل لشيخ المختار، الذي كان مقلدا من قبل الأتراك[2].

3- **ولاية الغرب:** – أسست سنة (970هـ/1563م) وعاصمتها أولا مازونة ثم معسكر وأخيرا وهران.

4-**ولاية الشرق:** أسست سنة (974هـ/1567م) وعاصمتها قسنطينة، وقد حكم الأتراك أغلب نواحيها الجبلية والصحراوية عن طريق الرؤساء المحليين[3]. ويرجع أساس تقسيم هذه الولايات إلى حسن باشا ابن خير الدين (950هـ-959هـ/1552م-1554م)[4]، وكانت هذه البايلكات تحت تصرف البايات. وبواسطة هذا التنظيم فقد استطاع الحكام أن يبعثوا نفوذهم لمختلف جهات الوطن.كما تسير هذه البايلكات وفق تنظيم إداري خاص يتمثل في :

أ–سلطة الباي: ومعنى الباي بلغة الأتراك قايد القياد. ويختص بها قايد الصباحية[5]، وكان هؤلاء

1- ناصر الدين سعيدوني، المرجع نفسه، ص. 94.

2 -Louis Rinn, Le Royaume D'Alger Sous Le Dernier Deys, Alger, INT, Libraire 1900, p. 16.

3 - Louis Rinn,Op. Cit, P-P. 14-18.

4- محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم، ش. و. ط، ط. 1، 1972، ص. 35. وكتاب للآغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19. تحقيق ودراسة يحي بوعزيز، ج. 1، دار الغرب الإسلامي، ط. 1، 1990، ص. 402.

5- محمد يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق المهدي بوعبدلي، ش. و. ط،

البايات يعينون حسب اختيار الداي من بين المقربين لحكام الجزائر، والذين لهم صلات قرابة بالعساكر[1]، ف ممن تولوا منصب القياد قائد العواسي (الحراكتة) بالنسبة لبايلك قسنطينة وقائد فليتة بالنسبة لبايلك الغرب[2]، وكان هؤلاء يقومون بدفع أموال وهبات للداي مباشرة من أجل الحصول على هذا المنصب[3]. والباي لا يخضع في سلطته للداي إلا في ما يتعلق بجمع الضرائب والدنوش[4]، التي تؤدى كل ثلاثة سنوات، وكمثال على ذلك ما أورده كتكارت عن صالح باي، فقد قال عن هذا الأخير ما يلي: "...كان صالح باي، باي قسنطينة ذات يوم، يخرج من القصر ومعه حاشية كبيرة حين ما اعترض طريقه خادم عربي في القصر ينتمي إلى بلده قسنطينة، يطلب إليه "البقشيش وصالح باي كان مشهور بكرمه وسخائه، ولكن نقوده نفذت مع صبره هذه المرة، ولذلك فقد رمى بقطعة نقود إلى القسنطيني قائلا: خد سوف أبتز مثلها من مواطنيك. كما تبتزها أنت مني! فإنما حضرت إلى الجزائر لأرد على شكاوي شيوخ قسنطينة الذين يزعمون أمام الداي أنني أرهقتهم بالضرائب التي هي من واجبي جبايتها، لكي أدفع المبالغ المستحقة علي إلى الداي، ولو قام هؤلاء الشيوخ بزيارة الجزائر ثلاث مرات وعرفوا ما يجبى من الضرائب فيها لتعجبوا من عدلي، ورضوا بحالهم ولما حسدوني على ما أتمتع به من الاحترام والتقدير لدى سكان قسنطينة وهي مكانة كلفتني عدة

1978م، ص. 190.

1- ويشير ابن سحنون: أنه في بايلك الشرق جرت العادة أن يكون صهر لشيوخ العرب وذا معرفة على العادات المعمول بها في تلك المنطقة. الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تقديم وتحقيق المهدي بوعبدلي، مطبعة البعث، 1973، ص. 241.

2- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، ص. 241.

3- أندري برنيان، أندري نوشي، إيف لاكوست، الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة اسطمبولي منصف عاشور، الجزائر، 1984، ص. 133.

4- الدنوش: يعني في اللغة التركية (العودة)ويقصد به أن الباي كان يعود بنفسه أو يرسل خليفته إلى الجزائر العاصمة ليقدم حساباته المالية وتقريره عن المقاطعات للباشا، أحمد شريف الزهار، مذكرات نقيب أشراف الجزائر (1816-1824)، تحقيق أحمد توفيق المدني، ص-ص. 35-36. و

Esterhazy Walsin, Domination Turque Dans L'ancienne Régence d'Alger, Charle Gousslin, Paris ,1840, p. 140

آلاف، ولكنه إذا كان الداي راضيا، فإنني أشعر بالغبطة ولا يهمني غير ذلك..."[1]. ومن مهام الباي أيضا استتباب الأمن في مقاطعته، وإبقاء الأهالي في حالة خضوع وطاعة لهذا كان كثيرا ما يعمد إلى ترحيل بعض العائلات وتشتيت قبائل بأكملها، ليضمن الهدوء ويتجنب الثورات، كما يقوم بتأمين الطرق[2]، وذلك باستعمال القوة العسكرية التي قد يرسلها له الداي سنويا[3]، أو اللجوء إلى التحالفات القبلية والاستعانة بالقياد وفرسان المخزن[4]. وسلطة الباي هذه كان معترف بها من طرف شيوخ المجموعات السكنية الكبرى من القبائل والأحلاف القبلية، في مقابل مساندة هذا الاخير لتلك السلطة الفردية (شيوخ القبائل)، ومن خلال هذا يتضح، وكما أشار إلى ذلك الأستاذ العربي الزبيري: "...إن حكم الإيالة نظريا كان بيد الداي، أما من الناحية العملية فقد كان الباي مستقلا بإدارته إلى حد كبير..."[5].

ب–الخليفة: ويعاون الباي في مهامه خليفتان أحدهما ينوب عنه في الخروج للرعية لأخذ مال الدولة منها، والقدوم للجزائر لتقديم الهدية والآخر يقال له خليفة الكرسي ينوب عنه في منصبه إن غاب.

ج– آغا العرب: وهما وزيران من العرب يقال لهما آغا[6].

د– القائد يعتبر من أهم موظفي الباي وهذا الأخير يعين من طرف الباي ويختار في أغلب الأحيان من الذين سبق لهم العمل العسكري من الأتراك والكراغلة وتوكل إليه مهمة إدارة الأوطان التي تتألف من

1– أسير الداي كتكارت، مذكرات قنصل أمريكا في المغرب، ترجمها وعلق عليها إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر1982، ص. 52.

2– حمدان خوجة، المرآة، تقديم وترجمة محمد العربي الزبيري، ص. 161.

3– محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، ش. و. ط، ص. 23.

4– ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، ص. 242.

5–محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، ص–ص. 22–23.

6– آغا: وهما وزيران من العرب يقصد بهما آغا العرب، خوجة الخيل، وهو قائد الحامية التركية، ويقوم بعزل وتعيين البايات كما يخضع لأوامر فرسان المخزن. ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، ص. 242. ومحمد يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق المهدي بوعبدلي، ص. 190

مجموعة القبائل والعشائر - كما أشرنا سابقا - ويكون اهتمامه منصبا على إقرار النظام وجمع الضرائب وتصريف شؤون الرعية، ومراقبة الأسواق، وإقرار الامتيازات لبعض المرابطين والأعيان والعائلات الواسعة النفوذ، ويفضل القياد الإقامة في المدن، تاركين شؤون القبائل للشيوخ الخاضعين لهم، كما أن سيطرة هؤلاء القياد تختلف من مكان لآخر، فتكون مباشرة في المناطق الخاضعة لهم، أمّا في المناطق الممتنعة فسيطرتهم كانت غير مباشرة[1]، ومن أشهر القياد الذي يعينهم الباي قائد الحراكته ويسمى كذلك قائد العواسي، وقائد الحنانشة وقائد زمول (جمع زمالة، وهي الجماعة المستقرة في موضع معين)، قائد أولاد عبد النور، وقائد فرجيوة وغيرهم[2]، أما الأوراس فهي تضم 11 قبيلة رئيسية يتولى أمر القيادة بها شيخ برتبة قائد يعرف بشيخ الخلعة، تحت إدارة بايلك قسنطينة بمرتب يقدر بثلاث آلاف بوجو (بالفضة)، ومن أشهر من تولى هذا المنصب عائلة ابن بوضياف، كما يتولى شيخ بلزمة قيادة المناطق الجبلية الغربية من تخوم الصحراء جنوباً حتى بلاد أولاد سلاّم شمالا، بمرتب يقدر بحوالي ثلاثة آلاف بوجو (فضة)، كذلك قيادة النمامشة تخضع لها المناطق الشرقية من الأوراس، إلاّ أن هذا الأخير ظلت سلطته اسمية أكثر منها عملية وغالبا ما يستعين بمحلة البايلك الفصلية لاستخلاص الضرائب[3].

ومنه فالدولة الجزائرية تحكم بنظام من نوع خاص، لم يعرف في أي بلد آخر، من أهم مميزاته أنه يجمع بين الصبغة المدنية والعسكرية، فالصبغة المدنية تتمثل في أن الداي كان دوما يلجأ إلى العلماء لحل المشاكل العويصة، أما الصبغة العسكرية فتتمثل في الديوان -كما سبقت الإشارة- والذي يتكون من غالبية عسكرية

1-فلة القشاعي، النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني (1771-1837)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، تحت إشراف ناصر الدين سعيدوني، جامعة الجزائر(1989-1990)، ص. 46.

2- محمد المهدي بن علي شعيب، أم الحواضر بين الماضي والحاضر، تاريخ مدينة قسنطينة، مطبعة البعث، 1980، ص-ص. 214-215.

3- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية،، ص-ص. 482-485.

ويتحكم في إقرار وعزل الداي، كما أن هذا النظام كان جماعيا شوريا في القمة، وفرديا مطلقا في القاعدة – وتبدأ من البايات وتشمل أعوانهم والقواد المشائخ- وقد كانوا جميعا مستبدين بالأمر[1]. فهذه التنظيمات حسب قول سعيدوني "عملت على توفير مصادر دخل دائمة"[2]. وخلاصة القول أن التنظيم الإداري في الجزائر يمتاز باللامركزية كبيرة في تسيير شؤون الإيالة، يتبوأ قمته الداي، ويحتل أعلى المراتب به الموظفون السامون وحكام الأقاليم، وقد عرفت الإدارة المركزية في النصف الثاني من القرن 18 الفوضى والاضطرابات والقلاقل واللامبالاة حيث سيطرت عليها الروح الارتجالية، تسيرها الأهواء والعواطف، فالقرارات كانت تأتي بصورة عشوائية وفوضوية مما زاد في انعدام الأمن والاستقرار في البلاد[3] وبلغ فساد الإدارة العثمانية في الجزائر غايته القصوى عند مطلع القرن 19، وهي الفترة التي زادت فيها الانتفاضات الشعبية، للتخلص من وضع متمرد ضرب أطنابه داخل الحياة السياسية والإدارية متمثلا في بيع المناصب والوظائف والتوسط للحكام لتعيين وتولية أفراد يخدمون أغراضهم، دون مراعاة صالح البلاد والمواطنين، وهذا الفساد السياسي أدى إلى إضعاف قوة البلاد[4].

ثانيا- أثر الضرائب في الحياة الاجتماعية الجزائرية:

إن التنظيم الضريبي الذي فرضته الأوليجاريكية التركية كان له بنيانا من المؤسسات التابعة الواحدة للأخرى، والقادرة على جباية الضرائب كفئة (الداي، الباي، الخليفة، القائد، الشيخ..الخ) فقد تعددت مصادرها بحيث لم يبقى بمعزل عن النظام المالي الجبائي أي فرع من فروع الإنتاج الفلاحي أو الصناعي، و لم

1- محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، ص. 19.

2- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، ص. 485.

3- صالح فركوس بنابلي، بايلك الغرب الجزائري في عهد الباي محمد الكبير(1779م- 1796 م)، دبلوم لنيل الدراسات المعمقة بمعهد العلوم الاجتماعية، تحت إشراف العيد مسعود سعيد، جامعة قسنطينة، 1979، ص. 29.

4- مبارك محمد الميلي، تاريخ الجزائر الحديث والقديم، ج. 3، ص. 297.

يحد من صلاحيات هذا النظام سوى الاستقلال المحلي لبعض الأقاليم الجبلية والصحراوية عن السلطة المركزية[1]، وعلى حد تعبير غرامون "لم تفلت أي مادة منتجة قابلة للدفع من نظام الضرائب المطبق بالإيالة"[2].كما نلمس من خلال واقعية النظام الضريبي، أن الأتراك استخدموا النفوذ الروحي للمرابطين واستعانوا بقوة الشيوخ والرؤساء المحليين، واعتمدوا على قبائل المخزن لفرض الطاعة على القبائل الملتزمة بالمساهمة المالية[3].وأيضا تجريد الحملات العسكرية لاستخدامها في جباية الضرائب، وقد كان لهذا النظام الجبائي انعكاسات خطيرة على الأهالي بالخصوص، لأن الجباة كانوا يعملون على تعويض الأموال التي اشتروا بها المناصب[4]، فأهكوا موارد السكان المتواضعة، وتسببوا في حرمان الجزائر من فوائد وأرباح وفيرة، ذهب قسم منها للجباة رغم أن الحكام الأوائل وضعوا الجباية على المنهج الشرعي ليستخلصوا الخراج والزكاة والأعشار كما قاموا بتحديد النسب المسموح بها للجباة[5]،غير أن هذا الوضع تغير مع الحكام الأواخر حيث صاروا يخرجون المحلات لاستخلاص المغارم والظلمات ونهب أموال المسلمين، وما وقع هذا حتى صار الناس فجارا والأمراء ظالمين.![6] وقد عبَّر الأهالي عن هذا الوضع بأخذ الأمثلة الشائعة آنذاك والتي تتلخص في العبارة التالية "العربي صندوق والقائد مفتاحه"[7]. فرغم أن هذا الإجراء كان الدافع إليه حرص

---

1 - L. Rinn, Le Royaume D'Alger Sous Le Dernier Dey, p. 137,.

2- Henri-Delmas (Degramont),Histoire D'Alger Sous La Domination Turque(1515-1830),Présentation De Lemnouar Marouche ,p. 410.

3- أحمد كوران، السياسة العثمانية اتجاه الاحتلال الفرنسي (1827- 1847)، ط. 2، 1974، ترجمة عبد الجليل تميمي، ص. 27. وناصر الدين سعيدوني، النظام المالي في الجزائر أواخر العهد العثماني، ص. 245.

4 - Bodin(Marcel),"La Brève Chronique Du Bey Hasan" , Extrait Et Trad De La Taliat Assad Is So'oud De Mazari,In B. S. G. A. O,T. 44,1924, p. 34.

5 - Hamdan Khodja,Le Miroir,Aperçu Historique Et Statistique Sur La Régence D'Alger, Introduction D' A. Djeghloul, P-P. 126-127.

6- أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا، داي الجزائر (1766-1791)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص. 111.

7 -Boyer Pierre, La Vie Quotidienne A Alger A La Veille De L'intervention Française, Paris, IMP,

السلطات الحاكمة بالإيالة على تأمين موارد دخل مستقلة للخزينة، إلاّ أن أثره كان سلبيا على النظام المالي للبلاد، وعلى الإنتاج الزراعي والفلاحي وعلى مردود الضرائب نفسه، فهذه الحملات نفسها كانت إحدى العوامل التي ساعدت على شيوع البداوة بمناطق كبيرة من الوطن[1]. هذا أوحى إلى بعض الكتاب اعتبار القوة التركية الحاكمة جماعة من الغزاة حريصة على الانتفاع بنظام جبائي ثقيل فرضته بقوة السلاح[2]،

1-نوعية الضرائب "الغرامة التي تفرض على الأهالي"[3].

نوعية الضرائب	على من تأخذ	إستعمالها
اللزمة والمعونة	اللزمة غالبا ما تمس قبائل الرعية الخاضعة، بينما المعونة تطلب من كل القبائل الداخلة تحت نفوذ القياد، أو المتعاملة معهم منها: معونات بلاد القبائل مثل قبيلة فليسة تقدم ما قيمته 500 ريال بوجو.	لتموين الجند في الأرياف.
الغرامة وتسدد إما نقدا أو عينا وغالبا ما تأخذ الغرامة في شكل مواشي ومواد غذائية. - وقد تفرض عن طريق الزويجة.	تفرض على المناطق الخارجة على السلطة الفعلية للبايلك والهضاب العليا والمناطق الجبلية مثل بلاد القبائل الكبرى، والشمال القسنطيني. - تفرض على القبائل التي تمارس نشاطها في الواحات والهضاب العليا	وهذه الغرامة تساهم بها بلاد القبائل في ملء خزينة الدولة.
ضيفة الدنوش أو ضيفة الباي: تقدم غالبا كل ستة شهور ويطلق عليها أهالي التيطري اسم غرامة الصيف وغرامة الشتاء.	ففي التيطري مثلا تفرض على قبيلة غريب على ضفاف الشلف غرب المدية، وأولاد علان شرق البرواقية، وأولاد شايب جنوب شلانة، كذلك ضيفة قسنطينة ووهران.	وهذه الأخيرة توفر لخزينة الدولة من بايلك التيطري وحده 248 ألف بوجو سنويا.

National 1964, p. 99.

1- ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص. 247.

2- أندري برنيار، الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة اسطمبولي ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، 1984، ص-ص. 167-168.

3- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني(1792- 1830) ، ص-ص. 96-99.

الفرح أو البشارة: وتكاد تكون سنوية.	تفرض كرمز فرح وابتهاج عند تولية الباي أو بمناسبة الأحداث السعيدة.	توفر للخزينة ثروات مهمة.
خيل الرعية	تلتزم بها قبائل الرعية بالناحية الغربية بالخصوص.	وهي عبارة عن مساهمة بعدد كبير من الخيل لركوب الفرسان، ومجموعة من دواب النقل لتكون في خدمة البايلك.
الضرائب والرسوم التي تفرض على سكان المدن ونقاباتهم المهنية وجزية اليهود والنصارى، كذلك حقوق الالتزام والتنصيب ورسوم الجمارك ومكس الأسواق واحتكار التعامل التجاري مع البيوتات التجارية.	تفرض على سكان المدن.	تساهم في ملء خزينة الدولة.

إلا أن سعيدوني خالف الأغلبية وذكر أن الحكومة الجزائرية التركية مضطرة لاتخاذ مثل هذا النظام الجبائي، لقلة الموارد المالية الأخرى (كغنائم البحر والإتاوات) وتزايد مطالب موظفي الدولة، في الوقت الذي لم يعرف اقتصاد الدولة أي تطور وعدم توفر مصادر دخل جديدة تلبي حاجيات الدولة[1].

ثالثا ــ أثر القضاء في المجتمع الجزائري:

لقد كان للنظام القضائي في الجزائر تأثير على الواقع الاقتصادي والاجتماعي، وتأثير مباشر على موقف الأرياف من السلطة، وصلة الحكام برجال الدين، فقد كان يتصف بثنائية الهياكل، ويقتصر على

1- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي في الجزائر أواخر العهد العثماني(1792-1830)، ص. 247.

المدن وبعض المناطق الخاضعة بينما المناطق الجبلية والجهات النائية والممتنعة على الحكام يعود القضاء فيها لشيوخها ومرابطيها.

ومن الملاحظ على النظام القضائي أنه لا يتدخل في شؤون الحكم ولا أمور الدولة[1]، وهو يمثل سلطة مستقلة عن سلطة الوالي[2]، وكان للداي والآغا وبايات الأقاليم وقواد الأوطان النظر في القضايا السياسية والإدارية والمالية وعدد من القضايا الجنائية ويسمى حكمهم (حكم المخزن)، أمّا القضايا الخاصة بالإنكشارية فلها محكمة عسكرية يرأسها آغا العسكر، لأن العسكريين أبدا لا يحاكمون بالقوانين المدنية ينفذ فيهم الحكم أمام العامة[3]، أمّا القضايا المدنية كالبيوع وقضايا الأحوال الشخصية فتعرض على القضاة وأحيانا المفتيين المالكيين والحنفيين[4]. فالمذهب الحنفي هو مذهب الدولة، ولكل قاضي عدة عدول، والمجلس الشرعي يتألف من القاضيين والمفتيين الحنفي والمالكي –كما سبق وأشرنا– وترفع النوازل والمشاكل العويصة لدى المجلس، وهو الذي يراجع أحكام القضاة، فكان بمنزلة محكمة الاستئناف، ومقر انعقاده بمدينة الجزائر (الجامع الكبير)، وإذا كان الخصوم من المسلمين فهم يدخلون داخل المسجد، أمّا إذا كان فيهم النصارى واليهود، فأعضاء المجلس هم الذين يخرجون إلى صحن بجانب الجامع، ويحضر الخصوم أمامهم، وقد كان قاضي الحنفية يمضي الرسوم والأحكام بالمداد الأسود، وقاضي المالكية بالمداد الأحمر، وقد يكون ذلك للتمييز بين ما صدر من المحكمة الحنفية والمحكمة المالكية[5].

فالسلطة القضائية إذن تقر الامتيازات الاجتماعية عند تطبيق أحكامها وعقوبتها بين الأتراك والأهالي،

1- ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ، ج. 4، ص–ص. 22-23.

2- خالدة زيادة، "السلطة المدنية من خلال وثائق المحكمة الشرعية"، المجلة التاريخية المغربية، العدد 39-40، ص. 506.

3- حمدان خوجة، المرآة، تعريب وتحقيق: محمد العربي الزبيري، ص. 122.

4- حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته من قبل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، مجلد. 2، ج. 3، مكتبة العصر الحديث، لبنان، ط. 1، ص. 362.

5- نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، ص. 86.

فالأتراك مثلا يعاقبون سرا في دار آغا الإنكشارية، حفاظا على كرامتهم بينما الحضر والنصارى واليهود يشهر البراح بجرائمهم، وفي حالة الإعدام يعلقون عند باب عزون،[1] وحسب شالر فالتركي إذا ارتكب جريمة سياسية يخنق سريا، أمّا إذا كان المجرم من الأهالي فهو يشنق على الساحة العمومية أو يقطع رأسه أو أوصاله ويلقى به من على سور مرتفع ويتلقفه خطاف حاد من الحديد أثناء سقوطه ليعرف أشنع أنواع العذاب قبل أن يموت، أمّا إذا دفع مبلغ معتبر للجلاد فهذا الأخير قد يخنق الضحية قبل أن يلقيه من على السور[2]، ومما زاد في فساد هذا النظام القضائي هو شيوع الرشوة به وانحراف القضاة أحيانا لعدم تقاضيهم أجور محددة وأكبر دليل على ذلك قول الرحالة الورتلاني "...إن القاضي والمفتي فيها لا يتولى إلا بإعطاء لهم وارتشاء لديهم..."[3].

ومن خلال الوقائع التاريخية يتضح أنّ القضاة لم يعملوا على تخفيف مظالم الحكام، وتخفيف المطالب المخزنية والأعباء المالية على الفقراء[4]، وأنّ معظمهم اشتهر بالجهل في أحكام الشريعة وأكل أموال اليتامى والأوقاف وبإصدار الأحكام الخرافية البعيدة عن منطق الشريعة[5]، فالسلطة القضائية إذن لم تعمل على العدل والمساواة بين مختلف الفئات الاجتماعية بل زادت من اتساع الفجوة بين السلطة المركزية والرعية. وقد يكون هذا أحد الأسباب التي أدت للاستعانة بسلطات الشيوخ والمرابطين لاكتساب ثقة الرعية وخضوعها.

1- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي في الجزائر أواخر العهد العثماني(1792- 1830)، ص. 51.

2- وليام شالر، مذكرات، تقديم وتحقيق إسماعيل العربي، ص. 47.

3- الحسين بن محمد الورتلاني، نزهة الأنظار في فصل علم التاريخ والأخبار، المشهور بالرحلة الورتلانية، تحقيق محمد بن أبي شنب، ص- ص. 110-111.

4- ناصر الدين سعيدوني المهدي البو عبدلي، الجزائر في التاريخ، ج. 4، ص. 51.

5- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي(1500-1830)، ج. 1، ص. 401.

رابعا- سياسة الحكام ونفوذهم داخل المجتمع الجزائري:

لقد تميزت سياسة الحكام الأتراك في الفترة الأولى التي استغرقت ما بين القرن 16 والنصف الأول من القرن 17، بعدم التدخل في شؤون السكان الداخلية، والاكتفاء بالتعامل مع شيوخهم ومرابطيهم الذين كانوا يقدمون ما يفرضه البايلك على الأهالي من مطالب مخز نية وضرائب متنوعة مقابل تمتعهم بتأييد الحكام لهم[1]، وقد أشارت الدكتورة جميلة معاشي في رسالتها عن الأسر المحلية الحاكمة لبايلك الشرق إلى ذلك بإسهاب بقولها: "إن السياسة العثمانية التي اتسمت بالمرونة والمحافظة على الوضع القائم بالولايات العثمانية عامة، والعربية على وجه الخصوص، كانت من بين أهم أسباب إقرار الحكم المحلي بالولاية، وعلى رأسه الأسر الإقطاعية الكبرى بالبلاد... فهؤلاء الحكام لم يتزلوا إلى المجتمع الجزائري، و لم يحاولوا تغييره... واكتفوا بالاعتماد على من يثقون فيهم من العناصر المحلية، وعلى رأسها أسر ذات نفوذ سياسي أو ديني بالبلاد..."[2].

لكن منذ أواخر القرن17 انتهجوا سياسة أخرى محاولين مد نفوذ البايلك على الجهات الداخلية، خاصة بعد انخفاض غنائم الجهاد البحري، وقد اتبعوا في ذلك أسلوب القوة متجاهلين ظروف وأحوال الأهالي ورأي رجال الدين، وهذا ما تسبب في حدوث الاضطرابات والثورات في أغلب جهات الوطن[3].وبعد أن تعرفنا على البيئة الاجتماعية للسكان في الفصل الأول يظهر أن تعامل الحكام العثمانيون مع المجتمع الجزائري كان بدرجات متفاوتة، حيث قسموا السكان إلى أصناف حسب أوضاعهم الاجتماعية

---

1 -L, Rinn, Le Royaume D'Alger Sous Le Dernier Dey D'Alger, p. 127.

2- جميلة معاشي، الأسر المحلية الحاكمة ببايلك الشرق الجزائري، من (10هـ/16م إلى القرن 13هـ/19م)، دراسة اجتماعية سياسية لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث، تحت إشراف حماد حسين، 1990-1991، ص. 342

3- ناصر الدين سعيدوني، والمهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ، ج. 4، ص. 36.

والاقتصادية، وهذه الأصناف هي كالآتي[1]:

الصنف الأول	وهي القبيلة المستغلة من قبل النظام وخلفائه
الصنف الثاني	مستقل وثائر يعيش معزولا سواء في الجنوب أم في الشمال، على السهول أم على الجبال
الصنف الثالث	متحالف مع النظام وعلى رأسه قبائل المخزن

ومن خلال هذا التصنيف يتضح أن المناطق الريفية هي الأكثر منعة على السلطة العثمانية، وقد لجأ الأتراك إلى استعمال قبائل المخزن تدعيما للحكم العثماني، وكانت هذه الأخيرة حلقة الوصل بين الأهالي والحكام نظرا للمهام العسكرية والإدارية المنوطة بها[2]، وقبائل المخزن هذه هي عبارة عن تجمعات سكانية اصطناعية متمايزة في أصولها مختلفة في أعراقها فمنها من أقرها الأتراك بالأراضي التي وجدت عليها لتكون سندا لهم, ومنها من أعطيت لها الأرض لتستقر عليها, وتتولى الدولة تجهيزهم بالسلاح والخيول، والإعفاء من الضرائب[3]، ومنها من استقدم كأفراد مغامرين أو متطوعين من جهات مختلفة لتأليف قوة شبه عسكرية ترتبط مصالحها بخدمة الحكومة التركية[4]. وبفعل الدور الرئيسي الذي لعبته قبائل المخزن تعرض الأهالي لضغوط متزايدة خاصة في مستهل القرن 18 حين ازداد اهتمام الحكام بداخل البلاد، وأصبح امتداد نفوذ الدولة يقاس بمدى نشاط هذه القبائل، كما هو الحال في الأراضي المعروفة باليعقوبية الواقعة جنوب

1- احميدة عميراوي، علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، ص-ص. 41-42.

2- ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر "العهد العثماني"، ص-ص. 97-101.

3- محمد مبارك الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، ج. 3، ص. 293. وشارل روبير أجرون، تاريخ الجزائر المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، ط. 2، الجزائر، 1982، ص-ص. 11-12.

4 - M. Pauyanne, La Propriété Foncière En Algérie, Jourdon, Alger, 1900, p. 291.

معسكر[1]، كما ساعد ت هذه القبائل على تدعيم نزعة الولاء للقبيلة[2]، وأحسن وصف لهذه القبائل هو قول بعض الدارسين إنّ المخزنية في الجزائر هي قوة مأخوذة من البلاد لحكم البلاد[3]، كما أن الحكومة التركية اعتمدت على القبائل القادرة على التحرك والمتهيئة للقتال في كل وقت، بعد أن أصبحت لا تتلقى أي دعم مادي أو بشري من مركز السلطة العثمانية، فوجود هذه القبائل في النقاط الإستراتجية من البلاد، ساعد بفعالية على إبعاد خطر القبائل الجبلية والصحراوية والحد من عصيانها نحو السهول الخصبة[4]، وقد كان القواد والبايات في حدود تلك الأوطان يحصلون على مساعدة قبائل الدوائر وأهل المخزن لمراقبة منازل السكان والرعية ورفع الضرائب، والفرائض الشرعية وغيرها[5]، كما اكتسبت قبائل المخزن كيانا مستقلا ومتميزا فاتخذت ألقابا خاصة بها استمدتها من مواطنها الجديدة، أو من وظائفها التي كانت تقوم بها، أو من نوع السلاح الذي تحمله كمخزن الزواتنة[6] الذين استقروا على ضفتي واد الزيتون وهم كراغلة، ومخزن المكاحلية وذلك لنوع السلاح الذي يحملونه[7]،/ كما استطاع البايلك بفضل هذه القبائل إبقاء قبائل جرجرة والتيطري في هدوء،و استطاع صالح باي ومن بعده أحمد باي قسنطينة أن يقمع ثورات الأوراس، والهضاب العليا الشرقية، بإسكان قبائل الزمول في الهضاب العليا وسفوح الأوراس الشمالية بعد طرد أولاد عبد النور وأحلافها من تلك الجهات، كذلك توطين قبائل الدوائر والزمالة بالجهات الوهرانية[8]. وبفضل هذه القبائل

---

1 -Boyer," L'evolution De L'Algerie Médiane" C.R Par Le Tourneau , In R.A, 1960 , P-P 457-462.

2- ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر "العهد العثماني"، م. و. ط، الجزائر، 1984، ص. 123.

3 - Esterhazy Walsin, Domination Turque Dans L'ancienne Régence d'Alger, p. 71.

4- أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم: المهدي بوعبدلي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1973، ص. 414.

5- أندري برنيان، الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة اسطمبولي ومنصف عاشور، ص. 134.

6- وادي الزيتون يقع على الضفة اليسرى بواد يسر وجنوب شرق العاصمة، بين قبيلة الخشنة وبني جعاد.

7- ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر (العهد العثماني)، ص-ص. 97-101.

8- ناصر الدين سعيدوني، المرجع نفسه، ص-ص. 109-111.

فقط تمكن الأتراك من حكم الجزء الأهم والأكثر غنى من الإيالة الجزائرية فدورها كان متكاملا مع الدور الذي قام به الكراغلة في المدينة وكذلك مع الدور الذي قامت به الحاميات العسكرية في بعض المدن[1].

وكنموذج على سياسة العنف هذه سياسة علي باشا (1809 م- 1815م) فرغم كفاءة هذا الأخير في الحكم إلا أنه كان سفاحا وقتل الكثير من العرب،وبعض أعيان البلاد دون ارتكابهم أية جريمة[2]. أيضا أصبح البيات في بايلك الشرق بعد حادثة مقتل جعفر باي إذا قرب وقت الدنوش يأخذون أموال الناس ظلما بالمصادرة والنهب والغزو على أموال العرب[3].كما أكد على سياسة العنف والقوة هذه تيدنا وهو يصف سياسة باي معسكر، الذي خدم في بلاطه أثناء أسره كخزندار للباي[4] غرب الجزائر، وقد روى أنهم كانوا يخرجون في غزوات على سكان البلد، فينهبون المداشر ويسبون الأهالي، ويسترسل تيدنا في حديثه عن هذا الباي، فيقول أن هذا الأخير يرسل كتبا للبلاد التي يريد سلبها، حتى يفاجئهم أكثر، فيحدد لهم مكان اللقاء حينها يقوم هو بشن غارته على الخيام وأخذ كل شيء حتى النساء والأطفال[5] ولعل هذه هي نفس الحملات الانتفاضية التي حدثنا عنها ميرسي، وذلك حين لا يجد الحكام أسلوب آخر لفرض نفوذهم، ويقوم بها بعض البايات على العشائر الممتنعة عن الجباية، وغالبا ما تنتهي هذه الحملات بالحصول على الغنائم الوفيرة والثروات الطائلة، منها حملة شاكر باي عام 1817م على منطقة نمامشة، وقد اضطر العديد من عشائر النمامشة إلى مغادرة مواطنها قبل وصول الجند المهاجم، مما اضطر الباي إلى الانتقام من جيرانها قبائل

1- احميدة عميراوي، علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، ص. 39.

2- حمدان خوجة، المرآة، تقديم وتعليق محمد العربي الزبيري، ص. 151.

3- أحمد شريف الزهار، مذكرات نقيب أشراف الجزائر، تحقيق أحمد توفيق المدني، ش. و. ط، الجزائر، 1980، ص. 161.

4- وهذا الباي هو محمد بن عثمان باشا، الملقب بمحمد الكبير، وقد تولى منصبه هذا عهد الداي محمد عثمان باشا، (1766-1791) ومنح هذا اللقب بعد تحريره النهائي لمدينة وهران عام 1791م.

5- احميدة عميراوي، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني (مذكرات تيدنا أنموذجا)، دار الهدى 2003، ص. 86.

سيدي عبيد[1]، كذلك حملة الباي إبراهيم بن علي عام 1822م على قبائل النمامشة[2]، وحملة الباي مصطفى الوزناجي عام1797م على عشائر الحراكتة والتي انتهت بإخضاعهم والحصول على مغانم كبيرة منهم[3]. إذن لقد تعرض الأهالي للاضطهاد والتشريد والقتل جماعي على يد السلطات التركية، إذ يقول مسلم بن عبد القادر في هذا الوضع: "أن الجندي كان يتقبض على الخمسة أو الستة رجال ويأمرهم، بقتل بعضهم بعضا إلى الآخر منهم فيقتله هو"[4]. و لم يكتف الأتراك بالقتل فقط، بل اخترعوا طرق جديدة وتفننوا في التنكيل بالمتمردين، حيث يأمر بإخراج المحكوم عليهم بالإعدام إلى السوق، ودق أعضائهم بالمعاول حتى الموت واقتلاع عيني الرجل وهو حي ثم يطلق يهيم في البرية حتى الموت[5]، فوجود تركي واحد داخل قبيلة أو دوار عربي يثير الرعب والمذلة، لكافة رجال الدوار ويضيف بيسونال أن أسلوب الأتراك هو أبشع الأساليب المطبقة ضد أهالي البلد[6]. كما اعتمد الأتراك طريقة المغالاة في الضرائب والجبايات والسلب والنهب للأموال بالقوة، سواء كان ذلك من طرف الحكومة أو من طرف القبائل المغيرة على بعضها البعض. وهذا تسبب في انعدام الأمن وتشتيت القبائل، وانتشار المجاعات والفتن[7] و كمثال على ذلك ما أشار إليه بيسونال عن قبائل أولاد عبد النور فهؤلاء عند قدوم الصبايحية إليهم يختار لهم السكان أحسن الخيام، فيرد عليهم الأتراك بالشتم والسبّ ثم يقومون باختيار أحسن الخرفان لتذبح لهم وقد تصل الوقاحة بقائدهم أن يبيت مَعَ زوجة شيخ

---

1 - Mercier Ernest , Histoire De Constantine, Marlet Et Biron,Constantine1903, p. 303. Et Henri-Delmas(Degramont),Histoire D'Alger Sous La Domination Turque(1515-1830) , p. 63.

2 -Vayssette," Histoire Des Derniers Beys De Constantine", In R. A, 1863, p. 115.

3 -Mercier Ernest, Op Cit, p. 346.

4- مسلم بن عبد القادر، أنيس الغريب والمسافر، تحقيق وتعريب رابح بونار، ش. و. ط، (1391هـ/1974م)، ص. 98.

5- مسلم بن عبد القادر، المصدر نفسه، ص. 98.

6 - Peyssonnel Et Desfontaines, Voyage Dans La Régence De Tunis Et d'Alger, Présente Par Dureau De La Malle,2vol,Paris,Gide1858 , p. 151.

7- صالح عنتري، مجاعات قسنطينة، تحقيق وتقديم رابح بونار، ش. و. ط، 1974، ص. 33.

القبيلة إذا أعجبته ويتلذذ بقضاء الليلة معها، وفي الصباح يحمل وجنوده بالمؤونة التي تكفيهم أثناء سفرهم، ويودعه الشيخ بعبارات السلامة والوداع وفي قلبه يود لو أنه لا يراه مجددا، [1]. وكان كلما ثار الأهالي على الحكام زاد هؤلاء في تشديد قبضتهم على الحكم، وطغيانهم على الرعية إذ "كان الجندي يأتي بثلاث رؤوس أو أربعة ويضعها بين يدي الباي كما يضع الرجل البصل"[2].

كذلك من أهم الوسائل التي اعتمد عليها الأتراك في سياستهم لتثبيت حكمهم لمدة تزيد عن ثلاثة قرون، بعد أن تأكدوا أن القوة العسكرية[3] وحدها لا تقهرالأهالي خاصة في المناطق الصعبة الجبلية، هي خلق العداوات بين مختلف العشائر، حتّى لا يتحد الأهالي ويشكلوا قوة ضاربة قد تقضي على الحكام أنفسهم[4]، ويقول الباي أحمد في هذا الصدد "إن حالة الحرب هي عادة الأعراب، وأن الذي يريد حكمهم قد يتحتم عليه الإبقاء على ذلك، بل عليه أن يحرص على تشجيع المنافسات بين القبائل المختلفة الأصول والأجناس، لأن أوضاع السلم تقارب بين العرب وتوحدهم حول غرض واحد، وهذه الحالة ينبغي ألا يطمئن إليها من يريد السيطرة عليهم، إذ قد تأتي ظروف يتحد فيها هؤلاء الرجال كالإخوة، فيجدون أنفسهم متهيئين للقيام بالثورة وبالعكس إذا وجدت الحرب والعداوة بينهم ينتفي ذلك، ولهذا من يريد حكمهم يكون دائما متأكدا من إيجاد الأنصار بينهم"[5].

كما استغلت السلطات عامل الدين لتحقيق الاندماج في المجتمع والذوبان فيه، فأصبح هؤلاء الوسطاء من رجال الدين (المرابطين) حاجز لعزل السكان عن الحكام، ونتج عن تصرفاتهم ازدياد طمع الحكام

1- Peyssonnel Et Desfontaines, Voyage Dans La Régence De Tunis Et d'Alger, p. 208.

2- مسلم بن عبد القادر، أنيس الغريب والمسافر، تحقيق وتعريب رابح بونار، ش. و. ط، 1391هـ/1974م، ص. 53.

3- مبارك إبراهيم الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، ج. 3، ص. 298.

4- مبارك إبراهيم الميلي، المصدر نفسه، ص. 293.

5- أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، مذكرات، تحقيق محمد العربي الزبيري، ش.و.ط، 1977، ص. 88.

وارتفاع الغرائم، وانتشار السخط في أوساط السكان الذين عجزوا عن دفع مختلف الضرائب[1].

ومن الأساليب التي استعملها الحكام أيضا لإخضاع القبائل المستقلة، هو محاولة التحكم في الأسواق الأسبوعية الواقعة بالقرب من مواطن هذه القبائل المستقلة ومنع أي تبادل أو تعامل تجاري خارج هذه الأسواق، وبهذا أرغمت القبائل الجبلية والعشائر الصحراوية للتوجه إلى تلك الأسواق ودفع الرسوم المستحقة عليها والتي حددت بنسبة 10% من ثمن البضاعة المحمولة للأسواق[2]. ومن خلال هذا يمكننا القول أن أهم ما ميز الحكم العثماني هو القسوة والتعسف وذلك لأجل تحقيق ثلاثة أهداف:

1- إقرار الأمن والمحافظة على الهدوء والطاعة ولو باستعمال العنف.

2-ضمان استخلاص الجباية بشتى الوسائل.

3- المحافظة على الوضع الاقتصادي والعلاقات الاجتماعية بضمان امتيازات الجماعة الحاكمة[3].

إضافة لسياسة القسوة والظلم التي كانت إحدى المظاهر السلبية للحكم كان لنظام الدايات مظاهر إيجابية، سعى فيها بعض الحكام لتقرب من الرعية، أمثال حسن باشا آخر الدايات وكانت سيرة هنا الأخير حسنة، أعفى عن كثير من المظالم والجرائم ورفع الظلمات كما ساعد الفقراء, إنّ عماله على البايات ظلموا واستبدوا[4]، كما امتاز حكم بعض الدايات باحترام الأملاك بما فيها من عقارات ومنقولات و لم يتسببوا أبدا في قلب النظام الاجتماعي[5]، والدليل على هذه الخطابات التي رددها أواخر العهد العثماني الموظفون الذين يعملون في الديوان منهم بولكباشي وأوضاباشي وباش يولداش بقولهم للسكان وحلفائهم "إنا أجانب لم

1- محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية في الشرق الجزائر، ش. و.. ط، ص. 24.

2- ناصر الدين سعيدوني، والمهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ، ج. 4، ص. 110.

3- ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط. 1، 2000، ص-ص. 174. 176.

4- أحمد شريف الزهار، مذكرات نقيب أشراف الجزائر، تحقيق أحمد توفيق المدني، ص. 176.

5- حمدان خوجة، المرآة، تقديم وتعريب محمد العربي الزبيري، ص. 113.

نخضع هذا الشعب و لم نمتلك البلد لا بالقوة ولا بحد السيف، إننا لا نصبح سادة إلا بالاعتدال واللّطافة.!!! وفي بلادنا لم نكن رجال دولة، وإنما حصلنا على ألقابنا ومراتبنا في هذه الأرض فهذه البلاد إذن وطن لنا، وإن واجبنا ومصالحنا تتطلب منا أن نعمل على إسعاد هؤلاء السكان كما لو كنا نعمل من أجل أنفسنا"[1]، أما عن سياسة الحكام في المدينة فقد حاولوا التعاون مع أعيان المدن، كأعيان مدينة قسنطينة الذين عملوا كموظفين إداريين ساهموا مساهمة فعالة في تسيير شؤون المدينة ومع هذا فقد استطاعت هذه الأسر الحاكمة أن تحافظ على نفوذها ووزنها السياسي الهام في بايلك قسنطينة، طول الفترة العثمانية رغم أن نفوذها هي الأخرى اقتصر على الإشراف على الحياة القبلية بمناطق نفوذها، فهي تمثل حسب قول جميلة معاشي "همزة وصل بين الحكام والرعية، فكانت من جهة ونتيجة لولائها الطوعي والمشروط للحكم المركزي تحافظ على أمن البلاد وتعمل على ترسيخ الحكم العثماني بها عن طريق جباية الضرائب، ومن جهة أخرى ترعى مصالح أتباعها وأمنهم الداخلي..."[2]. وقد تحول شيوخ القبائل والأسر الحاكمة بأرياف البايلك، من حكام مستقلين كانوا يحملون لقب(أمير) و(سلطان) تدل على حكمهم المطلق إلى موظفين يحملون لقب شيخ[3]، وقد أكد بن مبارك أنه مقابل استيلاء الترك على قسنطينة يكون تشريف الوطن بين ثلاث، ثلث لشيخ العرب وثلث لشيخ نجع الحنانشة وثلث لحاكم الإقليم[4]. فصالح باي (1771-1791) مثلا لم يتحكم في بايلك الشرق إلا بتعاون مع رؤساء الأسر الكبرى كأولاد مقران بمجانة وأولاد بوعكاز بالصحراء، وأولاد عاشور بفرجيوة والأحرر وأولاد قاسم في الشرق وجنوب شرق قسنطينة[5].

1- حمدان خوجة، المصدر نفسه، ص. 131.

2- جميلة معاشي، الأسر المحلية الحاكمة ببايلك الشرق الجزائري، من (10هـ/16م إلى القرن 13هـ/19م)، رسالة الماجستير في التاريخ الحديث، تحت إشراف حماد حسين، 1990-1991، ص. 344.

3- جميلة معاشي، المرجع نفسه، ص. 155.

4- مبارك إبراهيم الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، ج. 3، ص. 290.

5- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني، ص. 50.

كما حاول الأتراك أن يتحالفوا مع البرابرة وأن يشجعوا الصناعة بجميع أنواعها، ويجعلوا لكل فرقة أمين ومفتش ورئيس كل هؤلاء هو شيخ البلد، زد على ذلك هناك حاكم ثاني يختار من بين الأسر الشريفة التي تنتمي إلى أحد المرابطين، ويسمى نقيب الأشراف[1]، وهؤلاء هم الذين يحافظون على الأمن في مختلف الطبقات والسلطة تلجأ إليهم في جميع الحالات[2]، إن نفوذ الحكومة العثمانية لم يكن في يوم من الأيام ثابتا أو دائما على حال واحد ،و إنما يتوسع كلما قويت شوكة الحكومة به، ويتقلص كلما كثرت الثورات وشاعت الفوضى وضعف الحكم[3]، فقد عمل الأتراك من أجل بسط نفوذهم على كامل القطر الجزائري، كما لجأو إلى بناء الحصون والأبراج في الأماكن التي يكثر فيها التمرد والعصيان من طرف البدو، كتبسة وزمورة وبسكرة وحمزة.. .الخ،كما أنشئوا الثغور والحصون لمواجهة الخطر الخارجي كثغر بجاية وجيجل والقل وعنابة.. .الخ[4]، وذكر الورتلاني أن نفوذهم وصل حتى بسكرة وقاموا ببناء برجين عسكريين، أحدهما داخل المدينة والآخر خارجها على منبع المياه التي ترد إلى المدينة، وذلك لمراقبة جميع تحركاتهم وتثبيت سلطانهم [5]، كما التجأ الأتراك إلى مصاهرة بعض العائلات مثل مصاهرة أحمد باي القلي لعائلة بن قانة، وعن طريق هذه العائلات تمكنت السلطة المركزية من زيادة نفوذها مثل منطقة النمامشة والحراكته ومجانة والأوراس والزيبان والهضاب العليا، وذلك بفضل مكانة هذه الأسر[6]، ولم يكن سلطان الدايات يتعدى حسب ما قاله (Rinn) سدس

---

[1]- وكان لنقيب الأشراف مكانة عالية حيث كان هو أول من يقدم البيعة للحكام، ويحضر بجانب علماء المذهبين في اجتماع الديوان، وتعد عائلتي المرتضى والزهار من اشهر العائلات التي توارثت نقابة الأشراف في الجزائر خلال العهد العثماني، أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 1، ص. 293.

[2]- حمدان خوجة، المرآة، تقديم وتعريب محمد العربي الزبيري، ص-ص. 125-126.

[3] - ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، دار الغرب الإسلامي، ط.1، 2000، ص.550.

[4]- الحسين بن محمد الورتلاني، نزهة الأنصار في فصل علم التاريخ والأخبار، المشهور بالرحلة الورتلانية، تحقيق محمد بن أبي شنب، ص.686-687.

[5]- الحسين بن محمد الورتلاني، المصدر نفسه، ص.687.

[6] - Charle (F), Les beaux de Houcine bey, I.N.R.A 1863, P.128.

مساحة الجزائر الحالية، فقد كانت هناك مجموعات سكانية تعيش مستقلة تماما عن بعضها البعض[1]، وأشار عبد الرحمان جيلالي، أن سلطة الأتراك العملية لم تشمل سوى 75 ألف كيلومتر مربع ينتهي شرقا بمدينة طبرقة وغربا بوادي ملوية، وفي الجنوب بجبال العمور المتاخمة لعين ماضي[2]، ومن أكثر المناطق الممتنعة عن السلطة العثمانية، كما أشار بعض الرحالة والجغرافيين هي باغاي مع كونها المركز الرئيسي للمناطق الشرقية من الأوراس، فقد كانت منذ عهد باكر مستقلة بشؤونها،و يقول ليون الإفريقي (الحسن الوزان) :إن سكان الأوراس قد امتنعوا من عقد أي صلات مع سكان المناطق المجاورة لهم، وذلك خوفا من تعسف الأمراء وظلم الحكام[3]، وقد اقتصرت علاقة شيوخها بالسلطة المركزية بدفع رسوم ضعيفة مقابل اعتياد الأسواق[4]. كذلك سكان قسنطينة لم يكونوا كلهم خاضعين لسلطة الباي، فهناك أهالي ساحل بجاية والبابور لا يدفعون الضرائب المترتبة عليهم، خاصة بعد الهزيمة التي ألحقتها قبائل بني فليسة بالأتراك في مضايق جرجرة. أيضا العشائر والقبائل القاطنة بنواحي جيجل والقل وسطورة ظلت مستقلة و لم تعد تدفع الضرائب منذ زمن طويل[5]، ويؤكد ذلك ما ذكره شالر في مذكراته، عن سفينة أمريكية غرقت سنة (18 أغسطس 1824م)، في شواطئ بجاية الشرقية ووقوع سبعة من البيض ورجل أسود في قبضة القبائل الذين يسكنون المنطقة وكانت سيادة الحكومة لا تمتد إليهم، فوجب على القنصل الأمريكي دفع مبالغ مالية لهذه القبائل ليطلقوا سراح الرهائن الأمريكان[6]. أيضا ومن خلال رحلة العياشي يظهر أن أجزاء كبيرة من البلاد كانت مستقلة لا تخضع

---

[1] -Rinn (l) , le royaume d'Alger sous les derniers deys d'Alger, IMP libraire editure 19000.P.366.

[2]-عبد الرحمان جيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج.3. ديوان المطبوعات الجامعية، ط.7. 1415 هـ/1994م. ص.32.

[3] – ليون الإفريقي، وصف شمال إفريقيا، ص. 407.

[4] - Rinn (l) , OpCit, P.127.

[5] – ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في الجزائر في العهد العثماني، م.و.ط. الجزائر 1984. ص.234.

6- وليام شالر، مذكرات القنصل الأمريكي، تحقيق وتعريب اسماعيل العربي، ص.242.

للوجود العثماني، بل هي تحت تصرف أمراء محليين[1]، كما ظلت القبائل الجبلية الشديدة المراس بمناطق جرجرة والبابور والأوراس وبني مناصر والونشريس وبني شقران وطرارة منعزلة في مواطنها الفقيرة وهي لا تجسر على الإقتراب من مواقع فرسان المخزن، حتى إن اضطرتها الحاجة لتوجه نحو السهول الخصبة طلبا للرزق فغالبا ما تنخرط في قبائل المخزن، كما يقول ابن سحنون:"إن انقياد برابر جبال جنوب تلمسان وشمال الظهرة للحاكم العثماني كان بالاسم فقط، وكذلك الضاعنون من العرب، ماعدا أعراب قليلة مستخدمة لكونها قريبة من رمية مدافع الحصون"[2]. وأكثر ما حاولته السلطة العثمانية لتثبيت نفوذها هو إقرار الأوضاع في المناطق الجبلية كما كانت عليه قبل ذلك وذلك بانتهاج سياسة مهادنة معتمدة على خلق أحلاف محلية تستند إلى نفوذ العائلات ورجال الدين كما سبق وذكرنا.

وآخرا وليس أخيرا فتأثير البايلك السياسي كان ضعيفا بالنسبة لجميع أنحاء الإقليم، وتبقى المدن الكبرى هي التي أديرت بنشاط قوي من طرف البايات، وعلى أية حال فإن الإدارة التركية في النصف الثاني من القرن 18م، اتسمت بمظهر الاستبداد والظلم -أحيانا- وبمظهر التحالف والتعاون مع الأعيان للوصول إلى السيادة المطلقة على هذه البلاد .

خامسا: موقف المجتمع الجزائري من الحكام:

كما سبق وأشرنا فقد ألزمت قبائل الرعية الخاضعة مباشرة للحكم، بتقديم الضرائب الإضافية بجانب أداء رسوم الزكاة والعشور، هذه الضرائب التي أصبحت في الفترة العثمانية تتضمن عدة أنواع من الالتزامات الثقيلة كالغرامة والمعونة، كما تعرف باسم اللزمة بايلك التيطري والحكر والجبري في دول

1- مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ش.و.ط، ص-ص.28-29

2- أحمد بن سحنون الراشدي ، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم المهدي بوعبدلي، مطبعة البعث ، 1973، ص.141.

الغرب والمونة والغرامة، ببايلك قسنطينة[1]، وقد كان هذا الضغط المالي سببا مباشرا في انعزال الحكومة وعدم تجاوب السكان معها[2].وسببا في انتشار ثورات داخلية كثيرة كان من ورائها أعراش وقبائل وكذلك سكان البدو وأحيانا الانكشارية[3]، وقد امتد لهيبها حتى المدن، والسبب في ذلك هو سوء معاملة الحكام للرعية والاهتمام بالكرسي والعرش، وهذا أدى إلى قتل جلهم في مناصبهم، تارة شنقا أو ذبحا[4] ،كما عرفت أحيانا أخرى البلاد الاستقرار والأمن وارتفاع مستوى المعيشة مثل عهد عثمان باشا[5]. إلا أن أكثر ما ميز الحياة السياسة هي امتيازها بطابع القسوة كما سبقت الإشارة لذلك، لذا كانوا يعانون من الثورات ضد حكمهم المركزي[6]،خاصة في عهد الداي بابا علي[6]، ومنه كان مفعول هذه الخطة السياسة التي سار عليها الأتراك زيادة الحقد والضغينة وحب الانتقام في صدور الوطنيين، دون أن ننسى ذكر طبيعة هؤلاء السكان التي أشار إليها حمدان في كتابه المرآة والتي تحول دون خضوعهم للحكام بسهولة بقوله حين وصفهم "هؤلاء السكان الذين على العموم أناس رحل قريبون من التوحش..."[7] وكثير من هؤلاء المجموعات يعيشون فرادا، يعتمدون على السرقة والنهب ولا يخضعون للأتراك"[8]. وهم في حالة شبه مستقلة ويخضعون لسلطان شيوخهم ولقوانينهم الخاصة، فبلد ميزاب مثلا يتمتعون باستقلال تام حتى إن امتيازاتهم جاءت وفق معاهدات مكتوبة، كذلك قبائل بني سنوس، بن زروال، بني زواوة، بني عباس، كانوا يشكلون دولة أو جمهورية مستقلة عن

1- ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر (العهد العثماني)، ص. 104.

2- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي في الجزائر أواخر العهد العثماني، ص. 243.

3- محمد بن عبد الكريم، حمدان بن عثمان خوجة ومذكراته، دار الثقافة بيروت، ط. 1، 1972، ص-ص. 10 -11.

4- حمدان خوجة، المرآة ، ص.10و venture de paradie ,Alger au XIII siécle, p-p.42-85.

5-Degrammont ,histoire d'Alger sous la domination turque 1516-1830.p-p.310-314.

6- venture de paradi, Alger au XIII siècle, P-129.

7-Degrammont.OpCit.P.313.

8- حمدان خوجة، المرآة ، تقديم وتعريب محمد العربي الزبيري، ص.68-69.

غيرها[1]، وهذا يعني وكما أشرنا في الفصل الأول أن الحاكم الفعلي في البلاد هو قوة العائلة أي رؤساء الشيوخ والمرابطين في التنظيم القبلي. وقد كانت الحملات التي يشنها الحكام على الأهالي سببا مباشرا في إعلان العصيان والقيام بثورات مختلفة، نأخذ منها بعض النماذج:

في سنة 1638م حدثت انتفاضة في مقاطعة قسنطينة ضد الأتراك تزعمها كل من خالد السريري قائد الحنانشة، وخليفة شيخ العرب صخري بن بوعكاز، حيث هاجم القائدان مدينة قسنطينة واستطاعا أن يهزما الأتراك في موقعة بين قسنطينة وسطيف، ويضيف فيرو أن قائد الحنانشة قد قبل توقيع الهدنة ولكن بالشروط التالية:

1- أن لا يطالب الأتراك الأهالي بالضريبة (اللزمة)

2- أن يعود الجيش للجزائر أو يسحق كليا في حالة رفضه[2].

1- وليام شالر، مذكرات، تحقيق وتعريب إسماعيل العربي، ص-ص. 111-115.

2-Féraud, "Les Harar Seigneur Des Hanancha, L'étude Histoire Sur La Province De Constantine", in R.A 187, P.200.

كذلك سنة 1767م- (1180هـ-1181هـ) وفي أوائل هذه السنة تم تمرد جميع قبائل فليسة ونواحيها وقد أرسل إليهم الداي جيشا، فكانت النتيجة خسران 300 قتيل من رجال الجيش الذي عاد للجزائر العاصمة مهزوما، وقد دام هذا التمرد قرابة ستة سنوات و لم ينجح الأتراك في إخماده إلا سنة 1769م (1182هـ-1183هـ)، وقد أرغم القبائل على العودة إلى الجبال نهائيا سنة 1772م (1186هـ)[1]. أما في سنة 1828م قامت قبائل الحشم بثورة ضد الأتراك، وانضم إليهم التيجانيون سكان (عين ماضي) وحاصروا مدينة معسكر، لكن باي وهران، أنقد المدينة وهزمهم[2]. كذلك الثورات التي وقعت شمال الأوراس، ويسكن هذه المناطق ثلاث قبائل هي الحنانشة والحراكته والنمامشة، فالحراكته والنمامشة اتحدوا سنة 1797م، وتمردوا على النظام المركزي إلاّ أن الباي مصطفى الوزناجي حاكم التيطري انتصر عليهم، كما شهدت الفترة ما بين 1803م-1805م تمرد قام به الحنانشة وقضى عليها انيكليز باي[3] وفي سنة 1822م تمرد النمامشة ورفضوا جمع الضرائب فخرج ضدهم الباي إبراهيم بن علي[4] وأخذ لهم أربعين ألف رأس من الغنم[5]. هذا بالإضافة إلى خروج عدد من القبائل عن طاعة السلطة، كقبائل أولاد نايل التي تمتد أرضها بين مسيلة، وبوسعادة، والأغواط، والجلفة، والتي أعلنت العصيان فسار إليها قائد التيطري من أجل إخضاعها فغلبوه وقتلوه، فسار إليهم صالح باي قسنطينة وأرغمهم على

1- محمد بن عبد الكريم، حمدان بن عثمان خوجة ومذكراته، ص-ص. 12-13.

2- محمد بن عبد الكريم، المصدر نفسه، ص-ص. 53-54.

3 - Henri-Delmas(Degramont),Histoire D'Alger Sous La Domination Turque(1515-1830), p. 363.
مصطفى إنجليز الذي عزل سنة 1803م نتيجة تصرفات ابنه الطائشة، وبدلا من أن يقصد الحجاز كما وعد بذلك، استقر في تونس وظل فيها يناور لاسترجاع بايلك الشرق.

4- إبراهيم بن علي الكريتلي، الباي 18 بعد مقتل صالح باي، تولى الحكم سنة 1822، و لم يبقى سوى خمسة اشهر، وترك مكانه للباي محمد نفي في ديسمبر من نفس السنة.

5 -Vayssette," Histoire de derniers Bey de Constantine", In R. A, 1863, p. 115.

الطاعة[1]. أما سكان بلاد لجنوب فتمردوا وامتنعوا عن تأدية المفروض عليهم من الضرائب اعتزازا وترفعا عن الإذعان لسلطة الحاكمة، وحدث ذلك من أهل جبل عمور بجنوب الجزائر الغربي سنة (1199هـ-1785م) وقد تصدى لهم صالح باي، وأخضع كل من أفلو، وعين ماضي، والأغواط[2]. كما تعتبر حوادث سنة (1236هـ/1820م) من أهم الوقائع التي نشبت ببلاد القبائل بسبب جور الحكام الولاة. فتحطم يومئذ برج بوغني وقتل الزعيم محمد أوقاسي، وأعقبتها ثورة سكان المناطق المحيطة ببجاية واحتل بنو عباس ناحية البيبان، وقد حاول يحيا آغا[3] القضاء على هذه القبيلة وذلك بإيقاد النار من كل الجهات[4]. أيضا موقف قبائل بني جناد سنة 1824م من تنفيذ أوامر الداي حسين هذا الأخير الذي أمر باستغلال أشجار الغابات التي يسكنها هؤلاء، إلاّ أن بنو جناد رفضوا ذلك خاصة وأنهم يقدسون الأشجار بالأخص الأشجار الكبيرة المعمرة فعمد الداي حسين إلى توجيه جيش بقيادة يحيا آغا لإجبارهم على ذلك إلاّ أنهم دافعوا بقوة عن أراضيهم حتى اضطر الجيش لتقهقر إلى الوراء[5]. وفي سنة (28 أكتوبر 1824م) وصلت أخبار ثورة من سكان منطقة بجاية ضد الحكومة المركزية بهجومهم على القائد وقتله ونهبه[4]. ومنه فالأهالي عادوا إلى حياة البدو والرحل سعيا وراء تجنب الوقوع تحت وطأة الضرائب، أمّا قبائل بني ميزاب فأول اتصال كان بينهم وبين السلطة العثمانية حدث من طرف الميزابيين المهاجرين للتجارة والعمل في مدن الشمال، كقسنطينة والجزائر، وهذا الاتصال كان شبه ترابط وتعاهد بين الطرفين لضمان لمصالح المتبادلة،

1- أحمد شريف الزهار، مذكرات نقيب أشراف الجزائر، تحقيق أحمد توفيق المدني، ص. 50.

2- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج. 3، ص. 263.

3- يحي آغا: ثاني رجل حرب وسياسة ودهاء شغل منصب القيادة العامة للجيش طيلة 12 سنة وكثرت حوله الدسائس وعزل عن منصبه، ثم أبعد لمدينة البليدة وبعث من قضى عليه خنقا وهو بحديقته سنة 1828م، مذكرات أحمد شريف الزهار، تحقيق أحمد توفيق المدني، ص. 162.

4- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج.3، ص-ص. 336-337.

5- احميدة عميراوي، وصف رحلة من الجزائر إلى قسنطينة عبر الجبال 1832، المكتبة الجامعية غريان ليبيا، 2003، ص-ص 24-25.

دون أن يؤثر هذا الاتصال في تغيير النظم الداخلية، وقد أشار إلى ذلك الشيخ أحمد توفيق المدني في كتابه محمد عثمان باشا بما نصه: لما كان الميزابيون يهاجرون إلى بلاد التل باستمرار قصد التجارة والمكسب، فقد اعترفت قصورهم (بلدانهم السبع) منذ انتصاب الأتراك بالتبعية للديوان وإنما كانت التبعية اسمية فقط[1]، ولم يحدد مداها، فكان استقلالهم مطلقا في بلادهم، إذن هناك شيء من التبعية الاسمية فقط[2]. وحتى النساء شاركن في رفضهم للحكم التركي، فالتاريخ يروي لنا ما حدث من الست علجية بنت بوعزيز بن ناصر شيخ قبيلة الحنانشة بسوق أهراس شرقي الجزائر، فإنها لما رأت انهزام قومها أمام الأتراك المتجمعين من جيوش باي قسنطينة (حسين بوكمية) وحليفه باي تونس في تاريخ (1136هـ/1720م) فاهتزت لهذا الحادث وامتطت صهوة جوادها وتقدمت بنفسها لحشد الجيوش ضد خصمها، فنهض القوم جميعا معها رجالا ونساءا وقاتلوا معها الأتراك، وقد حدث هذا كذلك مع أم هاني التي قادت الجيوش بنفسها ضد باي قسنطينة، ولم يكن الباي لينجوا أمامها إلاّ بحيلة المصاهرة لها في ابنتها[3]. كل هذه العوامل ساعدت على الخلل بين مختلف الطبقات الاجتماعية والسلطة الحاكمة، فالأمراء مستقلين يدفعون إتاوة للداي، في مقابل احتفاظهم بنوع من الاستقلال الذاتي، وهذا القسم تارة يكون متحالف مع الأتراك وتارة تحدث بين الجانبين اصطدامات ومعارك، وهؤلاء مع أنهم احتفظوا بنوع من الحكم الذاتي لكنهم لم يتمكنوا من القضاء على الحكم التركي لأنهم كانوا متفرقين ولم يحاولوا توحيد كلمتهم[4]. وكانت الرعية ترفض حكم الدايات مستنجدة بالمجموعات المستقلة أو بالدول المجاورة أو بالجماعات الدينية المقاومة

1- وليام شالر، مذكرات، تحيق وتعريب اسماعيل العربي ،ص.253

2- حمو محمد النوري، نبذة عن حياة الميزابيين الدينية والسياسية والعلمية، من (1505هـ /1962م)، ج. 1، دار الكروان، باريس، 1984، ص. 226.

3- إبراهيم محمد طلاي، ميزاب بلد كفاح، دار البعث، قسنطينة، 1970، ص. 42.

4- محمد مبارك الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، ج. 3، ص. 293.

7 -Vayestte," Histoire de derniers Bey de Constantine", In R. A, 1869,p. 149.

للحكومة[1].

وقد عبر الأدب[2] الجزائري عن هذه العلاقة بين الحكام والأهالي وعن الحالة النفسية الناتجة عن انعدام روح التعاون والترابط بين الحكام والمحكومين نتيجة لانتهاج سياسة القوة وعلق (vayssette)على هذه العلاقة بقوله: "إن كاهل العربي ناء تحت حكمهم واستبدادهم الشنيع الذي جعل الجزائريين لا يقبلون على التفتح ويهملون الثقافة و لم يفكروا إلاّ في خلاص أملاكهم وأنفسهم من جشع المستبدين"[3].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1- وليام شالر، مذكرات، تحقيق وتعريب إسماعيل العربي، ص. 253.

2- قول الشاعر في الداي شعبان 1625م.

ما رأينا كأمير ضلم الناس وشبح

فهو كالجزار فينا يذكر الله ويذبح

أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج. 2، أخبار شعبان باشا داي الجزائر في كتاب الشهب المحرقة، لأحمد مصطفى برنار، ص. 330.

3 -Vayssettes," Histoire de derniers Bey de Constantine", In R. A, 1863, p. 151.

خـــــــاتمة

تميز الحكم العثماني في الجزائر بسلطة عسكرية حادة دامت قرابة 3 قرون، لكن حكمهم أبدا لم يكن محترما من طرف الأهالي حسب ملاحظات بعض المعاصرين له منهم شوقي القرن 17م، وأحمد شريف الزهار في القرن 18م،إضافة إلى تحليلات سعد الله وبوذيا، فالأوضاع السياسية في الفترة المتأخرة للحكم العثماني مرت بفترات مختلفة عرفت أحيانا بالاستقرار والأمن وأحيانا أخرى بالفوضى والاضطراب جعلت القبائل تقوم بثورات مستمرة ضد الحكام، وقد حال هذا النزاع دون اكتمال سلطة الحكومة العثمانية على كامل التراب الجزائري. ومنه نستخلص على رأي سعيدوني أن الحكم التركي هو ظاهريا أكثر منه حقيقي لا سيما في المناطق النائية لدرجة الصدام[1]. ولعل أصدق تعبير ما قاله الورتلاني عن حال البلاد وظلم الحكام وتعسفها بقوله:"...غير أنه خال من السلطة وأحكامه، فالوطن سائب، عمره الله على يد السلطان العدل..."[2].

1- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني، ص.21.

2- محمد الورتلاني، الرحلة الورتلانية، تحقيق محمد ابن أبي شنب، ص.28.

الفـــصـــل الثـــالث

سلـــطـــة شيوخ القـــائل

تـــــمهيـــــد

أولا: أهمية المشيخة في المجتمع الجزائري.

ثانيا: نفوذ ومهام شيوخ القبائل.

ثالثا: أشهر المشيخات في الجزائر.

رابعا: علاقة الحكام بالشيوخ.

الخـــاتمـــة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تـــــمهيـــــد

ن النظام الاجتماعي في الجزائر ينطلق من القبيلة أو العرش[1]، يتزعمها الشيخ الذي يتولى شؤون الجماعة، أما المدينة فتبرز فيها طبقة أرستقراطية تجارية حيث تسيطر العائلات الكبرى[2]، وقد جرت العادة أن يختاروا رؤسائهم من بين أعيان البلد، وكانت قوة العائلات والعائلات التي تتحالف معها هي الأساس الذي يقوم عليه أمن الأشخاص واحترام الملكية[3]. وحسب التقسيم الإداري للريف الجزائري فالقبيلة كما سبقت الإشارة إليها هي الوحدة الإدارية في الغالب، ويشرف على هذه الإدارة قياد مؤيدين بسلطات مدنية وعسكرية وقضائية، وطبعا فلكل دوار شيخ يشرف عليه ويتولى أموره ويرعى مصالحه[4]. ومنه فسلطة الشيخ[5] في المجتمع الجزائري سبقت سلطة الحكومة المركزية (السلطانية) لهذا عمل الأتراك على استمالة معظم هؤلاء الشيوخ لصالحهم، وحسب ما أشار إليه سعيدوني فأهم ما يميز الوجود العثماني في الجزائر هو إقراره للأوضاع في المناطق الجبلية كما كانت عليه قبل ذلك[6]، وإبقاء سلطة الأرياف عمليا بيد شيوخ القبائل، وإقامة حاجزا من الوسطاء جلهم من رجال الدين، وكان بعضهم من رؤساء القبائل وشيوخ

1- إن نظام العشائر هذا هو نظام إسلامي، أقره الإسلام، وحث عليه في الحدود التي بينها. وهو سبب كبير لصلاح المجتمع الإسلامي وتقدمه، وبهذا النظام وحده تحفظ حقوق اليتامى والأرامل والسفهاء والمجانين. ويحفظ به نظام الأسر والعائلات بحفظ الأنساب، وإلزام النفقات وإيصال حقوق الميراث لأصحابها كما خفف به ثقل الدية عند القاتل بالخطأ على القاتل بتوزيعها على أفراد العشيرة...الخ. محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج.1، ط.1، المطبعة التعاونية، 1835-1965، ص-ص.232-233.

2- اندري برنيان، الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة اسطنبولي ومنصف عاشور، ص.133.

3- وليام شالر، مذكرات، تحقيق إسماعيل العربي، ص.115.

4- أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تحقيق ونشر محمد بن عبد الكريم، القاهرة، 1969م، ص.81.

5- فمن المتعارف عليه في أدبيات المجتمع الجزائري، أن للشيخ مكانة مرموقة في وسط أهله، سواء كان متعلما أو غير متعلم، لاعتبارات كثيرة منها تقدم سنه المفترض فيه التجربة الناجحة والحكمة الناصحة، عميراوي احميدة، فواصل من الفكر والتاريخ، ص.80.

6- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، دار الغرب الإسلامي2000، ط.1، ص.482.

الأعراش[1]. وقد حاول البايات إثبات سلطتهم على الشيوخ الذين يختارهم الأهالي أو يختارون من طرف قائد الوطن تركيا كان أو عربيا، بإرسال قفطان التعيين إليهم. وسنحاول من خلال عرضنا لمكانة هؤلاء الشيوخ في المجتمع معرفة مدى سلطانهم ونفوذهم على أوطانهم، وهل السلطات في الجزائر كانت متعددة أم بيد قوة واحدة "السلطة المركزية السلطانية"؟.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1- محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، ص.24.

أولا- أهمية المشيخة في المجتمع الجزائري

1- مفهوم المشيخة:

إن رئيس القوم يسمى (الشيخ)[1]، هذا الأخير يباشر السلطة الإدارية والتنفيذية نيابة عن الأمير[2]، وقد كان الشيخ عادة أكبر أفراد القبيلة سنا وحكمة وهو الأمير والقائد[3]. والشيوخ هم الذين يتولون شؤون القبائل الجبلية والعشائر البدوية، وكل واحد منهم يختص بدوار أو عرش أو دشرة، وهذا الشيخ إذا تعدت سلطته وشملت عدة قبائل، أصبح يتعامل مباشرة مع الباي أو خليفته[4]. ويضيف بيسونال أنه كل مساء يجتمع رؤساء الخيام داخل أحد البساتين بشكل دائري، أما رئيس الدوار فيقف على حصانه وسط الدائرة، حيث تعرض عليه كل المسائل التي تعود بالفائدة على المجتمع ويقوم بإعطاء نصائحه، وأوامره، وكل ما يستلزم القيام به في الغد، وفي حالة حدوث أمور استثنائية تقوم هذه المجموعة بالاجتماع بنفس الطريقة في أي وقت وفي أي ساعة[5].

1- يطلق على الشيخ عند القبائل البربرية (امغار) ومعناها الكبير، وغالبا ما يكون هذا الأخير من ذوي العصبيات والغنى. عبد الوهاب منصور، قبائل المغرب العربي، مطبعة الملكية، الرباط، 1968، ج.1، ص.281.

2- محمد المهدي بن علي شغيب، أم الحواضر بين الماضي والحاضر، مطبعة البعث، 1980، ص.217.

3 - جميلة معاشي، الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن(10هـ/16م-13هـ/19م)، دراسة اجتماعية سياسية، رسالة الماجستير في التاريخ الحديث، تحت إشراف الأستاذ حماد حسين، جامعة قسنطينة(1990/1991)، ص.137.

-Payssonel Et Desfontaine, Voyage Dans La Régence De Tunis Et d'Alger,Présenté Par Dureau De La Malle, Paris, 1858, P.211.

4- فلة القشاعي، النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني (1837م- 1771م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، تحت إشراف ناصر الدين سعيدوني، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1989_1990م، ص.58. وأحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، دار الكتاب، ط.2، 1963، ص-ص.114-115.

5 -Payssonel Et Desfontaine, Op.Cit, P.211.

2- معايير اختيار الشيوخ في المجتمع الجزائري:

من المتعارف عليه في المجتمع الجزائري أنه لكل قبيلة شيخ يتولى إدارتها ورئاستها ويجب أن تتوفر في هذا الأخير عدة شروط من أهمها:

1- أن يكون من ذوي العصبيات الكبيرة،وكما ذكر ابن خلدون فالعصبية هي مصدر قوة القبيلة ويخضع أفرادها إلى شيخها بالولاء[1]، وكلما كانت هذه المجموعات القبلية موغلة في القفار، أو واقعة تحت وطأة الحرمان، كلما كان تلاحمها أقوى وعصبيتها أمتن[2]. وفي الحقيقة وحسب التقاليد فاختيار الشيخ يكون حسب معايير المال، النفوذ، الشجاعة، ويتم اختياره من طرف أغلبية الأصوات[3].

وفي هذه الحالة غالبا ما تكون المشيخة وراثية[4]، حتى أن بعض الأسر القوية ظلت دائما تتحفظ في علاقتها مع البايلك، وتعتبر نفسها الأقوى مثل قبيلة أولاد ساولة مثلا التي لم يستطع البايات استمالتها والحد من عداوتها نظرا لشجاعتها وإقدام رجالها[5]. وفي الجنوب أيضا كانت العائلات الكبرى التي تمتلك أراضي شاسعة هي التي تقوم بتعيين رؤساءها[6] مثل قبيلة الدواودة، قبيلة بن قانة، عائلة بن جلاب[7]. وقد ظلت هذه

1- ابن خلدون، المقدمة، مج1.ص.225-226.

2- المختار الهراس، " القبيلة والدورة العصبية قراءة في التحليل الخلدوني للمجتمع القروي المغاربي " مجلة المستقبل العربي، عدد.98، أبريل 1987، مجلد.9، عدد.93، ص.56.

3 -Babes Laila, Mythe D'origine Et Structure Tribales Dans Le Constantinois Sous La Domination Turque, Thèse De 3e Cycle, Aix-En-Provence, France1984, P.96.

4- أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، دار الكتاب، ط.2، 1963، ص-ص.114-115.

5 -Show(Thomas), Voyage Dans plusieurs provinces de la barbarie et du levant ,Traduit par .Jean neaulme.T.1.p.395. Et L, Rinn, Le Royaume d'Alger Sous Le Dernier Dey, P.125.

6- كذلك وليام شالر أكد أن معظم الشيوخ يختارون من بين أعيان البلد، مذكرات، تقديم وتحقيق إسماعيل العربي، ص.115.

7 -Féraud, Le Sahara de Constantine notes et souvenirs, Adolphe jourdan, libraire éditeur Alger, 1881, p.231.

- كما أشار إلى هذا ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي في كتاب، الجزائر في التاريخ (العهد العثماني)، ج.4. ص.108.

العائلات الكبيرة والقبائل هي التي تعين رؤسائها حتى أواخر العهد العثماني، على الرغم من محاولات بعض البايات أمثال صالح باي القضاء على هذه الاستقلالية[1].

2- كما أن معظم الشيوخ يعمدون إلى مد جذورهم إلى طبقة الأشراف وذلك لمكانة النسب الشريف، وقد ورثوا هذا اللقب بدعوى انحدارهم من أصلاب أجدادهم الأوائل الذين ينتسبون للأسرة العلوية[2]، لجعل نفوذها ومكانتها أقوى، في وسط مختلف القبائل كأسرة الحنانشة وهناك عدة روايات عن أصول هذه الأسرة، فالاحتمال الذي تمسكت به أسرة (أحرار الحنانشة) وعملت على تأكيده هو الانتساب إلى الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب، وقد عمد شيوخ الأسرة إلى تأكيد هذه الحقيقة بوضعهم شجرة نسب تعيدهم إلى القائد (حنش بن عبد الله بن عمر بن الخطاب) وقد قدموها سنة 1874م إلى الباحث الفرنسي فيرو عند مباشرته لكتابة تاريخ الأسرة[3].

3- والمتتبع لمراحل تطور المشيخة في الجزائر، يلاحظ كذلك أن نفوذ زعمائها كان دينيا بالدرجة الأولى ناتج عن التفاف القبائل حول زاوية الأسرة، وهذا ما أكده الرحالة الورتلاني عند حديثه عن شيوخ أسرة المقراني ومما جاء في قوله عنهم "ذهبنا لزيارة الشيخ الولي الصالح والبدر الواضح ترياق وطننا وأمير بلده، سيدي أحمد بن عبد الرحمان جد أولاد مقران"[4]. وقد كان شيوخ القبائل عادة يقترحون من طرف

1- Vaysette," Histoire Des Derniers Beys De Constantine" , In R.A, 1859, P.119.

2- ومعظم هؤلاء قدم من المغرب الأقصى ويلجئ الكثير لرضاهم، فرج محمد فرج، دكتوراه دولة في التاريخ، إقليم توات خلال القرنين 18 م و19 م، ديوان المطبوعات الجامعية، 1988، ص.13.

3 - Féraud," Les Harar Seigneurs Des Hanancha",In R.A, 1874, P.125.

- وقد ناقشت الباحثة ليلى باباس هذا الموضع وأن ابن خلدون هو الآخر ينسب هذه الأسرة إلى حنش بن عبد الله الصنعاني، من أتباع الرسول –صلى الله عليه وسلم- وتؤكد أنها لم تعثر على ذلك في مصادر أخرى.

Babes Laila, Mythe D'origine Et Structure Tribales Dans Le Constantinois Sous La Domination Turque, Thèse De 3e Cycle , Aix-En-Provence, France1984, p.187.

4- الحسين بن محمد الورتلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الأخبارالمشهوربالرحلة الورتلانية، تحقيق محمد بن أبي شنب، ص.11.

مجلس القبيلة نفسها، فيجتمع شيوخ القبائل في أواخر الصيف، أي بعد الدرس ويقومون بتجديد مبايعة شيخ القبيلة لمواصلة أعماله[1]، ويزكي ذلك الاختيار قائد الوطن أو الباي، الذي يبعث بدوره برنوس أبيض إلى كل شيخ يعينه[2]، إلاّ أن هذه الطريقة تغيرت جذريا في نهاية العهد العثماني القرن (12هـ/18م) لأنه أمام طمع البايات أصبحت المشيخة تمنح لمن يدفع ضريبة أكبر. ومنه لم تعد المعايير السابقة الذكر لها أهمية في اختيار الشيخ، وبذلك أصبح كل شخص ومهما كانت مكانته، وحتى إن كان غريبا على القبيلة بمجرد ما يدفع أموال أو يبدي استعداد لدفع ضريبة أكبر من سابقه يستطيع الوصول للمشيخة بسهولة[3]. وكنموذج على ذلك ما حدث بين شيخ قبيلة صنهاجة وقائد بون حيث أنه وبعد وفاة أحد الشيوخ تسلم ابنه الأكبر المشيخة لكن أخاه الأصغر طمع بها فأعطى لقائد بونة ألف بيساستر، فقام هذا الأخير بقتل الأخ الأول، ونصب الثاني شيخ لقبيلة صنهاجة، وبقي هذا الشيخ عبدا للقائد يستغله كل ما احتاج لماله بأن يدفع له ألف بيساستر أخرى ليستمر في المحافظة على مكانته[4].

ثانيا–نفوذ ومهام شيوخ القبائل

إن سلطة شيخ القبيلة هي سلطة مشاودة إلى قيم المجتمع الذي وجد فيه، ويمكن إدراجها في السلطة التقليدية التي ذكرها (ماكس فيبر)[5]، وقد كان هذا النوع من السلطة منتشرا في المجتمع الجزائري، خاصة

1 -Babes Laila, Tribus Structure Sociale Et Pouvoir Politique De Constantine Sous Les Turque, D.E.A,Fac. De Droit Et Des Sciences Politique, Aix-En-Provence, France1981, P.97.

2 - Baudicourt, De La Guerre Et Gouvernement d'Alger, paris, sagnier Bray, 1853, P.273.

3- جميلة معاشي، الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن(10هـ/16م-13هـ/19م)، دراسة اجتماعية سياسية، رسالة الماجستير في التاريخ الحديث، تحت إشراف الأستاذ حماد حسين، جامعة قسنطينة1990/1991، ص.153.

4 -Payssonel Et Desfontaine, Voyage Dans La Régence De Tunis Et d'Alger,Présenté Par Dureau De La Malle p.187.

5- احميدة عميراوي، من الملتقيات التاريخية الجزائرية، مطبعة البعث، قسنطينة، 2000، ص.98.

وأن العلاقة القبلية هي علاقات سيطرة وولاء[1].ومن أبرز المهام التي كان يقوم بها الشيخ السلم بين القبائل[2],كما أنه وبناء على اللامركزية التي كانت تمتاز بها الإدارة العثمانية بشكل عام فإن (الشيخ) في الجزائر كان يحظى بصلاحيات واسعة على مستوى قبيلته سواء في مجال الجيش والأمن والقضاء وحتى المالية[3]، فهو الذي يشرف على توزيع الأراضي وتنظيم ملكيتها بين العائلات ومراقبة كمية ونوعية الإنتاج التي تدره على الفلاحين لضمان جمع الضرائب[4]، ومنه أصبح هؤلاء الشيوخ واسطة بين الأهالي والحكام[5].

ويساعد شيخ القبيلة مجلس قبلي يجتمع في بيته[6]، وقد لاحظ ابن حوقل هذا الموضوع فذكر بخصوص سكان بلاد المغرب أن لهم رؤساء "يطيعونهم فلا يعصونهم ويأمرونهم فلا يخالفونهم"[7].

من خلال هذا يمكننا القول أن الفرد القبلي يلتزم بطاعة شيخه نتيجة لولائه له ليس إلا وذلك لأنه يمكن للفرد أن يعتزل بكل سهولة دون أن يناله أي عقاب بدني[8]. ومن أشهر النماذج عن نفوذ شيوخ القبائل، شيخ إقليم توات الذي كان يتمتع بنفوذ قوي، حيث كان الجميع يحرص على أخذ رأيه، فهو يعد

- اجميدة عميراوي، المرجع نفسه، ص.98.

2- حمدان خوجة، المرآة، تقديم وتعريب محمد العربي الزبيري، ص.83.

3 - BaudiCourt, de la guerre et gouvernement d'Alger, paris, sagnier Bray 1853, p.273.

4 -BaudiCour, op. cit, p.272.

5- ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ، ج.4، ص 109.

6- جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط، الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين(9_10م)، ص.252.

كما تتكون هذه المناطق من أصناف اجتماعية مختلفة من السكان ولا يوجد نظام إداري دقيق يحكمها وتتركب بصفة عامة من: الجواد أو الفرسان الذين ينتمون غالبا إلى عائلة الأمير والشيخ، المحاربون الذين يعتمد عليهم بيت الشيخ في الدفاع عن ذاتيته وامتيازاته، الفرسان الذين لا ينتمون إلى عائلة الأمير والشيخ، أما الدرجة الرابعة فهي جمهرة الفلاحين الذين يدفعون الضرائب للأمير أو الشيخ ومنهم يجند الأمير والشيخ فرسانه، أحمد مبارك الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، ج.3، ص-ص. 293-294.

7- ابن حوقل، أبو القاسم محمد علي البغدادي النصبي 380هـ/990هـ، المسالك والممالك والمفاور والممالك المعروف بصورة الأرض، بيروت، دار الحياة، دون تاريخ، ص.97.

8- جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص.252.

الحاكم الفعلي وصاحب السلطة المطلقة على مقاطعته، والمتصرف في أمورها الإدارية والاقتصادية[1]، كما أن لقب (السلطان) الذي أطلقه الرحالة الأجانب أمثال شو وبيسونال على شيخ الحنانشة تدل على استقلالية حكمه التامة وأكد ذلك بعض الباحثين منهم الأستاذة جميلة معاشي بعد دراستها عن الأسر المحلية الحاكمة لبايلك الشرق استنتجت أن الحنانشة كانوا يتمتعون باستقلال إداري تام عن سلطة الباي بقسنطينة[2].. فشيخ الحنانشة يتمتع باستقلال داخلي ويترأس مجلس الجماعة الذي كان يقوم بتعيين أعضاء ديوان القبيلة كي يتشاور معهم في الأمور الهامة كالحرب، كما يسهر على التكفل بالمهام الاقتصادية والعسكرية والإدارية للقبيلةو كان له نظام شبيه بالنظام المركزي، فقد كانت له هيأة إدارية تتمثل في مجلس يتكون من أعيان الأسرة الحاكمة ورؤساء القبائل التابعة لها، مما سمح له بإدارة شؤون رعاياه بحرية مطلقة,و قد قسّم أراضيه لعدة مناطق إدارية لإحكام قبضته عليها وجمع الضرائب ودفعها للسلطة المركزية (بايات قسنطينة)[3]. أما مهمته اتجاه السلطة المركزية فتتمثل في أمرين أساسيين يشترك فيها معظم شيوخ القبائل كجباية الضرائب من القبائل التابعة له. وحفظ الأمن بمنطقة نفوذه[4]، وقد امتد نفوذهم على رقعة غير قليلة من الوطن بين حدود الجزائر وتونس من تبسة حتى سوق أهراس ثم إلى عنابة حتى قلعة سنان، إلى جبل مسيد ومنه إلى جنوب وادي مجردة، وجبل تليس[5]و احتلت قواتهم المرتبة الثالثة في المنطقة بعد قوة كل من باي قسنطينة والأسرة الحسينية في تونس.[6] وكان الشيوخ يتصرفون في أمور رعيتهم بكل حرية، ولهم

1- فرج محمود فرج، إقليم توات في القرن 18 و19م، ص.27.

2- جميلة معاشي، الأسر المحلية الحاكمة بايلك الشرق، 16هـ/19م، ماجستير في التاريخ الحديث، 1990-1991، ص.153.

3 -Féraud," Histoire De La Ville De La Province De Constantine Et Bordj Bouariridj", R.S.A.S, 1871-1872, p-p.159-263.

4- لتفاصيل أكثر عودة إلى رسالة، جميلة معاشي، الأسر المحلية الحاكمة بايلك الشرق، ماجستير في التاريخ الحديث، (1990-1991)، ص-ص.139-140.

5 -Féraud," Les Harar Seigneurs Des Hanancha",In R.A, 1874, p.139.

6 -Féraud," Notice sur Tebessa", R.A, 1874, p-p.449-456.

جيوش خاصة تأتمر بأوامرهم، ويعتبرون الحكام الشرعيين والمدافعين عن مصالح الأهالي أمام الحكام العثمانيين، وكان الأهالي بدورهم لا يعترفون بسلطة البايات إلا إتباعا لسياسة شيوخهم وطاعة لأوامرهم، وأكبر مثال على ذلك السلطان بوزيد وكان شيخ القبائل العربية، ونتيجة لقوته فلا أحد يجرؤ حتّى على شتم أحد من أفراد قبيلته[1]. وأيضا التفاف القبائل حول شيخها (خالد بن نصر) في ثورة (1046هـ/1637م)[2]، وغيرها من الثورات التي كان الشيوخ يعلنونها كلما تدخل البايات في شؤونهم الداخلية.

وتتضح استقلالية هذه القبائل كذلك من خلال وصف رحلة علي رضا أفندي عبر جبال قسنطينة لعام 1833م، حيث ذكر أنهم مروا بالبيبان[3]، وكان شيخها يدعى البراليتيكي، وقد كانت هذه المنطقة تحت سيطرة شيخها، و لم يقوى الأتراك على عبورها حتى بالقوة[4] وهذا ما لاحظه الرحالة الفرنسي بيسونال حين مروره بالمنطقة سنة 1725م، رفقة الحامية التركية باتجاه الجزائر بقوله إن القوات العثمانية كانت تخشى المرور بمضيق البيبان المنيع، وإنّ أفراد الحامية لا يجرءون على طلب المؤونة من قبائل المنطقة خوفا من شيخ

---

1 -Payssonel Et Desfontaine, Voyage Dans La Régence De Tunis Et d'Alger, Présenté Par Dureau De La Malle, p.211.

2- كما أنه لا يمكن أن نتجاهل مشاركة المرأة الجزائرية في الكفاح والدفاع عن وطن ضد الظلم والعدوان، وما روى لنا التاريخ عن الست علجية بنت بوعزيز شيخ قبيلة الحنانشة بسوق اهراس شرقي الجزائر، فهذه الأخيرة عندما رأت انهزام قومها أمام جيوش باي قسنطينة (حسين بوكمية) وخليفه باي تونس سنة(1136هـ /1724م)، اهتزت للحادث وتقدمت بنفسها لحشد الجيوش وصرخت في قومها بقولها:

إن يك ظني صادقا وهو صادقي بشملة يحبسهم بها محبسا أزلا

فيما شمل شمروا طلب القوم بالذي أصبت ولا تقبل قصاصا ولا عقل

فنهض القوم لدعوتها وقاتلوا معها رجالا ونساء ا وانتصروا عليهم، كما وقع هذا مع أم هانئ و لم ينجح الباي أمامها إلاّ باللجوء إلى مصاهرتها في ابنتها.

Vayssette," Histoire des derniers beys de Constantine",in R.A, 1859, p120.

3- البيبان: سميت بهذا الاسم لأنها متكونة من جبلين على درجة كبيرة من الوعورة، يمتد بينهما طريق عميق وآثار لمجرى تجميع المياه.

4- احميدة عميراوي، وصف رحلة من الجزائر إلىقسنطينة عبر الجبال1832، المكتبة الجامعية ليبيا 2003، ص.50.

أولاد آمقران، فوصف حالتهم هذه بقوله "اضطررنا للمبيت في العراء، والبقاء تحت الشمس المحرقة، دون أن يجرأ أحد من رجال المحلة على طلب الضيافة، كما بقينا جائعين دون أن يجرأ أحد على الاقتراب من رأس غنم واحدة من ماشية السلطان ..."[1]. إلّا إنّ نفوذ هؤلاء الشيوخ وكما أشار إليه بعض المؤرخين محدود، خاصة إذا كان هؤلاء الشيوخ غير طرقيين[2]..

إلى جانب هؤلاء الشيوخ المستقلين إداريا نجد عدد كبير من الشيوخ والقادة الذين ساهموا في إدارة الأرياف وذلك بتفويض من الإدارة العثمانية لتسيير شؤون قبائلهم، مقابل التزامهم بدفع ضريبة معينة، ومن هؤلاء شيخ بلزمة، الأوراس، الخنقة، فرجيوة، ومن القادة قادة العواسي (الحراكتة)، قائد النمامشة، قائدة الزمول وغيرهم[3]. وكان هؤلاء الشيوخ يقترحون عادة من طرف مجلس القبيلة نفسه ويزكي ذلك الاختيار قائد الوطن أو الباي، إلّا أن هذه الطريقة تغيرت أواخر العهد العثماني نظرا لجشع وطمع البايات فأصبح يتولاها من يدفع ضريبة أكبر، وهذا جعل الرعاع يتسابقون لعرض خدماتهم كل ما سمعوا بتولي باي جديد للحصول على مشيخة القبيلة[4].

---

1 - Payssonel Et Desfontaine, Voyage Dans La Régence De Tunis Et d'Alger, Présenté Par Dureau De La Malle P-P.291-378. Et -Féraud," Histoire De La Ville De La Province De Constantine Et Bordj Bouariridj", Recueille Des Notices Et Mémoire De La Société Archéologique De Constantine. 1871-1872, P-P.232-233.

2-حمدان خوجة، المرآة، تقديم وتعريب محمد العربي الزبيري، ص.56. ووليام شالر، مذكرات، تحقيق إسماعيل العـــربي، ص.115.

3- جميلة معاشي، الأسر المحلية الحاكمة ببايلك الشرق، ماجستير في التاريخ الحديث، (1990-1991)، ص.153.

4--Féraud," Les Harar Seigneurs Des Hanancha",In R.A 1874, p.17.

ثالثا – أشهر المشيخات في الجزائر

من أشهر المشيخات التي اضطر البايات لتعامل معها مثلا: مشيخة النمامشة جنوب تبسة، والحراكتة غربا بناحية عين البيضاء[1]، والحنانشة (الأحرار) بشرق البلاد وهم على اتصال دائم بتونس وقسنطينة، وتعتبر الحارس الشرقي للبايلك والمشرف على أمن الطريق بين قسنيطنة وتونس وبحكم هذه المنطقة اكتسب شيخ الحنانشة لدى الحكام العثمانيين -كما أشرنا سابقا- مكانة هامة جعلته قريبا من مرتبة الباي[2]. مساوياً لهم كما خول لهم الحق في استعمال الطابع الذهبي وقرع الطبول، ورفع الأعلام الخاصة أثناء سير حاميته، كما كان جوق الباي يرافقه من قصر الباي حتى مقر إقامته كلما قدم لتقديم ما على قبيلته من ضرائب، ومقابل كل هذه الأمور كان الشيخ يلتزم بدفع ضريبة سنوية تقدر بـــ 10.000 بوجو كرمز لولايته للحكم المركزي بقسنطينة[3] وكان يشرف على 16 قبيلة، وآل بوعكاز ورؤساء الدواودة بالجنوب، وهم أبناء عمومة أولاد صاولة، السائدين بقسنطينة وكذلك مشيخة قصر الطير (جنوب سطيف) وأولاد بوعزيز بلزمة[4]، وأولاد بوضياف بالأوراس[5]، كذلك أولاد قاسم جنوب شرق قسنطينة، وأولاد عاشور

1-نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى إنتهاء العهد التركي، ص.90.

2- وقد كان كل باي جديد يدعو شيوخ الأسر الإقطاعية الكبرى إلى الاجتماع على ضفة وادي الرمال لاستقباله عند وصوله أول مرة إلى البايلك، وهناك يسلمونهم قفطان التعيين كرمز لمشاركتهم له في الحكم. جميلة معاشي، الأسر الإقطاعية الحاكمة ببايلك الشرق ،ماجستير في التاريخ الحديث(1990-1991)، ص-ص.130-134.

3 -Féraud," Les Harar Seigneurs Des Hanancha",In R.A, 1874, p.346.

4- شيخ بلزمة، كان هذا الأخير يحكم الجبال التي تفصل بين الأراضي المزروعة والصحراء، وجبال الأوراس وتضم هذه الأخيرة أربع قبائل، لم يكن بمقدور البايلك الحصول منها على الغرامة إلاّ بالقوات العسكرية، ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، 1984، ص.289.

5- شيخ الأوراس ويعرف بشيخ الخلعة، وكان يدفع 3000 بوجو حق تعيينه وتحت إمرته 11 قبيلة معظمها في الجبال. ناصر الدين سعيدوني، المرجع نفسه، ص.289.

بفرجيوة هذا الأخير تمتد سلطته بين الخشنة وجميلة[1]، وأولاد مقران بفرجيوة وقد ظلت هذه الأخيرة طوال العهد العثماني تتمتع باستقلالها ويدفع شيخها 10.000 بوجو مقابل تعيينه ويحكم بحانة ويدير 15 قبيلة[2]، ولهؤلاء نفوذ واسع في كامل جهات البلاد[3]، وهم لا يخضعون للأتراك خضوعا كاملا[4]. وقد كان شيخ هذه الأخيرة يتزعم العديد من القبائل بالمنطقة الغربية للبايلك، ونظرا لمكانة هذه الأخيرة أصبح هؤلاء يخطبون وده، ويتقربون إليه من أجل كسب تأييده، وقد فرض أول شيخ لأولاد أمقران وهو عبد العزيز العباسي ضريبة عرفت باسم (ضريبة العسلة) أو (ضريبة المرور) على الطريق الذي يربط بين العاصمة وقسنطينة، وقد فرضت سنويا ابتداء من (960هـ/1554م) حتى نهاية الفترة العثمانية[5]. مشيخة أولاد عبدي بجهات المنعة، ومشيخة أولاد بالقاسم بنواحي المسلية، كذلك مشيخة العرب[6] وقد توارث هذا المنصب أبناء أسرة بوعكاز[7] بعد عودةعلي بوعكاز من تركيا إلى قسنطينة تسلم قفطان الحكم الذي يوليه الحاكم للبدو، كما منح لقب شيخ العرب، بعد ذلك ذكرت المصادر أنه ذهب مع الأتراك إلى تقرت وورقلة ضمن رحلة صالح رايس، 1552م، وفي 1581م استخلف أحمد بن علي بوعكاز والده و لم يعرف

1- ناصر الدين سعيدوني، المرجع نفسه، ص.289. و

Ernest Mercier, Histoire De Constantine, Marlet Et Biron ,Constantine1903, ،P-P. 197-198.

2- L Rinn. Le Royaume D'Alger Sous Le Dernier Dey , P-P.289-290.

3-محمد المهدي بن علي شغيب، أم الحواضر في الماضي والحاضر تاريخ مدينة قسنطينة، مطبعة البعث قسنطينة 1980، ص.284.

4- مختار الطاهر فيلالي، رحلة أورتلاني، عرض ودراسة، دار الشهاب، باتنة، ص.38.

5 - Payssonel Et Desfontaine , Voyage Dans La Régence De Tunis Et d'Alger, Présenté Par Dureau De La Malle, P-P.205-206. -Féraud," Histoire De La Ville De La Province De Constantine Et Bordj Bouariridj",In R.S.A.S,1871-1872, P-P.248-249.

6- وهو زعيم عرب الصحراء، وكان هذا الشيخ يحكم جميع قبائل الأوراس من بلزمة حتى خنقة سيدي ناجي، ويمتد نفوذه على بلاد سوف، حتى حدود الصحراء الكبرى، وإلى الغرب حتى ورقلة، وكانت مهمته تتمثل في حفظ الأمن بمناطق نفوذه وجباية الضرائب إلى جانب دفعه لضريبة سنوية قدرت بـ 20.000 بوجو إلى أن أعفي منها أفراد أسرة بن قانة في عهد الحاج أحمد باي، جميلة معاشي، الأسر المحلية الحاكمة ببايلك الشرق، 16هـ/19م، ماجستير في التاريخ الحديث، 1990-1991، ص-ص. 142-145.

7- Ernest Mercier, Histoire De Constantine, p. 197.

شيوخ الذواودة قوة مثل قوة هذا الأخير حيث فرضت قوتهم من التل إلى الصحراء، إلى غاية مقاطعة قسنطينة، الأغواط، بني ميزاب. وقد لقب هذا الأخير بأبي سبع لحيات نظرا لطول لحيته، وقد عرف احتراما كبيرا من طرف المرابطين[1]. وكانوا يحكمون جميع قبائل الأوراس من بلزمة حتى منطقة خنقة سيدي ناجي، ويمتد نفوذه إلى بلاد سوف حدود الصحراء الكبرى، وإلى الغرب حتى ورقلة، وقد توارثت أسرة بوعكاز منصب شيخ العرب طوال فترة الحكم قبل أن تنافسها فيه أسرة بن قانة[2]. أما في تقرت فكانت سلطة عائلة بني جلاب منذ القرن 15 حتى عام 1854م و يحتكر الحكم ينتقل فيها بصفة وراثية[3]، وهم من بني مرين و توسع نفوذهم من وادي ريغ إلى أنحاء أخرى، ثم تضاءل أمرها وصارت منحصرة في بلدة تقرت ونواحيها القريبة، وانضمت إلى الحكومة التركية في أيام (صالح باي) باي قسنطينة بصفة نهائية سنة 1789م[4]. وقد اعتاد حكام الجزائر القيام بحملات عسكرية ضد بني جلاب لإخضاعهم لسلطتهم نظرا لتمردهم المستمر عليهم، وصل عددها إلى أربع حملات عسكرية، على فترات متباعدة وقد كانت أولى هذه الحملات هي حملة صالح رايس في أكتوبر 1552م، وسببها هو امتناع بني جلاب عن أداء الضريبة واستبدادهم بالحكم[5].

---

1 -Féraud," Notes Historiques Sur La Province De Constantine,Les Ben-Djellab,Sultansde Touagourt ",In R.A 1882, P-P.362-363.

2- جميلة معاشي، الأسر المحلية الحاكمة ببايلك الشرق 16هـ/19م، ماجستير في التاريخ الحديث، 1990-1991. ص-ص.142-144.

وتضيف الأستاذة بقولها "...أن شيخ العرب و سرة بوعكاز خاصة، كانت من أوفى الأسر المحلية للحكام العثمانيين وأكثرها تعاونا..."

3 -Féraud, " Notes Historiques Sur La Province De Constantine,Les Ben-Djellab,Sultans de Touagourt " In R.A 1879,p.54.

4- نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلىإنتهاء العهد التركي، ص.74. وذكرها صالح العنتري في فريدة مؤنسة (في حال دخول الترك قسنطينةو (في حال دخول الترك قسنطينة وإستلائهم على أوطانهـا وذكر شيء مستفاد من سيرة بايالها إلى انقضاء دولتهم و احتواء الفرنسيين على مملكتهم المشهورة بـا (تـاريخ بايـات قسنطينة)، بحث مقدم من الطالب سيساوي أحمد، لنيل دبلوم الدراسات العمقةفي التاريخ الحديث، تحت إشراف العيـد مسعود، 1979-1980. أن صالح باي ضم قسنطينة سنة 1788م.

5- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ط.7، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1998م، ج.3، ص.86.

وقد تمكن صالح رايس فعلا أثناء هذه الحملة من محاصرة تقرت وإرغامها على دفع غرامة لباشا الجزائر ، كما قام يوسف باشا بحملة أخرى ضد بني جلاب وورقلة وتقرت عام 1649م وكان هدفها نفس سابقتها وهو إثبات دفع الغرائم للخزينة[2]. كما قام فرحات بن عمر الجلابي بالتخلي عن دفع الضرائب للسلطة، فعاود صالح باي الهجوم عليه سنة 1785م[3]. أما الحملة الرابعة فكانت بقيادة احمد المملوك سنة 1818م بتحريض من فرحات بن سعيد، ولد في (1786 وتوفي 1842) تولى مشيخة العرب سنة 1821م وهذا ليقضي على سلطان بني جلاب، وضمها لمشيخته[4]، وقد قام هذا الباي بتخريب المنطقة مما جعل سلطان بني جلاب يسارع لإرضائه بدفع ضريبة سنوية تقدر بمائة ألف ريال، وهو ضعف المبلغ الذي وعده به شيخ العرب فرحات بن سعيد[5]، ورغم كل هذه الحملات احتفظ بنو جلاب بالسلطة في أيديهم عن طريق الوراثة[6]. وهؤلاء هم الذين قال عنهم هايدو إنهم يكنون كل العداء للعثمانيين حتى أنهم اعتبراو قتل الجندي العثماني يقربهم إلى الله أكثر من قتل الجندي النصراني، ولا يخضعون للسلطة العثمانية إلاّ عن طريق القوة[7].

1- ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني، الجزائر، ش.و.ط، 1984، ص.229.

2- ناصر الدين سعيدوني، المرجع نفسه، ص.230.

3-Féraud, " Notes Historiques Sur La Province De Constantine,Les Ben-Djellab,Sultansde Touagourt ",In R.A 1880, p.111.

- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج.3، ص.265.

4- ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني، ص.231.

Féraud, " Notes Historiques Sur La Province De Constantine,Les Ben-Djellab,Sultansde Touagourt ",In R.A 1880, P.291.

5- Féraud, Le Sahara De Constantine Notes Et Souvenirs,Adolphe Jourdan,Alger1881, P-P.80-81.

6- معاد عمران، أسرة بني جلاب في منطقة وادي ريغ خلال القرنين 19 و20م، دراسة سياسية واجتماعية، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، تحت إشراف فاطمة الزهراء قشي، 2002-2003، جامعة الأمير عبد القادر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ص.54.

7 - Haedo, " Topographie Et Histoire Générale D Alger Par Haedo", Traduise De L'espagnol Par Berberuger Et Monnereau,In R.A.1870,P.272

ولا يمكن للشيوخ بسط نفوذهم على الرعية إلاّ إذا كانوا من اختيارهم وبتزكية منهم، وهذا الوضع قد فرض على البايات انتهاج سياسة تقارب وترضية مع هذه المشيخات كما سبق وأشرنا في الفصل السابق، وليس على السلطة المركزية نفوذ فعلي على هذه النواحي سوى ما كانت تفرضه على أهلها من الجباية والزكاة واللزمة والدنوش والعوائد والاعتراف بسلطان الأتراك في خطب الجمعة بالمساجد[1]. كما أن إرسال باي قسنطينة بقفطانه بعد تسليمه من الباشا إلى كل من أمير الذواودة وشيخ الحنانشة ورفعه للرايات أثناء انتقالهم وتنشيدهم للموسيقى التشريفية الخاصة بالبايات وهذا ما يوضح مدى القوة التي يتمتعون بها على الرغم من أنهم يظهرون الطاعة للسيطرة التركية[2].

رابعا: علاقة الحكام بالشيوخ

قد كان الأتراك في بداية أمرهم سالكين سياسة التدرج المرحلي، فاكتفوا بداية بالطاعة الاسمية من شيوخ القبائل[3]، بعدها اهتم البايات بالتحالف مع هؤلاء الشيوخ لتحقيق مصالحهم[4]. وكنموذج على ذلك الرسالة التي أرسلها مصطفى الوزناجي باي قسنطينة إلى الشيخ خالد بن نصر، شيخ أحرار الحنانشة، يأمره فيها بحماية زاوية قلعة سنان باعتبارها تابعة لمنطقة نفوذه، والرسالة الأخرى من الباب العالي إلى زعيم أسرة ابن القاضي، حاكم إمارة كوكو يحثه فيها على الوقوف إلى جانب الحكام العثمانيين ضد الغزو الإسباني، والمتمردين بالداخل. وفيما احتوت عليه الرسالة حكم على أمير كوكو (كذا) في ولاية الجزائر الغرب "إن حفظ حراسة وضبط وصيانة –دار الجهاد– ولاية جزائر الغرب غاية مرادنا... لذا فإننا نأمرك بمعاونة

1- عبد الرحمن الجيلالي, تاريخ الجزائر العام، ج.3، ص.557.

2 -Féraud " Note Historique Sur La Province De Constantine, Les Ben Djeleb, sultansde Touagourt", In R.A 1882,P-P.362-363.

3- محمد المهدي بن علي شعيب، أم الحواضر بين الماضي والحاضر تاريخ مدينة قسنطينة، مطبعة البعث، الجزائر 1980، ص.130.

4- حمدان خوجة، المرآة، وتعريب محمد العربي الزبيري، ص.77.

ومصاهرة أمير أمراء الولاية... أحمد دام إقباله على الوجه الذي يراه المذكور مناسبا لحفظ وحراسة تلك الولاية على ما يرام..."[1]

فحاولوا ربط هذه المشيخات القوية بالسلطة وإخضاعها لتصرف الحكام وذلك بمحاولة التقرب إلى هؤلاء الشيوخ عن طريق إسقاط المطالب المخزنية[2] وتقديم فرمانات التولية لهم، وإعطائهم الامتيازات والترضيات لشدة قوتهم ونفوذهم[3] .والسلطة المركزية لم تكن تتدخل في شؤون القبيلة الداخلية و لم تكن تملي أي شرط على شيخها فيما يخص السياسة الداخلية، ومن أكثر النماذج التي يمكننا أن نستشهد بها عن محاولة الحكام لاستغلال سلطة الشيوخ لصالحهم ما قام به حسين داي من استدعاء كبار المشائخ إلى قصره بالقصبة عدة مرات وخلعه البرانس الحمراء وسيوف بأعمدة ذهبية وساعات صدرية[4]، كما سعى الحكام لكسب تأييد كبار المشائخ منهم شيخ آمقران هذا الأخير الذي وقع تحت سيطرته الطريق الرابط بين الجزائر العاصمة وقسنطينة لدى فمعاداته تعني قطع الطريق بينهم وبين قسنطينة[5]، وقد احترم البايات استقلال شيوخ أسرة المقراني داخليا مقابل التزام هذا الأخير بتأمين الطريق للفرق العسكرية العثمانية المارة بالمنطقة[6]. كذلك

1- نص الرسالة أوردته كاملا جميلة معاشي في رسالته الأسر المحلية الحاكمة ببايلك الشرق، ماجستير في التاريخ الحديث، 1990-1991، في الملحق رقم 5، رسالة من الباب العالي إلى زعيم أسرة ابن القاضي حاكم إمارة كوكو يحثه فيها على الوقوف إلى جانب الحكام العثمانيين بالجزائر ضد الغزو الإسباني و المتمردين بالداخل.

2- شيخ القبائل المخزنية أعفي من جميع الضرائب ما عدا ضريبة القفطان التي يدفعها الشيخ للباي الذي يزكي حكمه وقدرت هذه الضريبة بـ 10.000 بوجو.

payssonel Et Desfontaine, Voyage Dans La Régence De Tunis Et d'Alger, Présenté Par Dureau De La Malle, P378. -Féraud," Histoire De La Ville De La Province De Constantine Et Bordj Bouariridj",In R.S.A.S, 1871-1872, p-p.232-233.

3- ناصر الدين سعيدوني، والمهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ، ج.4، ص 109.

4- سيومون بفايفر، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تقديم وتعريب أبو العيد دودو، ش.و.ط. الجزائر 1974، ص.75.

5-Féraud," Histoire De La Ville De La Province De Constantine Et Bordj Bouariridj",In R.S.A.S,1871-1872, p-p.248-249

6 -Féraud," Histoire De La Ville De La Province De Constantine Et Bordj Bouariridj",op cit1871-1872, p.229.

من أشهر الشيوخ الذين سعت السلطة العثمانية لكسب تأييدهم شيوخ الحنانشة، ويعتبر هؤلاء حراسا للحدود الشرقية بين تونس وقسنطينة، لهذا نال شيخها العديد من الامتيازات جعلته قريبا من مرتبة الباي، وقد منح هذا الأخير حق ارتداء القفطان وحق استعمال الطابع الذهبي[1] كما سبقت الإشارة.

كما أن السلطة المركزية اكتفت بجمع الضرائب و لم تكن تتدخل في شؤون القبيلة الداخلية و لم تملي أي شرط على شيخها باستثناء أمن المنطقة واستقرار الأوضاع بها، وهذا ما تدل عليه رسالة مصطفى باي الوزناجي إلى الشيخ خالد بشأن الاعتداء الذي تعرضت له قلعة سنان من طرف أولاد بوغانم[2]. ومنه ومن خلال الوثائق يمكننا تصور العلاقة التي كانت تربط السلطة المركزية بالشيوخ وهي علاقة تعاون وليست علاقة حاكم بمحكوم.

لكن هناك بعض النماذج تدل على اضطراب العلاقة بين الشيوخ والحكام، خاصة عندما يرفض الشيوخ الخضوع لسلطة الحكام، والولاء لهم وكنموذج على ذلك ما حدث بين مراد باي بقسنطينة الذي كان متواجد مع محلته يوم الأربعاء صفر (1047هـ/جوان 1637م)، بقرب وادي الرمال عندما تلقى زيارة الشيخ محمد بن صغيري بن بوعكاز العلوي التابع للذواودة، فألقى القبض عليه وجمع حاشيته وأمر بقتله لأنه خرج عن نظام السلطان، وقبل تنفيذ الحكم راجع هذا الأخير في أمره علي باشا داي الجزائر، حيث وافق وديوانه على قتله فتم قتله بالإضافة إلى ابنه وستة آخرون من أشراف العرب قطعت رؤوسهم وحملت إلى داخل مدينة قسنطينة ما عدا رأس الشيخ احمد وابنه، وبعد مرور عام على هذا الإعدام قام أخ

---

1 -Féraud," Histoire De La Ville De La Province De Constantine Et Bordj Bouariridj",op cit1871-1872, p-p.248-249.

2- جميلة معاشي، الأسر المحلية الحاكمة ببايلك الشرق، (10هـ/16م إلى 13هـ/19م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، الملحق رقم 9 رسالة من مصطفى الوزناجي، باي قسنطينة، إلى الشيخ خالد بن نصر، شيخ أحرار الحنانشة يأمره بحماية زاوية قلعة سنان باعتبارها تابعة لمناطق نفوذه.

الضحية المدعو أحمد بن صغيري بجمع كل البدو والعرب والحنانشة وكل سكان البلاد ابتداء من حدود تونس حتى الجزائر العاصمة وقرر الثورة على الحكومة التركية، وجاء إلى قسنطينة مع كل هذه القوة فخرج السكان يدافعون عنها، لكن أحمد فاجأهم بجنوده وقتل حوالي 25 رجل فتراجع القسنطينيون إلى داخل أسوارهم، أما أحمد فإنه استقر بجيشه في دوار الحامة قرب قسنطينة، حيث أحرق مخازن الشعير القمح في كل ناحية من قسنطينة، حتى وصل إلى ميلة وفي هذا الوقت قام مراد باي بتقديم شكوى وطلب المعونة من علي باشا الذي بعث له القائد يوسف والقائد شعبان برفقة 200 خيمة و4000 رجل بالإضافة إلى جنود مراد باي، عددهم حوالي 100 خيمة وتجمع الجيش من أجل القضاء على احمد بن الصغيري وأصحابه وقد إلتقى الجيشان في مكان يسمى (قجال) هضبة سطيف- تمكن فيها الصغيري من القضاء على الأتراك في (12 جمادى الأول 1818هـ /20 سبتمبر 1836)[1].

1 -Férraud (Ch), "Note Historique Sur La Province De Constantine, Les Ben Djeleb", In R.A 1882, p-p.364-366.

وخلاصة القول أن المشيخة هي منصب مهما كانت نسبته استقلالية هو أكثر ارتباطا بالسلطة المركزية وهذا ما دّل عليه تمسك كل شيخ بتزكية الباشا أو الباي لمنصبه، فهؤلاء الشيوخ في حقيقة الأمر هم زعماء يسيطرون على أتباع يدينون لهم بالولاء باسم التضامن القبلي. فسلطة شيوخ القبائل والأسر الحاكمة إذن كانت شبه مطلقة حيث كانت القبائل لا تعترف إلاّ بسلطة شيوخها الذين كانوا في نظرهم يمثلون السلطة الحقيقية والمباشرة.

وما يمكن قوله في نهاية هذا الفصل أنّ النظام العثماني لم يكن قويا والأتراك لم يعملوا على تذويب هذه الروح القبلية التي استمرت حتى الاستعمار الفرنسي ومما تجدر بنا الإشارة إليه كذلك إن تأثير هؤلاء الشيوخ في أفراد القبيلة، كان لا يكاد يظهر بالنسبة لتأثير المرابط وقد تركت المناطق الممتنعة أو المستقلة تحت تصرف رؤسائها المحليين من مرابطين وشيوخ يتصرفون فيها حسب تقاليدهم المحلية. ولا شك أن المتتبع لتركيبة المجتمع الجزائري ومدى ولاءه لشيوخه يلاحظ بجلاء أن ذلك يرجع لمكانة هؤلاء الشيوخ وعراقة أصولهم وأسرهم.

أما عن تذبذب علاقة هؤلاء الشيوخ بالسلطة المركزية بين العداء والوفاق فهذه العلاقة هي علاقة تعاون وتحالف وليست علاقة تابع بمتبوع كما إنها قد تتحول أحيانا إلى العداء، وخير دليل على ذلك بعض الخصومات التي تحدث بين الطرفين في محاولة السلطات المحلية الحفاظ على استقلالها الذاتي، ومنه يبقى السؤال مطروحا عن مدى استقلال هؤلاء الشيوخ بسلطتهم عن نظام الحكم؟ وهل هذا يعني أنهم كانوا على قدم المساواة مع البايات من الناحية السياسية والإدارية بالبايلك؟.

الفصل الرابع

السلطة الروحية

تمهيد

أولا: موقع كل من المرابط والطرقي

ثانيا : السلطة والولاء للمرابطين والطرقيين في المجتمع

ثالثا : علاقة المرابطين والطرقيين بالسلطة المركزية

الخاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمـــهيـــد

الملك إنما يحصل بالتغلب، والتغلب إنما يكون بالعصبة والدعوة الدينية[1]، التي وجدت رواجا في البيئات الساذجة والمجتمعات البسيطة خاصة وكانت هذه الفئة ترى في المرابط رشيخ الطريقة إماما مزود بقوى علوية، ينفرد بكرامات تجعله مقدسا عن باقي البشر، كل هذه الاعتقادات صادفت هوى في أنفسهم[2]، فكان ولاءهم لهؤلاء الشيوخ (المرابطين والطرقيين) قد بلغ درجة القداسة.

وأول ما يسترع انتباهنا بعد دراستنا للتاريخ العثماني كما ذكرنا سابقا هي أن الجماعات الدينية وفي مقدمتها المرابطون والطرق الصوفية لعبوا دورا كبيرا في حياة المجتمع الجزائري على مدى قرون عديدة، فقد كان لهم سلطة روحية دينية، مدينة، قضائية مكنتهم من تقديم عدة خدمات اجتماعية وثقافية كالتوسط في النزاعات وإقرار أحكام الشريعة الإسلامية والتكفل بشؤون العبادات والتعليم[3]، فالسلطة التي اعتمدوا عليها هي سلطة تطبيق، فالمطلب الديني المفسر من طرف هؤلاء هو مطلب يحقق التوازن المطلوب بحياة واستمرار القبائل وذلك عن طريق تدخل هؤلاء في الصراعات والعمل على خلق التوازن والتجانس داخل القبيلة[4] وهذه السلطة السياسية الدينية يجب أن يتوفر فيها شرطان: 1- السلطة الكاريزمية: "ذات القوى الخارقة"- أي تكون السلطة في يد شخص خارق له قوة غير عادية، وهذه الشرعية الكاريزمية ليس لها أساس إلا في معرفة القبائل لهذا الشخص وإعطائه الحق في الاعتقاد بقدراته الكاريزمية.

---

1 - رمزي النجار، الفلسفة العربية عبر التاريخ، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط.7، 1971، ص.382.

2 - عبد الله النقيرة، انتشار الإسلام في إفريقية ومناهضة الغرب له، دار المريخ، ط.1، 1982، ص. 155.

3 - ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، دار الغرب الإسلامي، ط.1، 2000، ص.492.

4 - Laila Babes, Mythe D'origine Et Structures Tribales Dans Le Constantinois Sous La Domination Turque, Thèse De3 Eme Cycle, AIX En Provence, France 1984, P.144.

2- الخطاب: وهو عبارة عن فكر شفوي وكتابي تكون عباراته رمزية فوق العادة واستثنائية[1]، عند المرابط وشيوخ الطرقية[2] وهذا دفع الحكام إلى جعل بعض هؤلاء الشيوخ والمرابطين واسطة بينهم وبين الأهالي.

إلا أنه ونتيجة لفساد الإدارة العثمانية وانشغال الحكام بجمع الأموال دون مراعاة لمصالح المواطنين، كما سبق وأشرنا زاد ارتباط الأوساط الشعبية بالزوايا والطرق الصوفية، فكان لهم دور كبير في الثورة ضد الحكم أواخر العهد العثماني وذلك من خلال الأفكار والمبادئ التي طرحوها في رفع الظلم وتحقيق العدالة والمساواة، وكل هذه الأمور تجاهلها الأتراك، حين انشغلوا بأنفسهم عن الرعية[3]. فالطرقية والمرابطية احتلت مكانة هامة في المجتمع الجزائري، وكان لها الدور الفعال في معظم الأحداث وسوف يقتصر حديثنا هنا ويرتكز حول نفوذهم وتأثيرهم الاجتماعي والسياسي وعلاقتهم مع الحكام ومعرفة مدى ولاء المجتمع وخضوعه إليهم؟ وكذلك مدى ولاء هؤلاء المرابطين والطرقين للحكم؟.

---

1 - Laila Babes, Op. Cit., p.145.

2 - حوار مصطنع وأفكار شفوية ومكتوبة راقية، ناتجة عن عالم معبر عنها في العديد من الرسائل. فهذا الحوار يدعوا إلى التعمق في القوى الخارقة التي تؤدي إلى الاختلاف في الاعتقاد بالخرافة ذات الأصل القبلي السني الذي سمح للأصحاب وأهل المقدّس الابتعاد عن الاندماج والانحلال حيث أن هذه الأخيرة لا تنتج حوارات عن نفسها مثلما حدث مع مول الشقفة وبني ايدر التي يعود تكوينها إلى الوجود الروماني، وهم الأقدمون كانوا غير متأكدين حول الجد الأول المؤسس لهذه القبيلة، هل هو روماني أو مسلم؟، والمؤكد حضورهم إلى بلد إحدى العائلات المشهورة (بمول الشقة) واندمجوا فيها دون إعطاء أهمية لجذورهم الأولى وهذا يرجع لأفضلية العرق النبيل عرق القداسة (المرابطية).

- Laila Baoes , Op.Cit , p.145.

3 - أندري بنرنيان، الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة اسطمبولي ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر1984، ص.169.

أولا- موقع كل من المرابط والطرقي

1- الفرق بين المرابط والطرقي:

المرابط ليس هو الطرقي فكلمة مرابط في المغرب هي تطلق على كل من يثير إعجاب الناس لنسكه وورعه[1]. واعتقاد الناس في المرابط يقوم على أساس الفكرة القائلة بأن البركة الإلهية تفيض على الولي، ثم تنتقل إلى ذريته فيصبحون جميعا مرابطين يلتمس الناس منهم البركة[2]، وهناك أعراش كاملة تتصف بصفة المرابطية مثل عرش الشرفة، عرش أولاد سيدي الشيخ....الخ، وكلما زادت المكانة الاجتماعية للمرابط ازدادت تأثيراته وامتدت سمعته، وزاد نفوذه[3]، ولمرابط لا تكون له أوراد كالطرق الصوفية ولا أتباع منتظمون ولا دعاة[4]. أمّا الطرقي فهو في الغالب ينتمي إلى الأشراف[5]وإلى مؤسسة طرقية مفتوحة لكل الناس رجالا ونساء وبداية من القرن 11م، أصبحت تطلق على رجال الدين من الأولياء وخاصة الأشراف[6] وأوجه الشبه بينهما هي:

1- إنّ أتباع كلتا الجماعتين يدين بالولاء التام لشيوخهما وكل منهما اتخذ وسيلة الإغراء.

---

1 - حمدان خوجة، المرآة، تقديم وتعريب محمد العربي الزبيري، ط.2، الشركة الوطنية، رغاية 1982، ص.32.

2- Julien (Ch) , Histoire De l'Afrique Du Nord, T.II.2éd, paris1964, p.131

3 - L Rinn , Les Marabouts Et Khouanes , Jourdan, Alger 1884, p.18.

4 - عميراوي احميده، فواصل من الفكر والتاريخ، طبع دار البعث 2002، ص-ص.119- 120.

5 - وحسب باباس ليلى يكون هذا الأخير قد استمد قواه من عراقة نسبه، وقد كانت هناك مبالغة في دورهم السياسي وذلك لقداستهم بين القبائل فقد كانوا يقومون بإعادة تنظيم القبيلة نفسها، وبالتالي يكون دورهم أكبر من شيخ القبيلة نفسه وتكون سلطتهم على عدة قبائل

- Laila Babes, Mythe D'origine et structures tribales dans le constantinois sou la domination turque ,Thèse se 3eme ciycle.France 1984, P-P.268-269.

6 - عميراوي احميده، المرجع السابق، ص.119. وكذلك يحي الهويدي، تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية، مكتبة النهضة العربية، 1966، ص-ص.357-359.

2- وكل من شيوخهما استمد نفوذه من القوة الخارقة التي يوهم بها أتباعه، هذه الأخيرة التي استمدها المرابط عن طريق البركة الموروثة أو المكتسبة والثاني عن طريق الاتصال الذي يحصل له بالتنسك والمجاهدة[1].

3- كل من المرابط والطرقي يعد من أولياء الله الصالحين.

4- زد على ذلك فالزاوية المرابطية والطرقية تجتمع في وظيفة التعليم[2]

أما أوجه الاختلاف بينهما فتمثل النقاط التالية:

1- إن المرابط نفوذه كان لا يتجاوز القبيلة الواحدة بينما الطرقي فنفوذه لا ينحصر في منطقة معينة.

2- كما أنه ليس للمرابط ورد، بينما الطرق الصوفية تربط المريد بالورد الخاص وكذا الأذكار.

3- المرابط عادة يكون جَدًا للقبيلة حقيقيا أو بالولاء، لكن الطرقي لا تربطه بها سوى الرابطة الروحية.

4- إن أتباع المرابط يقدمون له الأموال من هدايا ونذور بمحض إرادتهم بينما الطرق الصوفية تفرض التزامات مالية على المريد، يقدمها هذا الأخير بدافع وجداني خوفا من العقوبة في اليوم الآخر، وكذلك خوفا من غضب الشيخ في الدنيا.

5- تنتقل الرياسة لدى المرابط عادة بالوراثة، بينما يتولى رياسة الطريقة الصوفية أصلح المريدين من تلاميذ الشيخ ومعاونيه، كما أنه للطرق الصوفية نظام إداري يشبه النظم الإدارية للحكومات سواء فيما يتصل بجباية الأموال وتسخير الأتباع في استثمار الأراضي والعقارات المحبوسة على الزوايا الطرقية[3].

---

1 - على أن المرابط حين تحوله إلى شيخ طريقة يصبح يجمع بين المزايا الروحية للمرابط وشيخ الطريقة.

2 - العيد مسعود،" المرابطون والطرق الصوفية بالجزائر خلال العهد العثماني "، مجلة سيرتا، العدد 10، مجلة يصدرها معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، الجزائر 1988، ص.10.

3 - العيد مسعود، " المرابطون والطرق الصوفية بالجزائر خلال العهد العثماني "، مجلة سيرتا، العدد 10، ص.19.

2- علاقة المرابطين بشيوخ الطرق الصوفية:

إن العلاقات كانت في بداية ظهور هذه الطرق الصوفية متوترة بين الشيخ المرابط وشيوخ الصوفية[1]، وقد حاولت هذه الأخيرة في بداية نشأتها التعايش مع المرابطين مظهرة احترامها لما اكتسبوه من نفوذ ثم أخذت تحتل محلهم حتى أذبحتهم فيها كلية تقريبا[2]. ومن أكثر النماذج وضوحا على توتر هذه العلاقة في بدايتها،هي المعارضة الشديدة التي واجهها الشيخ محمد بن عبد الرحمان القشتولي الجرجري الأزهري مؤسس الطريقة الرحمانية من طرف المرابطين والعلماء، إذ كان هؤلاء ينظرون إلى نشاطه بازدراء واشمئزاز حيث يرّون أنها تنافس وتهدد نشاطهم ومكانتهم، فاتهموه بالانحراف عن الدين الحق وأرغموه على المثول أمام مجلس العلماء آملين الحصول على فتوى تفسد دعوته وترغمه على العدول عن نشر تعاليمه الصوفية الجديدة غير أنّ المجلس أصدر الفتوى لصالحه، إذ برأه من تهمة الزندقة والانحراف[3]. كما أن التفاف الشعب حول الطرق الصوفية ونبذهم للمرابطين بسبب تعامل هؤلاء مع الوجاق وخدمتهم لمصالحهم الخاصة، هذا جعل المرابطين أنفسهم يخافون على نفوذهم ومن ثم اضطرارهم للانضمام لهذه الطرق ليحافظوا على مكانتهم ونفوذهم وسط القبائل.

1 - فيلالي مختار الطاهر، نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرها في الجزائر خلال العهد العثماني، ط.1، دار الفن باتنة، ص.60.

2 -Julien, Histoire De l'Afrique Du Nord,T.2 ,2ed.Paris1964. p.131.

3- L Rinn, Les Marabouts Et Khouanes, p.45

وكذلك أحمد الشناوي، دائرة المعارف الإسلامية، المجلد 10 تراجعها وزارة المعارف العمومية، ص- ص.79-81.

3- مكانة الزوايا في المجتمع الجزائري:

كما وضحنا في الفصل السابق فالمجتمع الجزائري، كان مجتمعا هرميا قاعدته القبائل والأسر الموسعة، التي كانت تتوطن الريف أكثر مما تتوطن المدينة وقد خص الزاوية بمكانة هامة، فكانت عامل توازن فيه وآثرنا أن نتحدث عن الزاوية[1] في هذا الفصل لأنها مقر نشاط كل من المرابطين والطرقيين.

وقد ظهرت الزاوية بالمغرب في القرن 13م، ثم حلت محل الرباط والرابطة، وهي المكان الذي ينعزل فيه الولي ويعيش بين تلاميذه وخدمة الدين، ثم تطورت فأصبحت مكان للعبادة ومحلا لإيواء المسافرين وإطعامهم[2].

وكان يوجد في الجزائر نوعين من الزوايا تمثلا في:

أ- الزاوية المرابطية: يديرها عادة أحد أبناء المرابط المؤسس لها وهذا الأخير مرابط بالوراثة ويسمى شيخ الزاوية وهو الذي يشرف على التعليم بها والإشراف عليها ويعاونه عدد من المتطوعين[3]. ومن أشهر زواياها، زاوية بني عباس بالمنعة المعروفة بمول السبيل والذي يعود تأسيسها في أوائل العهد العثماني إلى المرابط محمد الشيخ بن سلدي إبراهيم بن موسى، ومما يجدر ذكره أن آخر شيوخ هذه الزاوية في العهد العثماني، هو سيدي محمد بن عباس الذي استضاف في زاويته الحاج أحمد باي عند مقاومته للتوسع الفرنسي[4].

1- الزاوية: تعني عادة الركن من البيت وتولدت عنها عدة معاني مثل انزوى الناس بعضهم لبعض أي تضامنوا وتآلفوا وهي عادة في الشمال الإفريقي تطلق على بناء ديني يحتوي على قبة وغرفة للصلاة وفيه ضريح لولي صالح لتحفيظ القرآن وكذلك للزائرين. عميراوي احميده، فواصل من الفكر والتاريخ، ص.115.

2 - أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق رابح بونار، ط.2، ش.و.ط، الجزائر، 1981، ص.135. كذلك العيد مسعود في مقالته،" المرابطون والطرق الصوفية في الجزائر أواخر العهد العثماني"، مجلة سيرتا، العدد10،ص.10.

3 - Depont Et Coppolani, Les Confréies Religieuse Musulmant, A Jourdan, Alger, 1897, p.132.

4 - Depont Et Coppolani, Op Cit, P-P.311-312.

ب- *الزاوية الطرقية*: هذه الأخيرة التي كانت ملاذ المريدين وعادة تقع قرب ضريح مؤسس الطريقة، وعادة ما تتفرع عنها زوايا أخرى أقل شأنا منها تابعة لنفس الطريقة[1]. وقد ذكر يحي بوعزيز تواريخ لبدايات الزوايا الطرقية في الجزائرمنها الزاوية الشاذليةعام (656هـ/1258م) والقادرية (1125هـ/1713م) والتيجانية (1196هـ/1781م)، والرحمانية عام (1208هـ/1793م)[2]. وكانت الزاوية الطرقية أكثر قوة وتأثيرا وفعلا من الزاوية المرابطية[3] أمّا مواردها فتتمثل في الأملاك التي يوقفها الأتباع وفي الزكاة والهدايا العينية "الزيارات" التي يتلقونها من أفراد القبيلة كل حسب إمكانياته المادية، وأيضا النذور و"الوعدة" زيادة على ذلك تبرعات المسافرين الذين ينزلون بها، وما يحمله التلاميذ عند قدومهم للدراسة وأيضا زيارات أهالي المنطقة التي يحملونها إليها قصد التبرك بالأضرحة[4]. وقد كانت هذه الزوايا منتشرة في جميع أقطار الجزائر سواء للتعليم أو الإطعام، أو لتقبل الهدايا وقد توسع نفوذها سواء بتمليكها العقارات الجديدة، أو مد نفوذها الجغرافي لضمان استمراريتها في الأداء، ومد نفوذها الفكري والروحي على قطاع واسع من الجمهور[5] وقد أتبعت السلطة السياسية حمايتها على المراكز العلمية والثقافية بحمايتها لهذه الزوايا حتى تضمن سلامتها وانتشارها في المنطقة[6]، ومن ثم فقد سمحت الامتيازات التي وفرتها السلطة المركزية لصالح الزوايا سيطرة هذه الأخيرة على التعليم الديني والفكر والثقافة من جراء

1- Roudont, L'hislam Et Les Musulmans D' Aujourd Huit, Vol 1, Paris 1958, P-P.204-206.

2 - يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر، ص.133. وأيضا عميراوي احميده، فواصل من الفكر والتاريخ، طبع دار البعث 2002، ص.118.

3 - عميراوي احميدة، المرجع نفسه، ص.118.

4- L Rinn, Les Marabouts Et Khouanes, p.18.

5- Charle Féraud,"La Carasta Ou Exploitation Forestiere Turque ",In R.A, 1868, P-P.384-387.

6 - وهناك عدة وثائق تاريخية تدل على ذلك منها وثيقة تبين تكفل مصطفى باي بحماية الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري (10 هـ/13هـ)، الملحق رقم 9. جميلة معاشي، الأسر المحلية الحاكمة بايلك الشرق الجزائري القرن(10هـ-13هـ/16م-19م)، رسالة ماجستيرفي التاريخ الحديث، جامعة قسنطينة 1991.

بسط نفوذها الروحي على العقلية العلمية، وتوجيه الحياة الاجتماعية والثقافية للمجتمع الجزائري[1]، كما لعبت دورا بارزا في إنهاء الخلافات والخصومات بين مختلف الفئات والطبقات الاجتماعية وذلك بفضل مركز شيوخها ومقدميها[2] وكان لها دور كبير في محاربة الحكام المستبدين فالدرقاوة مثلا حاربت الأتراك في شرق البلاد وغربها[3] والحقيقة يصعب تحديد العلاقة التي كانت بين شيوخ الزوايا والحكام لندرة إشارة المؤرخون إليها إلّا بتلميحات خفيفة لا تفي بفضول القارئ منها المنافسة التي أحدثها صالح باي لمؤسسات الزوايا المجاورة وذلك بإحداثه المدرسة الكتانية معتمدا على علماء وفقهاء بعيدين عن التصوف والطرقية وكذلك تراجعه عن الإعفاءات التي كانت تستفيد منها الزوايا عندما احتاج لمزيد من المال لإنجاز مشاريعه العمرانية فقام بتوحيد نظام الضرائب على الجميع مما أزعج شيوخ الزوايا الذين كانوا معافون من دفع الضرائب منهم الشيخ محمد الزواوي الذي وصلت إلينا حكايته في شكل أسطورة محمد الغراب، فبعد أن قتل صالح الباي الشيخ حتى يحافظ على هيبته تحولت جثة هذا الاخير إلى غراب شؤم نزل على بساتين صالح باي بالحامة في ضواحي المدينه، وعلى رأي الأستاذة قشي: "فهذه الأسطورة تسمح بنقل موطن النزاع من المواجهة بين الباي والشيخ إلى التصور الرمزي وتجمع المتضامنين في المخيال الجماعي...".[4] وهذه الأسطورة عادة ما ترد حول علاقة الباي صالح بالزواياو شيوخها.

1- Cour," Recherche Sur L'état De Confréries Religieuse Musulmanes", In R.A, 1921, p.85 .

2 – يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر، ص.134.

3– يحي بوعزيز، المرجع نفسه، ص.135.

4– فاطمة الزهراء قشي، قسنطينة المدينة والمجتمع في النصف الأول من القرن 13هـ ومن أواخر القرن 18م إلى منتصف القرن19م، رسالة دكتوراه الدو التاريخ جامعة تونس الأولى 1998، ص.106.

ثانيا- السلطة والولاء للمرابطين والطرقيين في المجتمع

1-نفوذ المرابطين في المجتمع الجزائري:

لقد لاحظ معظم الباحثين أن للمرابطين نفوذا عظيما يفوق أحيانا نفوذ الأجواد. فحسب الدكتورة باباس ليلى إنّ الاعتقاد الشديد بالمرابط له خاصية كهونية، فهذا الاعتقاد بهم له خلفية دينية تكون إلزامية للتعايش القبلي حتى لا تدخل هذه الأخيرة في صراعات، فقداسة هؤلاء وحدها قادرة على تحقيق التوازن وتماسك الجماعة[1] فمنهم من كان أصحاب زاوية غنية ورثها عن آبائه وأجداده وورث معها السمعة الدينية الطيبة وقد يكون شريف النسب جاءته سمعته من التدين والعلم والورع[2]، فهناك عدة عائلات مثلا ذات أصل ديني وحققت سلطة سياسية بين القبائل مثل بن علي الشريف من الغرب إلى الشرق، المقراني، بني عبيد. مولاي الشقفة، وفي الجنوب نجد بن نصير من خنقة سيدي ناجي[3] وقد أوردت الباحثة باباس ليلى نماذج حية عن سلطة بعض القبائل المرابطية فذكرت أنه من النواحي الساحلية لعنابة توجد سلطات دينية تتشابك مع السلطات السياسية فهناك جزء لأولاد أمقران التي تسكن إقليم بني مسعود وكان سيدي نصير رابع سلاطين أولاد مقران الذي أسس زاوية حمدان في غرب بومسعود، لكن سلطة هذه العائلة لم تتجاوز الإطار الديني، وأولاد سيدي شريف أمزيان بلميهوب في قبيلة إمولة وبن عبيد في الساحل القبلي، وبن علي شريف زاوية سلاطة (أقبو)...الخ[4].

ويعتبر وجود هؤلاء المرابطين نعمة لأن هذا الأخير يسخر قدراته تسخيراً مثمرًا وذكيا، فهو حين يسخر القبائل فلن يقول لهم يجب أن تطيعوا القانون، وعليكم بالاستماع للموعظة واتباعها ولكن كان

1- Laila Babes, Mythe D'origine et structures tribales dans le constantinois sou la domination turque ,Thèse de 3eme cycle. France 1984. p.144.

2 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط.1، دار الغرب الإسلامي 1998، ج.4، ص.14.

3- Laila Babes, op. cit, p.144.

4 Laila Babes, op. cit, p.102.

يقول: "لعن الله من لا يفعل كذا"، وهكذا فهذه العبارات الرنانة هي التي كانت تجعلهم يطيعونه ويحصل منهم على كل ما يريد،وقد بلغ تصديق المجتمع له درجة الضلال والعمى[1] والتقديس والتأليه[2]. ومنه فهذا المرابط حتّ يستطيع السيطرة على هؤلاء القبائل يجب أن يوخز فيهم الجانب الديني دون المساس لا بعادات الشعب ولا كراماته حتى لو كان على ضلالة، المهم أن يستخدم عبارات رنانة وضخمة تفزّع الأذن لسماعها فتطبق دون نقاش. وقد كان تقريبا لكل قبيلة مرابطها الخاص، الذي تلجأ إليه في حل القضايا الصعبة[3]، كحله لمختلف المشاكل وملأه للفراغ الثقافي الذي كانت تعاني منه البلاد سواء من حيث الرعاية أو التوجيه أو التعليم حتى أصبح بعض المرابطين أساتذة ومعلمين للدين وكذلك أطباء لمعالجة مختلف الأمراض[4] وقد تحولت سلطة هذا الأخير من سلطة دينية إلى سلطة سياسية[5]. زيادة على هذا ساهم المرابطين إلى حد كبير في إخماد الثورات التي كانت تقوم ضد الحكم العثماني خاصة من طرف سكان الريف وأحسن دليل على ذلك هو لجوء يوسف باشا حاكم الجزائر إلى مراسلة المرابطين بالشرق الجزائري وفي مقدمتهم حامد بن عيسى، ليساعدوه في إخماد الثورات التي عجز البايلك عن وضع حد لها[6]. ومن النماذج الحية كذلك على نفوذ هؤلاء هو ما حدث يوم (24 ماي 1788م) حين اجتمع المرابط الشيخ منصور وحسن باشا والخزناجي وباي قسنطينة بالداي، وسألوا الداي حول مبلغ من المال وجه إليه من

1- حمدان خوجة، المرآة، تقديم وتعريب محمد العربي الزبيري، ص-ص.57-60.

2- العيد مسعود," المرابطون والطرق الصوفية، الجزائر خلال العهد العثماني"، مجلة سيرتا، العدد.10، ص.31 .

3 - ونجد تفاصيل أكثر في كتاب حمدان خوجة، المرآة، تقديم وتعريب محمد العربي الزبيري، ص-ص.54-57 .

4- Turin (Y), Affrontements Culturels Dans l'Algérie Coloniale,Paris 1971, P-P .10-11.

5 - فحسب باباس ليلى أن سيدي بن علي الشريف هو الذي ساهم في تحويل السلطة المرابطية إلى سلطة سياسية، فقد كان هذا الأخير حامي غير مشروط للسلطة العثمانية لأنه في عام 1823م حين قامت الثورة في الساحل تحت قيادة أولاد دراج أرسل سيدي سعيد إلى يحي آغا إما عن طريق الخطابات أو العساكر ليساعده في إخماد هذه الثورة وقد دخلت تحت طاعته عدة قبائل مثل قبيلة لولا. نقل عن:

- Robin,"(Note Sur Yahia Agha " ،In R.A, 1874 , P-P59-87.

6- Nadir (A), « Les Ordres Religieux Et La Conquête Française, (1830-1851) » Revue Algérienne Des Scices Judiriques Economiques Et Politiques, Vol IX, Décembre, 1972, p .822.

باي تونس عن طريق الشيخ منصور غير أن هذا الأخير لم يسلّمه لباي قسنطينة، وحين سأل عن هذا المال علل نسيانه بأنه حين قدومه من الحج كانت وراءه التزامات كثيرة فصرف هذا الأخير المبلغ ورغم ذلك لم يستطع الباي أو الداي أن يتصدى له، لما يتمتع به من مكانة ونفوذ لدى شيوخ القبائل العربية والبربرية التي تقطن الجبال[1]، كما إنه وعلى إثر ما حدث لصهره حسن باشا من قبل داي الجزائر وباي قسنطينة الذي اشتكاه عند الداي لما يتمتع به من قوة وصلاحيات فقد قال عن حسن باشا "أنه يدعي لنفسه صلاحيات أكبر مما يسمح له منصبه وأضاف أنه بوصفه باي قسنطينة، سوف لا يسمح لحسن باشا أن يلعب دورا أكبر من الدور الذي كلف به هو في حكم الولاية...."[2]. وعلى إثر ما قام به الداي من مطاردة لحسن باشا واستيلاء باي قسنطينة على أمواله، فكان رد فعل الشيخ منصور هو استدعائه لجميع القبائل التي تحت إمرته، وأبلغهم أنه ما لم يسترجع حسن باشا جميع ممتلكاته في الجزائر وقسنطينة معا فالقبائل ستقوم بحرب دائمة لا هوادة فيها، ومنه قرّر الديوان بإجماع الآراء أن يطلق سراح الشاب حسن باشا وإعادة جميع ممتلكاته له مع السماح له بممارسة الصلاحيات التي كان يمارسها من قبل، وهذا الحدث هو دليل واضح على نفوذ هذا الشيخ ومكانته وما كان يتمتع به هؤلاء الشيوخ المرابطين من سلطة روحية ومدنية بين الأهالي والداي والديوان على السواء[3]. أيضا المرابط بن عيسى الذي تسمت مدينة سيدي بلعباس فيما بعد باسمه، هذا الأخير الذي كان ذا أصول شريفة[4]، وقد كانت له مكانة كبيرة بين القبائل

---

1 - أسير الداي كاتكارت، مذكرات قنصل أمريكا في المغرب، ترجمها وعلق عليها إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1982، ص-ص.120-124.

2 - أسير الداي كاتكارت، المصدر نفسه، ترجمها وعلق عليها إسماعيل العربي، ص.120.

3 - أسير الداي كاتكارت، المصدر نفسه، ص-ص.123-124.

4 - المرابط بن عيسى قدم من المدينة المنورة وكان جدهم الأكبر يدعى سيدي بلبوزيد، هذا الأخير الذي قدم إلى بلاد المغرب وكان له 114 ولد وقد لقب أحد الأبناء باسمه وكان له صيت كبير بين القبائل حين ادعى أنه رأى في المنام أن الله أخبره أن يمسك عصا يذهب إلى القبائل عبر السهول والجبال وأنه إذا نفذ أوامره بعزم وتصميم سيقدم له حقول خصبة ونساء وذرية كثيرة ومن تم تبع هذا الأخير خلق كثير و لم يجرأ أحد على معارضته.

Léon Adou, La Ville De Sidi Bel Abes, Histoire Légende Anexdote Reno Roidot. Imprimeur Editeur, 1927, P-P .30-32.

فكانت لا تخضع إلاّ لأوامره، حتّى إنه رسخ في ذهن هؤلاء أنه لا يمكن طرد هذا المرابط أو رفض أوامره وأنهم إذا فعلوا ذلك فقد طردوا الإله وأن العفو لا يحصل لهم إلا ببركته[1]. وقد كانت سلطة المرابطين ومكانتهم بين القبائل تستمر حتى بعد وفاتهم مثال على ذلك ما حدث مع الباي حسن باشا قبل ولايته على تلمسان منفيا بها عند واليها الباي محمد بن عثمان حين شكاه باي قسنطينة لدولاتي الجزائر، فوجه من يأتي به فاستجرم بضريح الشيخ عبد الرحمان الثعالبي بالجزائر وقد وقعت فيه الشفاعة من الموت فنفاه لتلمسان[2] وعلى كل حال فإن المرابطين قد لعبوا الدور الكبير في حياة المجتمع الريفي، من حيث التعليم والتوجيه والرعاية ومنع إراقة الدماء، على الرغم من أن معظمهم قد قاد السكان إلى الإيمان بالشعوذة والخرافات[3].

وكل هذا كما سبق وأشرنا دفع الحكام إلى جعل هؤلاء الشيوخ والمرابطين واسطة بينهم وبين الأهالي حتى تحول بعضهم إلى أداة يستخدمها البايات في بسط نفوذهم والتحكم في القبائل القوية بالمنطقة[4].

2- نفوذ الطرقية في المجتمع الجزائري:

سوف يقتصر حديثنا هنا ويرتكز حول الطرق الصوفية وتأثيرها الاجتماعي والسياسي وعلاقتها وموقفها من الحكام، غير أنه وكما أشرنا في الفصل الأول، نذكر أن التصوف في الجزائر قد انتشر في المدن قبل الأرياف مثل مدينة بجاية وتلمسان ووهران وقسنطينة إلا أنه ومع فساد الحياة السياسية وانتشار الظلم

1- Lèon Adou, Op Cit, P-P.30-32.

2 – أبو القاسم الزياني، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برا وبحرا(1734-1809م)، حققه عبد الكريم فيلالي، ص.152.

3 – العيد مسعود، المرابطون والطرق الصوفية"، مجلة سيرتا، العدد.10،ص.4.

4 – ناصر الدين السعيدوني، ورقات جزائرية، ط.1، 2000، ص.492.

والفساد انتقلت حركة التصوف إلى داخل البلاد[1]. ومنه فلا نخشى الوقوع في الخطأ إذا قلنا إن تأثير هذه الطرق كان يمس جميع سكان البوادي بخلاف سكان المدن الذي ظل كثير منهم يحتفظ باستقلاليته عن الطرق الصوفية[2]، حيث أشار لوتورنو إلى " أن الطرق الصوفية في المدن هي أقل شأنا وأهمية من نظيراتها في الريف"[3]. وقد ظلت كل طريقة متماسكة فيما بينها لها شيخ يعترف به كل المقدمين، كما كان لكل طريقة من الطرق السابقة الذكر وزنها وخطرها السياسي، فقد كانت قوية السمعة كثيرة المال والأتباع، حتّى إن بعضها قد أخاف الحكام أنفسهم[4]، وذلك لطبيعة البنية القبلية في مجتمع الريف فانتماء رئيس القبيلة إلى طريقة معينة كان يحتم بفعل الروابط والالتزامات داخل القبيلة انخراط سائر العناصر السكانية المكونة للقبيلة إلى نفس الطريقة وهذا ما يفسر تأثير هذه الأخيرة على المجتمع الريفي[5]. والهدف من الحديث عنها هو ليس إبراز مكانتها كعقيدة فلسفية دينية بقدر ما هو إبراز الدور الثقافي الاجتماعي والسياسي سواء من حيث علاقتها بالحكام أو نفوذها وسط السكان كما أنه لكل طريقة مريدين، ونهت كل واحدة مريدها عن الانتقال منها إلى طريقة أخرى، حتى إن الطريقة التيجانية غالت في الحكم على من يخرج عن طريقتها وإعتبرته مرتد، كذلك ألزمت هذه الطرق المريد بالخضوع للشيخ وملازمته للطريقة حتى يفارق الحياة، وقد فرضت التزاما ماليا على المريدين وأصبح الشيخ هو الواسطة بينهم وبين الله كما أن الطاعة والولاء هما الركن الأساسي لهذه الطرق الصوفية، وقد تمكنت هذه الأخيرة عن طريق الأوراد

---

1 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، (1500–1830)، دار الغرب الإسلامي، ط.1، ص.468.

2 - Depont Et Coppolani, Les Conferires Religieuse Musulmant،P-P.211-212.

3- Le Tourneau(Roger), Les Villes Musulmanes De L`Afrique Du Nord, La Maison Des Livres, Alger 1945, p.93.

4 – مو نتغمري وات، الفكر السياسي الإسلامي، ترجمة صبحي حديدي، ص.106.

5-Adala Mohamed,La Place De La Culture Musulmane Dans La Vie Sociale Politique Inspiration Doctrinale Et Ideologique(Xv1-Xxs)-These Doc ,D` Etat Universt .Montepllier1992,p. 53.

من أن تفقد أتباعها الإرادة والقدرة على التفكير فيصبحون آلات طبيعية في أيدي شيوخهم[1]، فتأثير هؤلاء كان كبيرا سواء على النساء أو الرجال حيث إن النساء في ذلك العهد حرمن اجتماعيا لا دينيا من التعليم والتردد على المسجد فوجدن في الزاوية وزيارة الأضرحة مخرجا لهم، لهذا كانت المرأة في الريف الجزائري مرابطة وقائدة لجيوش ومسيرة لأنظمة حكم اجتماعي مثل شأن لآلة نسومر، ولآلة خديجة في الشمال، ولآلة اللبهجة ذات النفوذ الواسع في الجنوب"توقرت" حتى أصبح يطلق عليها تواقرت البهجة[2]. على عكس نساء المدينة اللواتي كن غائبات على أي نشاط رسمي[3].

كما أن انتشار هذه الطرق قد أحدث تطور اجتماعي في عقلية القبيلة فعضو القبيلة لم يعد أفقه ينحصر في نطاق القبيلة فحسب، وإنما أخذ يتحسس ولو بصورة بسيطة انتمائه للوطن لا للموطن فحسب، فأهم ما حققته هذه الطرق هي الوحدة الروحية بين أفراد المجتمع وذلك ما يعارض سياسة الحكام التي سبقت الإشارة إليها في -الفصل الثاني- وهذا لتخوفهم من أن تنقلب الوحدة الروحية إلى الوحدة الوطنية[4]، أيضا جعلت الشعب يدرك أن العثمانيين الذين سلموهم القيادة أصبحوا عاجزين عن دورهم الأساسي في إدارة البلاد وحمايتها،ومنه أدار الشعب ظهره للحكم المركزي والتف حول الطرق الصوفية[5]. ويشهد على ذلك الثورات التي قام بها الشعب مع هذه الطرق الصوفية ضد الحكم العثماني والتي سنشير إليها آنفا. ومن المتعارف عليه أن هذه الطرق قد وافقت سلوكيات وقناعات المجتمع الجزائري الذي كان ميالا إلى المعتقدات الروحية، فتمكنت من صهر القبائل في وحدات اجتماعية أكبر، حتى أنها نجحت في دمج

---

1 - العيد مسعود," المرابطون والطرق الصوفية"، المجلة سيرتا، العدد .10، ص-ص.-16-17.

2- fèraud (ch)," Note historique sur la province de Constantine, le ben djellab", in R.A, 1897, p.163.

3 - احميده عميراوي، فواصل من الفكر والتاريخ، ص.116. وكذلك العيد مسعود، " المرابطون والطرق الصوفية"المرجع السابق، ص.14

4 - العيد مسعود،، "المرابطون والطرق الصوفية"، المرجع السابق، ص-ص-.16-17.

5 - العيد مسعود," المرابطون والطرق الصوفية"، المرجع نفسه، ص.11.

عنصر العرب والبربر[1]، كما لعبوا دورا كبيرا في حياة الناس حيث أن الوجاق ظل على سياسته السلبية في جباية الأموال والضرائب وبالتالى ملأ المرابطون والطرقيون الفراغ الذي كان سائدا في المجتمع الريفي المنعزل عن الحكومة[2]، فعملوا على تحقيق السلام والأمن والاستقرار بين القبائل فكانت تتدخل في حسم الخلاف كلما نشبت الحرب فيما بينهم، أيضا عملت على توفير التعليم وإطعام الفقراء والمعوزين والعجزة مما جلب لهم الطاعة الكاملة والمطلقة من جميع السكان[3]. ومعظم القبائل إذا تحالفت مع شيوخ الطريقة كانت تسعى لتنفيذ كل أوامره دون أن تسمح لنفسها بالنقاش، مثل ما حدث مع قبيلة بني عامر في أواخر القرن 18م حين استقبالها لشيوخ ومريدي الطريقة الدرقاوية فحرضتها على التمرد والعصيان من أجل إضعاف الحكم[4] والمؤكد هو أن هذه الطرق حضيت بدعم شعبي واسع، أكثر من مجرد أداء فروض العبادة المنصوص عليها في الشريعة[5]، وآخر ما يمكننا قوله ما قاله الأستاذ (العيد مسعود) ماذا يمكن أن يكون عليه المجتمع لولا المرابطون والطرق الصوفية[6].

1 – عبد الرحمان جيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج3، ص.260.

2 – فيلالي مختار الطاهر، نشأة المرابطون والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني، ط.1، دار الفن، ص.62.

3 – فيلالي مختار الطاهر، المرجع نفسه، ص.63.

4- Boyer (Pierre)," Histoire De Beni Amer D'Oranie Des Origines Ou Senatus Consult", In R.O.M.M. 1977, p.53.

5 – مونتغمري وات، الفكر السياسي الإسلامي، ترجمة صبحي حديدي، ص.106.

6 – العيد مسعود," المرابطون والطرق الصوفية خلال العهد العثماني"، مجلة سيرتا، العدد.10، ص.17

ثالثا- علاقة الطرقيين والمرابطين بالسلطة المركزية

1- موقف النظام العثماني من السلطة الروحية:

حسب الدكتور سعد الله إن علاقة العثمانيين بالطرق الدينية هي علاقة معقدة وتحتاج إلى دراسة مستفيضة[1]. فالأتراك من الناحية الدينية راسخو العقيدة لأنهم كانوا يعرفون جيدا أن الإسلام هو رصيدهم السياسي وهو مصدر قوتهم ،لكن الإسلام الذي اعتنقه العثمانيين ليس هو إسلام الخلفاء والراشدين؛ فقد كان إسلاما مشوبا بالتقاليد والعقائد الجديدة مما مارسه الدراويش[2]، خاصة وأن معظم الجنود الإنكشارية كانوا من أتباع الطريقة البكداشية من دراويش روماليا وأنضوليا لهذا كانوا يدخلون في الأضرحة والزوايا سواء في العاصمة أو البايلكات الأخرى ليحصلوا على بركة ونصرة الأولياء وهذا ما يفسر علاقة العثمانيين مع المرابطين والطرقيين سواء في المدن أو الأرياف[3] ولجوء الترك إلى المرابطين باعتبارهم الممثلين لثقافة المجتمع -في ذلك الوقت- قائما على معرفتهم الدقيقة بأن العلاقة الضمينة للإسلام كدين والخلافة كسلطة كانت تقوي مبدأ الاستقرار في مفهوم الدولة، ولم يكن اعتقادهم في الأولياء "إلا من باب طقوس العبور لتسهيل الوصول إلى أهداف سياسية"[4] وقد كان للعثمانيين سياسة خاصة حول الطرق الصوفية، ولأهميتها حاولوا التفاهم مع مرابطيها. ووفق آراء بعض الباحثين فإن العثمانيين عندما جاؤوا إلى الجزائر كانت الطريقة الشاذلية والقادرية سائدتين وأول ما لجئوا إليه هو التحالف كتحالفهم مع أحمد بن يوسف الملياني أبرز متصوف في الطريقة الشاذلية واستمر هذا التحالف إلى القرن 12م[5]. كما حافظ هؤلاء الحكام على

---

1 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط.1، دار الغرب الإسلامي، ج.10، ص.189.

2 - الدراويش: ونقصد في هذا المقال الكلمة بمعناها التاريخي وليس بمعناها المعاصر الذي يوحي بشيء من الاحتقار.

3 - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص.190.

4 - لوسي مير، الانتربولوجية الاجتماعية، ترجمة علياء شكري وآخر، دار المعرفة، مصر 1994، ص.288.

5 - أبو القاسم سعد الله، الرجع السابق، ص.188.

بعض التقاليد التي كانت سائدة في المجتمع الجزائري، فقد أبقوا على سلطة شيوخ القبائل ورؤساء العشائر ودعموا مرابطي الطرق وشيوخ الزوايا، وهذا ما أدى إلى تدعيم إثنائية السلطة فاكتفى الأتراك فيها بالإشراف الغير مباشر[1]، خاصة وأن السيادة في البلاد كانت للزوايا والطرقيين، فأحاطوا زعماء الطرق الصوفية بمظاهر الاحترام ورفعوا من شأنهم، حيث أن أعلام شيوخ الطرق ترفع إلى جانب العلم الجزائري وعلم الداي أثناء تجهيز الأسطول للخروج[2]. غير أن القادرية حضيت بميل خاص وذلك لعدة أسباب منها: أن سلطان القسطنطينية كان حامي لهذه الطريقة في الشرق في بغداد، حيث كان مقر الطريقة الرئيسي[3] كما منح الحكام لهؤلاء الشيوخ المرابطين الطرقيين امتيازات كثيرة لما كانوا يتمتعون به من نفوذ قوي وكلمة مسموعة في الجهات الجبلية، داخل الأوراس وغيرها من الأراضي الجزائرية، فنجد مثلا حكام قسنطينة قد منحوا لشيوخ ومرابطي منطقة الأوراس إقطاعات وهدايا مختلفة وكذلك إصدار مختلف الفرمانات وحق الإعفاء من المطالب المخزنية، وأحسن شاهد على ذلك نجده في رسالتين عثر عليهما سعيدوني إحداهما أصدرها الباي محمد سنة (1241هـ/1825م)، والأخرى وجهها أحمد باي في عام(1242هـ/1827م)، إلى إحدى العائلات ذات التأثير والنفوذ بمنطقة اللزمة[4].

ومن الأمثلة الهامة التي يمكن أن نسوقها، ما أورده الباحث فيرو عن المرابط محمد بن يحي مرابط منطقة أولاد عبد النور الذي حاول الباي حسن جباية الضرائب من منطقته بالقوة فأبرز المرابط كراماته لقوات الباي مما جعل هؤلاء يتراجعون من منطقته واجبروا الباي على إعفائه من أي نوع من أنواع

---

1 – ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، ص.255.

2 – أسير الداي كاتكارت، مذكرات، تحقيق وتعليق إسماعيل العربي، ص.77.

3 – ألفرد بال، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، ط.2، ص.430.

4 – ناصر الدين سعيدوني، "ثلاث رسائل تتعلق بأوضاع الجزائر قبيل الاحتلال"، مجلة التاريخ، الجزائر، العدد.7، 1979، ص-ص.47-66

الضرائب. بل حاول الباي مصاهرته ومنحه زاوية خاصة به[1] . وبهذه الطريقة أصبح الباي مضطر للتقرب من المرابط للمحافظة على حكمه وهو ما أشار إليه الشيخ أحمد بن المبارك بن العطار في كتابه حاضرة قسنطينة عن الباي حسن بوحنك (1123هـ/1713م) الذي قال عنه: "كان رجلا داعية صعبا لا يقول بولي ولا يرى جاها لأخذ لشدة نفسه وشدة طبعه إلى أن اجتمع بالولي الصالح الشيخ الشليحي في حاجة عرضت له عنده أراد أن يضغط على الشيخ ثم نظر فإذا أهوال عظيمة أحاطت به ورأى نفسه جالسا على هواء عظيم والنار تشتعل ... فاستغاث بالشيخ وحسنت نيته فيه واعتقد كرامة الأولياء من حينئذ وأعطى للشيخ دار بقرب الأربعين شريف لازالت إلى اليوم تعرف بدار الشليحي وأعطاه أرضا وجعل له زاوية ببلد أولاد عبد النور وإسقاط المطالب المخزنية عن زاويته ولم تزل إلى اليوم تعرف بزاوية الشليحي"[2].

ولم يقتصر الأتراك على احترام الأحياء بل حتى الأموات منهم فأصبحت أماكن سكنهم وضرائحهم مقدسة، وحتى القانون أصبح لا يمس كل من يلجأ إليها وكانت هذه إحدى الوسائل التي استعملها الأتراك لاكتساب ود العرب والبربر[3]، كما أن تقرب الحكام من المرابطين ومنحهم الامتيازات المختلفة كان سببا في ظهور العديد من المدّعين للولاية الذين أصبحوا يتنافسون على إظهار الكرامات لنيل تقرب من الحكام وأرباب الوظائف الحكومية، فكانت النتيجة انتشار الخرافات والبدع انتشارا واسعا بالبايلك، وحوّل المرابط من زاهد للدنيا إلى مبتز لأموال الرعية باسم الدين والكرامات، وقد خص شيخ الإسلام عبد الكريم هؤلاء بدراسة وافية منهم: المرابط أحمد بوعكاز مرابط العلمة الذي قال عنه: "اتخذ الشيخوخة وجعل لنفسه أعوانا وتلامذة وأطلقهم في البلاد شرقا وغربا يجلبون له الجبايات ويأتونه بالزكوات وينسبون له غاية الكرامات ويجعلون الناس يأتون إليه ركبانا رجالا وصغارا ونساء"، ثم يقول

1- fèraud (ch)," Note historique sur la province de Constantine, le ben djellab", in R.A, 1897,p.204.

2 - أحمد المبارك، تاريخ حاضرة قسنطينة، تصحيح وتعليق نور الدين عبد القادر، الجزائر 1952، ص-ص.60-61.

3 - حمدان خوجة، المرآة، تقديم محمد العربي الزبيري، ص-ص.110-111.

عن المرابط: "أما دعاويه في إعطاء المناصب لأرباب الدول وانتزاعهم منها فهي أشهر فيه وفيمن كان على شاكلته من أن يقال عليها دليلا بل هي عنوان طريقتهم، وباكور ممرهم حتى أن أهل خطط المخزن كانوا يعطونه على أن يوتيهم المناصب كقائد جيشها قسنطينة، وغيره من أمراء البلد؛ فكان يأخذ الفرس على ذلك واللباس والدرهم وغير ذلك..."[1]وهذه السياسة في الاعتماد على المرابطين أدت إلى فقدان مهابة هؤلاء، ونفور الناس عنهم لخدمتهم للوجاق، ولجوؤهم للطرق الصوفية مما زاد من انتشار هذه الأخيرة[2]،فا الذهنية الخرافية للعقلية العثمانية كان لها دورا في توجيه الثقافة الرسمية التي تدعمها وتتمثل في السلالات المرابطية والبيئة التي اعتمدتها لتقوية سلطتها، وأمام هذا الوضع واستفادة كل طرف من الآخر تكون ما يشبه الحلف بين المرابط والحاكم العثماني فكان البايات والدايات زيادة على سكوتهم على أعمال المرابطين مهما كانت مخلة بالأخلاق أو مضرة بمصلحة الرعية، تطور نشاط هذا الأخير إلى ما يشبه الموظف الإداري ذلك أن البايات كانوا يعمدون إلى إسناد مشيخة القرية أو القبيلة إلى مرابطها مقابل ضريبة سنوية رمزية يدفعها المرابط للباي، وهو ما حدث مع المرابط سيدي أحمد بن ناصر مرابط الخنقة الذي عينه يوسف باشا شيخا على الخنقة سنة (1050هـ/1641م)مكافأة له على مساعدته له ضد ابن الصخري، ونفس الامتياز منح للمرابط سيدي سعادة مول الشقفة بجيجل من طرف الباشا محمد عثمان مكافأة له على مشاركته ضد هجوم الإسبان على الجزائر إلى جانب صالح باي سنة (1186هـ/1775م) وقد أرسل له القفطان دليل تعيينه حاكما على منطقة الشفة[3]، من هنا يتضح لنا مدى نجاح السياسة العثمانية في كسب ولاء المرابطين وتحويلهم إلى أداة فعالة لترسيخ الحكم العثماني بالبلاد، إلا أن علاقة الوئام هذه لم تكن دائمة خاصة أواخر

---

1 - عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تقديم وتعليق أبو القاسم سعد الله، ط.1، دار الغرب الإسلامي، 1987 بيروت، ص-ص.134- 136.

2 - العيد مسعود، "المرابطون والطرق الصوفية في العهد العثماني"، مجلة سيرتا، العدد.10، ص-ص .7-16.

3 - Fèraud (Ch)," Histoire Des Villes De Constantine (Djidjeli)"In, R.S.A.S 1870, P-P. 80-81

العهد العثماني وهي الفترة الزمنية التي يتعلق بها البحث تغير ميزان القوة بنقص موارد البحر والتجاء الدولة إلى فرض الضرائب، وهذا التحول الاقتصادي أدى بضرورة إلى تحول في العلاقات الدينية والسياسية بين المرابطين والعثمانيين إلى المعاداة ومحاولة الأتراك أو الحكام إخضاعهم لنفوذ البايلك، ونتيجة للضغط الذي أصبح الحكام يمارسونه على الرعية قصد إخضاعها بالقوة[1] للنظام الضريبي الجائر، وقد مس ذلك المرابطين أنفسهم وخاصة في عهد صالح باي (1771م/1792م) الذي كان يطمح إلى فرض حكمه المطلق على الجميع وإقامة حد للامتيازات التي كان المرابطون والأسر الدينية يتمتعون بها، حيث أخضع الجميع لقوانين اقتصادية صارمة[2]، ولتضرر المرابطين من سياسة الحكام بدءوا يلتفون حول الطرق الصوفية، التي برزت في هذه الفترة، وأخذت تعمل في الخفاء لتنظيم الثورة ضد الحكم العثماني خاصة في الريف، وللحد من هذه الثورات حاول العثمانيون الاعتماد على المرابطين والعلماء في محاربة الطرق الصوفية الثائرة[3] مثلما حدث في عهد علي باشا سنة 1809م عند إرساله لمرابطي جيجل للوقوف معه ضد ثورة ابن الأحرش وقبله راسل يوسف باشا مرابطي عنابة يطلب فيها التأييد والوقوف معه ضد ثورة ابن الصخري[4]. وقد عمل الأتراك على الحد من انتشار هذه الطرق وعارضوها بشدة واستعملوا في سبيل الحد من انتشارها جميع الوسائل والطرق، ومن النماذج الحية على ذلك هو معارضتهم الشديدة لابن عبد الرحمان مؤسس الطريقة الرحمانية في العاصمة، وبعود ذلك حسب رين لعدة أسباب منها أن هذا الأخير من أبناء الريف ومنه واجه معارضة شديدة من علماء ومرابطين أهل الحضر خوفا من ضياع نفوذهم،كذلك تخوف الأتراك منه لأنه ينتمي لقبيلة قشتولة التي لا تخضع لحكمهم،إضافة لتخوفهم من دعوته الدينية التي تبعث على إحياء

---

1 – ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ، ج.4، ص.38.

2 - Laila Babes, Mythe D'origine Et Structures Tribales Dans Le Constantinois Sou La Domination Turque,Thèse de 3eme cycle. France 1984, p.222.

3- Depont Et Coppolani, Les Conferires Religieuse Musulmant, p. 132.

4 – محمد صالح العنتري، فريدة مؤنسة (في حال دخول الأتراك بلد قسنطينة واستلائهم على أوطانها، مراجعة وتعليق وتقديم يحي بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.س.56.

الوحدة الوطنية التي حاول الأتراك الحرص على طمسها طوال فترة حكمهم ومن أهم ما قاموا به هو محاولة الحد من نشاط الزاوية الأم (آيت اسماعيل)، بعدها استخرجوه من القبر ودفنوه في العاصمة – الحامة لخشيتهم من ازدياد نفوذ هذه القبائل خاصة وأنها معادية لهم، لكن سكان قرية (آيت اسماعيل) تحققوا أن جثة شيخهم لم تفارق قبرها الأصلي، فاعتقدوا أن جثة هذا الأخير قد ازدوجت وهذا يعد تتويجا لكراماته وسرعان ما انتشر هذا النبأ ولقب (بوقبرين)[1] ،كذلك من النماذج الحية على توتر العلاقات ما فعله محمد عثمان باي[2] مع الثائر الدرقاوي، حين لم تنجح وساطة شيخه من المغرب العربي الدرقاوي فلجأ حينها إلى استعمال جميع الوسائل للقضاء عليهم منها تقربه ومصاهرته لرئيس أعظم قبيلة وهي قبيلة الحشم[3]، غير أن هذه المصاهرة لم تفده في شيء فعمد إلى رشوة بعض القبائل الأخرى ولعل هذه الرشوة امتدت حتى الشيخ العربي الدرقاوي نفسه[4]، كما أن الباي بعد فشله من تحقيق هدفه لجأ إلى الخطوة التالية التي تمثلت في استخدام القوة العسكرية للقضاء على الدرقاويين نهائيا، فعمل على ملاحقة رجالها والتنكيل بهم في كل مكان، ثم قام بإحضار قائد الثورة من معسكر مع كل ذخائره وأرسلها إلى العاصمة[5] وابتكر عدة طرق للتنكيل بالدرقاويين "حتى أنه من حسد أحد وشكى به عنده، ادعى عليه محبة الدرقاويين"[6] وحتى يتمكن من القضاء على هذه الثورة نهائيا جعل لمن يأتي بزعيمه حيا أو ميتا وزنه نقودا[7]، كذلك ما

1- L Rinn, Les Marabouts Et Khouanes, P-P. 455-460.

ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ .ج4.م، و,ط، ص38.

2 – محمد عثمان باشا الملقب بالرقيق أو المسلوخ المكنى بوكابوس، تولى الحكم 1808م.

3 – قبيلة عربية تقطن جنوب معسكر.

4 – أحمد محمد الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق المهدي بوعبدلي، ص.44 .

5 – محمد يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم المهدي بو عبدلي، ص.15. وكذلك كتاب مسلم بن عبد القادر، أنيس الغريب والمسافر، ص.79.

6 – محمد بوسف الزياني، المصدر نفسه، ص.33.

7 – أحمد شريف الزهار، مذكرات، تحقيق أحمد توفيق المدني، ص.87.

فعله الباي حسن آخر بايات وهران مع محمد الكبير شيخ الثورة التيجانية حين أرسل أموال كبيرة لإغراء قبيلة، الحشم بالتخلي عنه وقومه حتى تتمكن منه بسهولة وقد كان له ما أراد[1]. ومن أبشع ما قام به هذا الأخير أمره لأتباعه بعد مقتل محمد الكبير أن يقطعوا رأسه ويديه وكذا رؤوس سائر التيجانية الذين قتلوا معه، وإرسالها لمعسكر، وذلك لتكون عبرة لكل من يفكر بعد ذلك في الخروج عن طاعة الأتراك [2].

2- موقف السلطة الروحية من النظام العثماني:

مع حلول القرن 16م كانت الجزائر تعاني من الصراع مع الغرب فتفتح المجال أمام الطرق الصوفية لتعويض السلطة المترهلة فكان تحالفها مع العثمانيين، ومنه وكرد جميل شجع العثمانيين الطرق الصوفية كحلفاء ومؤيدين حتى وصل التصوف الشعبي كمرحلة جماهيرية منظمة في نقابات وجمعيات إخوانية[3]، فالشرق تتقاسمه التيجانية والرحمانية والخنصالية، والغرب العيساوية والشيخية والقادرية والدرقاوية والزيانية[4]، وانقسم موقف المرابطون والطرقيون بين مؤيدين ومعارضين للحكم العثماني ففي مقابل الامتيازات التي منحها الحكام للمرابطين، حرص هؤلاء بدورهم على الدفاع عن مصالح البايلك ،وعلى سبيل المثال نذكر أن مرابطي زاوية بلعباس بالمنعة كانوا يعملون على تأمين الطرق عبر مضايق وادي عبدي حتى تتمكن الحامية العثمانية ببسكرة –النوبة– من تجديد أفرادها بعد انتهاء مدة الخدمة العسكرية[5]. كما أنه كان هناك عدد من المرابطين الذين لم يؤيدوا العثمانيين كل التأييد، و لم ينقموا عليهم كل النقمة ومنهم

---

1 – أحمد شريف الزهار، مذكرات، تحقيق أحمد توفيق المدني، ص.159.

2 – محمد يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم المهدي بوعبدلي، ص.65. كذلك أحمد بن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق المهدي بوعبدلي، ص.48.

3 – هاملتون حبيب، دراسات في حاضرة الإسلام، ترجمة إحسان عباس وآخرون، دار العلم للملايين، بيروت، 1964، ص.282.

4- L Rinn, Les Marabouts Et Khouanes, p.333

5- Masqueray (E), Note Concernant Les Aoulad Daoud De Mont taures, Alger, Ajourdan, 1879, p.26.

نقلا عن ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، ص.48

الشيخ العبدلي الذي تذكر المصادر أنه كان يكتفي بموعظة الحكام عندما يرى منهم ما لا يليق[1]. إضافة لهذا فإن أغلب المرابطين أصبحوا في خدمة الوجاق -كما سبقت الإشارة -هذا جعل مشائخ الطرق الصوفية تتزعم معارضة تسلط العثمانيين الذين أرهقوا كاهل الرعية بالعوائد والرسوم والضرائب، ومع بداية القرن 19م اتخذ عداء االطرق الصوفية للبايلك شكل ثورات وطنية وانتفاضات شعبية منها ثورة درقاوة، التيجانية وابن الأحرش[2].

2-1-ثورة ابن الأحرش:

يعتبر هذا التمرد حسب قول فيرو من أخطر ما وقع في مدينة قسنطينة قبيل الاحتلال الفرنسي لأنه كاد أن يقضي على بايلك الشرق وقد دام مدة ثلاثة سنوات كاملة[3].

- **نسبه:** هو محمد بن عبد الله الشريف الملقب بابن الأحرش[4] مغربي الأصل، مالكي المذهب درقاوي الطريقة، ينتسب إلى قبيلة درعة المغربية[5]، ويزعم أنه من شرفاء فاس[6]. أما وفاته فيذكر مسلم بن عبد

---

1 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830، الجزء. 1، ص.468.

2 - ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ، ج.4، ص.39. وكذلك مسلم بن عبد القادر، أنيس الغريب والمسافر، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ص.31.

3- Fèraud (Ch)," Histoire Des Villes De Constantine (Djidjeli)"In, R.S.A.S 1870,p.184.

العيد مسعود ،" المرابطون والطرق الصوفية في العهد العثماني "، مجلة سيرتا، العدد 10، ص-ص. 7-16.

4 - هو سيدي محمد بودالي ومن الخطأ أن يعرف صاحب هذه الثورة القبائلية باسم ابن الأحرش كان يسمى أحيانا بالشريف بالرغم من أنه لم يكن ينتمي إلى النسب الشريف، ولكن سمي بهذه التسمية لصرامته في الجهاد وتقشفه وزهده في الحياة، إدوارد دونوفو، الإخوان، تحقيق وترجمة كمال فيلالي، ص.91. وكذلك ذكر في دائرة المعارف الإسلامية أن كنية هذا الأخير هي محمد بن الأعرج وكنية بودالي، مجلد. 9، ص-ص. 198-209.

5 - محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أمصار مدينة وهران، تقديم المهدي بوعبدلي، ص.32.

6 - أحمد بن مبارك العطار، تاريخ قسنطينة، تحقيق رابح بونار، ص.13.

القادر أنه توفي مع جماعة من طلبته في معركة تافنة المعروفة بيوم ابن الأحرش[1]، بينما يرى بعض المؤرخين أنه قتل بإيعاز من عبد القادر الدرقاوي زميله في الطريقة وذلك عام 1807م[2].

- **سبب مجيئه للجزائر:** وسبب مجيئه أنه كان يقود ركب الحجيج، وعندما وقعت الحملة الفرنسية ضد مصر، توقف بالقرب من الإسكندرية وشارك في القتال ضد جيوش بونابارت وقد اشتهر بالشجاعة والإقدام، وبعد النصر تحالف مع الإنكليز وأعادوه ومن معه إلى عنابة، بعدها توجه إلى جبال قسنطينة واستقر بمدينة جيجل حيث قام هناك بمجمع الأنصار[3]. بينما يستبعد الزبيري أن تكون بريطانيا قد شجعت ابن الأحرش على الثورة وإنما قد يكون هناك وعود من بعض الضباط الإنكليز، الذين لم يوفوا بوعودهم ولأن أنصار ابن الأحرش قد انهزموا لعدم حصولهم على السلاح الكافي[4] بينما أورد محمد الشريف الزهار، أن حمودة باشا لما بلغه خبر شجاعة ابن الأحرش بعث له واستقدمه وشكره وأحسن إليه، وقد كان له غرضا في ذلك وهو حقده على ملوك الجزائر وعدم مقدرته على إظهار ذلك لهم تخوفا منهم، فوجد في ابن الأحرش مخرجا له فوسوس له قائلا: "إن رجلا مثلك شجاع أو كلام بهذا المعنى يجب أن يذهب إلى ملك الترك بالجزائر- وتنزعه من أيديهم ونحن نملك بما يخصك والعرب يتبعونك لكثرة ما ظلمهم الأتراك"، وقد كان غرض حمودة باشا أن يشغل ترك الجزائر عنه لا غير ويتخلص من دفع الإتاوات والهدايا لهم فاقتنع ابن الأحرش بمثل هذا الكلام، وذهب لناحية قسنطينة[5]،

---

1 - مسلم بن عبد القادر، أنيس الغريب والمسافر، ص.96.

2 - أحمد شريف الزهار، مذكرات، تحقيق أحمد توفيق المدني، ص.87. وكذلك ذكرها محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، ص.30.

3 - Mercier(Ernest), Histoire De L'Afrique Septentrionale Depuis Les Temps Les Plus Recul Jusqu'à La Conquête Française ,T.3, Paris, Le Roux 1883, p.465.

4 - العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائر، ص-ص.29-30.

5 - أحمد شريف الزهار، مذكرات، تحقيق أحمد توفيق المدني، ص.85.

وزعم هذا الأخير أنه صاحب الوقت وأن دعوته مستجابة والنصر يتبعه حيثما يتوجه، وأن البارود لا يصيبه أبدا وإنما يصيب عدوه[1]، وأن بارودهم يتكلم وبارود أهل قسنطينة يرجع ما في مكاحلهم ووعدهم بأخذ أموال قسنطينة وحريمها[2]، وقد تبعته عدة قبائل من تلك الناحية كأولاد عيدون وبني مسلم، وبني خطاب وغيرهم وجاءوا معه كالجراد[3].

- **قيامه بالثورة:** وقد قام ابن الأحرش بمهاجمة قسنطينة سنة 1804م (1218هـ-1219هـ) هو وأتباعه من القبائل القاطنة بين جيجل وسكيكدة[4] وقد كان حاكم قسنطينة إذ ذاك هو عثمان باي[5]، وكان غائبا نواحي سطيف[6] ليخضع بعض القبائل بها[7]، حينها تصدى أهالي بلدة قسنطينة للثائر بقيادة الحاج أحمد بن الأبيض "قائد الدار" راكبا على جواده ومعه طائفة من أهل البلد كثيرون بلغت 1000مقاتل ساهمت في فرار الشريف وإخوانه[8]، وقد أشار (Mercier)مرسي أن هذه الهزيمة أدت إلى إصابة الشريف وانفضاض القبائل من حوله[9]، ولما بلغ الأمر لمصطفى باشا داي الجزائر(1798م-1805م) أصدر أمر لعثمان باى يبلغه فيه بأن يتتبع أثر هذا الثائر وأن وضعه سار بين أمرين رأسه أو رأس ابن

وحسب إدوارد دونوفو فالروايات الشفوية تذكر أن هذا الأخير عاش وقت طويل في مصر قبل أن يظهر فجأة بقبيلة بني ولبان، الإخوان، ترجمة وتحقيق كمال فيلالي، ص.91.

1- صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، تحقيق رابح بونار، ش.و.ط، ص.29.

2 - أحمد بن مبارك العطار، تاريخ قسنطينة، تحقيق رابح بونار، ص.46.

3 - صالح العنتري، المصدر السابق، ص.29.

Alain Romy, "L'état Turc Et Les Poutrais Religieux En Algérie De La Fin De 18eme Siècle Et Au Début De 19 Eme Siècle",In R.A, 1862, P-P.32-33.

4 - وقد قدر صالح العنتري أن القوات التي كانت مع ابن الأحرش بنيف على عشرة آلاف رجل، مجاعات قسنطينة، ص.31.

5 - أحمد مبارك العطار تاريخ قسنطينة، تحقيق رابح بونار، ص.13.

6 - وقد ذكر أحمد مبارك العطار أنه كان غائبا نواحي جبل البابور، المصدر نفسه، ص.46.

7 - محمد بن عبد الكريم، حمدان بن عثمان خوجة ومذكراته، ص-ص.27-28. وكذلك كتاب صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، تحقيق رابح بونار، ش.و.ط، 1974، ص-ص.29-31.

8 - صالح العنتري، المصدر نفسه، تحقيق رابح بونار، ش.و.ط، 1974، ص.31.

9 - Mercier(E), Histoire De Constantine, p.459 .

الشريف[1]، وقد خرج سنة 1804م على رأس 4000 جندي ليطلب رأسه[2]، لكنه انهزم في المعركة إثر كمين[3] أعده له أنصار ابن الأحرش فخسر جميع عساكره، وقتل في المعركة واستخلفه عبد الله ابن إسماعيل سنة 1805م (1219هـ/1220هـ)، وكان متزوجا من الدايخة بنت بن قانة، شيخ العرب بقسنطينة فلما حضر هذا الأخير إلى قسنطينة تفرقت القبائل عن ابن الأحرش، خاصة لمصاهرته العرب فساعدوه على استقامة الأمر له[4]، غير أن مدينة جيجل بقيت متمسكة بسلطة ابن الأحرش فوجه إليها الرايس حميدو بأربعة سفن حربية فقنبلها، ثم غاب بعدها خبر ابن الأحرش إلى سنة (1806م/1221هـ) حين ظهر ببجاية[5]، وتواصلت المعارك بين الفريقين، وقد اضطره الباي إلى الفرار والالتحاق بجيش درقاوة في بايلك الغرب، حيث بقي هناك إلى أن دس له من قتله من أصحابه سنة 1807م[6]، غير أن مسلم بن عبد القادر أشار إلى أن ابن الأحرش شارك في عدة معارك مع زميله الدرقاوي الثائر منها: معركة جديوة والتافنة وقد مات في المعركة الأخيرة[7]. والواقع أن الدرقاويين

1- Fèraud (Ch)," Histoire Des Villes De Constantine (Djidjeli)"In, R.S.A.S 1870, p.199.

2 – أحمد بن مبارك العطار، تاريخ قسنطينة، تحقيق وتقديم رابح بونار، ص.14.

3 – وحسب الرواية الشفوية التي أوردها ادوارد دنوفو فإن هذا الأخير أي عثمان باي حين عاد إلى إمارته وجد فيها رسالة "رأسك أو رأس محمد بودالي؟" فحمل هذا الأخير كل ما في الخزينة وقد يكون ذلك لإغراء القبائل وقد وعد المتمريدين أنهم إذا سلموه بودالي لن يتعرض لهم بسوء حينها حاولوا مباغتته بأن يرسل معهم فرقة من فرقه لتساعدهم ولعدم احتراسه وقع في الفخ الذي نصبه له القبائل، وعند ذهابه لمساعدة فرسانه في شواطئ وادي الزهور، وقع حصانه في وحل من الطين ولقي مصرعه. إدوارد دونوفو، الإخوان، ترجمة وتحقيق كمال فيلالي، دار الهدى، عين مليلة، جامعة قسنطينة، ص–ص.91–95.

وادي الزهور: هو وادي يقع بين القل وجيجل كما جاء في تاريخ قسنطينة، لأحمد بن مبارك العطار، ص.47.

4 – أحمد شريف الزهار، مذكرات، تحقيق أحمد توفيق المدني، ص– ص. 86–87.

5 – محمد بن عبد الكريم، حمدان بن عثمان خوجة ومذكراته، دار الثقافة، بيروت، ط.1، ص–ص.27–28.

6 – محمد العربي الزبيري، التجاذبة الخارجية للشرق الجزائري، ص–ص.27–30.

7 – مسلم بن عبد القادر، أنيس الغريب والمسافر، تحقيق وتقديم رابح بونار، ص.96.

ازدادوا قوة بقدوم ابن الأحرش، ومن خلال ما ذكرنا يفهم أن واقع السلطة أواخر العهد العَتمَاني كان مختلا، وأن القوة كانت لهؤلاء شيوخ الطريقة أكثر منها للسلطة المركزية.

2-2- الثورة الدرقاوية[1] :

اندلعت ثورة درقاوة سنة (1219هـ/1804-1805م) بزعامة عبد القادر بن الشريف[2].

- **نسبه** : ينتسب عبد القادر الدرقاوي إلى أولاد بالليل الكساني قاطن وادي المعبد واسمه الكامل هو عبد القادر بن الشريف الدرقاوي الفليتي[3]، وقد درس بزاوية القيطنة لمحي الدين والد الأمير عبد القادر[4]، وهو جزائري النشأة، درقاوي الطريقة، وسافر إلى المغرب الأقصى في فترة شبابه وأخذ من علماء فاس وهناك التقى مع شيخه العربي الدرقاوي وأصبح من مريديه[5] المتحمسين وأصبح شيخا صوفيا وعاد إلى الجزائر، واكتسب بها الأتباع[6]، وقد كان هذا الأخير يخرج بأتباعه إلى الصحراء ويقوم بالشعائر الدينية أمام الأعراب فكانوا يحترمونه ويقدمون له العطايا والهبات، ويشكون إليه ما أصابهم من الأتراك، وهذا

---

1 - **معنى درقاوي**: جمع درقاوي اسم جمع يطلق على أبناء الطريقة التي تضم أنصار مولاي العربي الدرقاوي، وتمتد سلطانها على الشمال الغربي الإفريقي وعلى الجزائر ومراكش وهي فرع من الطريقة الشاذلية وأول من دعى لها هو الشريف إدريس من جماعة العمرانيين ومنازلهم في البقعة الشمالية الغربية من فاس، وقد نسب هؤلاء الأشراف إلى جدهم يوسف بن جنّون الذي يكنى بأبي درقاوي هكذا في الأصل وهي الترس من الجلود، دائرة المعارف الإسلامية، مجلد .9، ص. 198.

2 - محمد يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم المهدي بوعبدلي، ص.37. والمؤلف مولاي باحميلي مقالة "الثورة على الأتراك، " مجلة الثقافة، العدد.48، ص.37.

3 - محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر، تحقيق محمود حقي، ص.115.
الفليتي تقع بين ايفيل ايزان وتيارت ويرى محمد بن عبد القادر أن أصله من قبيلة كسالة البربرية، محمد بن عبد القادر، المرجع نفسه، ص.75

4 - مسلم بن عبد القادر، أنيس الغريب المسافر، تحقيق رابح بونار، ص.49.

5 - مسلم بن عبد القادر، المصدر نفسه، تحقيق رابح بونار، ص.49. وكذلك محمد بن عبد القادر، المصدرالسابق، ص.115.

6 - مسلم بن عبد القادر، المصدر نفسه، ص.75. ومحمد بن عبد القادر الجزائري، المصدر نفسه، ص.115.

الأخير يقص على شيخه عبد الله محمد الدرقاوي حين يزوره بزاويته بالمغرب الأقصى، فيقول له "أنصرهم والله ينصرك"[1] فتكونت لهذا الأخير روح الثورة ضد الحكم التركي[2].

وهكذا استطاع أن يعزز قوته متخذا الثأر الديني لدعوته وقد ركز نشاطه بداية على المناطق البعيدة على الحكم[3]، وفي سنة (1805م/1220هـ) زحف إلى جهة غريس وأعلن العصيان على الترك على مقربة من تاقدمت بموقع يدعى فرطاسة، وانهزم الأتراك حينها وأرسل لهم مصطفى باشا نجدة عسكرية لكنها لم تتمكن من فعل شيء فأرسل إلى السلطان مولاي سليمان يعرفه بما فعل الدرقاويين وطلب إليه أن يبعث بالشيخ عبد الله العربي الدرقاوي ليكفهم عنه، فبعث السلطان بالشيخ المذكور، لكن هذا الأخير لما وصل إلى عبد القادر ووصف له ما يعانيه الأهالي من ظلم الأتراك فأيده الشيخ بما فعل[4]، لكن الزياني يرى أن الأتراك، قد قدموا لهذا الأخير رشوة لأنه سحب تأييده لتلميذه وذلك لما وجد من تأييد وحفاوة من أهالي وهران بتأييد من الأتراك أنفسهم مما جعل الشيخ يخاطب تلميذه قائلا "إن الأتراك أشد إيمانا وعبادة مني ومنك" وقد حضر الشيخ المعارك وانصرف بعدها لزاويته بالمغرب الأقصى[5].

---

1 – وقد أضاف محمد يوسف الزياني أنه مما قاله الشيخ العربي الدرقاوي هو: "عليك بجهادهم وقتالهم وأن الله ينصرك عليهم بكاملهم"، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران،، تقديم المهدي بوعبدلي، ص.6.

2 – محمد بن عبد القادر الجزائري،، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر، ص.75. ومسلم بن عبد القادر أنيس الغريب المسافر، تحقيق رابح بونار، ص.50. وأيضا أبو العباس خالد الناصري، الاستقصاء لأخبار دور المغرب الأقصى، تحقيق الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري، دار الكتاب، ط.1، 1956، ج.8، ص.109.

3 – محمد يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم المهدي بوعبدلي، ص.6.

4 – أبو العباس خالد الناصري، الاستقصاء أخبار دور المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري، محمد الناصري، ص. 108، ومسلم بن عبد القادر، أنيسى الغريب والمسافر، ص.51، محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر، تحقيق محمود حقي، ص.76.

5 – محمد يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم المهدي بوعبدلي، ص.12.

ولما تيقن مصطفى باي من قوة هذا الأخير[1] صوب له مدافع من جهة البحر، فشُتتت قوة هذه الجماعة المتمردة، وقد فر عبد القادر إلى تلمسان ودخلها وأخذ البيعة من أهلها لسلطان المغرب سليمان لكن هذا الأخير رأى أنه من حسن السياسة أن يصلح بين الطرفين، ولما سمع الدرقاوي بذلك فر من تلمسان خاصة بعد سماعه بقدوم عباد أبي شفرة ليقوم بالصلح أو القبض عليه إذا رفض[2]. فتوجه الدرقاوي إلى عين ماضي نواحي الجنوب لكنه رجع سرا إلى يزناسن[3] واستنهض أهل الحدود الوهرانية المغربية[4]. فسار إليه الباي بقواته وهزمه دون أن يتمكن من القبض عليه، مما جعله يستمر في انتفاضته ضد الأتراك حتى قضى عليه الباي محمد بن عثمان أبو كابوس سنة (1223هـ/1808م-1809م)[5]، وجعل لمن يأتي برئيسهم حيا أو ميتا وزنه نقودا ويشير حمدان خوجة أنه التجأ إلى المغرب الأقصى[6].

2-3-ثورة التيجانية:

لقد أعلن التيجانيون الثورة على الأتراك بالجنوب والغرب الجزائري منذ عام 1818م، ووصلوا في ثوراتهم هذه حتى نواحي غريس وجهات التل الوهراني[7]، وفي سنة (1242هـ/1826م) قامت الثورة بقيادة أحمد بن سالم التيجاني في نحو600 رجل[8].

---

1 - تمتد سلطة الشيخ الدرقاوي من تلمسان إلى مليانة وحتى متيجة، مذكرات أحمد الشريف الزهار، تحقيق أحمد توفيق المدني، ص.84.

2 - مسلم بن عبد القادر، أنيس الغريب والمسافر، تحقيق رابح بونار، ص. 52.

3 - يشير حمدان بن عثمان خوجة أنه حين فرار الدرقاوي إلى يزناسن تزوج بنت رئيسهم واستطاع أن يجذب منهم طائفة أصبحت من أنصاره المخلصين في حروبه مع الترك، محمد بن عبد الكريم، حمدان بن عثمان خوجة ومذكراته، ص.35.

4 - مسلم بن عبد القادر، أنيس الغريب والمسافر، تحقيق رابح بونار، ص. 55.

5 - مسلم بن عبد القادر، أنيس الغريب والمسافر، تحقيق رابح بونار، ص-ص.54-55.

6 - محمد بن عبد الكريم، حمدان بن عثمان خوجة ومذكراته، ص.35.

7 - ناصر الدين سعيدوني والهادي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، ج.4، ص.39.

8 - الأغا بن عودة المازري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا أواخر القرن 19، تحقيق نور الدين بوعزيز، ج.1، دار الغرب الإسلامي، ط.1، 1990، ص-ص .350-357.

- **نسبه:** هو محمد بن أحمد بن سالم التيجاني[1]، وأصله من بني توجين أمراء تاهرت[2]، ويقال أن أصله من المغرب، أو من الصحراء قرب قصور ميزاب، وقيل كذلك من قرية عين ماضي[3]، وكان أبوه رجلا صالحا له مريدون كان يلقنهم الذكر وضريحه الآن بفاس[4]، ومهما تختلف الروايات فإن أباه يقطن بعين ماضي، ورحل منها قاصدا فاس بالمغرب الأقصى ذلك في عهد السلطان سليمان، ويعتقد أن سبب تركه للقبيلة هو الخلافات التي كان يثيرها ضده فريق من التيجانية[5]. وقد أشار إلى ذلك صاحب الترجمانة الكبرى أن هذا الرجل "أبي العباس أحمد بن المختار التيجاني" كان من تلمسان وكان من أهل البدعة، وهو من أهل البطالة الذين يدبرون القصة ويدسونها ويبحثون بزعمهم عن صبغة الإكسير، فلما علم الباي محمد بن عثمان بالأمر ضربه وسجنه ونفاه عن تلمسان، فانتقل من محل لمحل حتى وصل قرية أبي سمغون حيث لا تناله الأحكام وهناك وجد مجتمع الأشرار واللئام، فأظهر لهم النسك والزهد والصلاح فاجتمع حوله أوباش من العامة والجهلة وصار يوجههم لأجلاف العرب والبربر، فبلغ خبره الباي عثمان السابق، فكتب هذا الأخير لقرية بوسمغون بالوعيد إن لم يطردوه من بلادهم فلما بلغه ذلك خاف على نفسه ففر إلى المغرب مع طائفة من أبناء جنسه وأولاده وقصد مدينة فاس[6]، فأكرمه سلطان المغرب أبي الربيع سليمان بن محمد خاصة حين أخبره أن سبب فراره هو ظلم وجور الترك له

---

1 -محمد يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم المهدي بوعبدلي، ص.56.

2 – هي مدينة تيارت الحالية ويرى البعض أنها ليست الحالية وإنما أقيمت بقرب القديمة.

Rinn, Les Marabouts Et Khouanes, p.421.

3 – عين ماضي تقع على بعد 70كلم من مدينة الأغواط.

4 – أبو القاسم الزياني، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برا وبحرا، حققه عبد الكريم فيلالي، ص.460. ومـذكر أحمد شريف الزهار، تحقيق وتقديم أحمد توفيق المدني، ص.159.

Rinn, Les Marabouts Et Khouanes, p.421.

6 – أبو القاسم الزياني، المصدر السابق، ص ص .460-461.

ولأتباعه، فاستقر بقصر المرايات في فاس وترك مسؤولية الثورة لسكان عين ماضي على عاتق الأهالي وقد أرغمهم الباي بدفع مبلغ من المال قدر بـ17 ألف ريال ومعها أثاث وأغطية وملابس من أفخر ما تحتويه القرية، فأرهق القوم بهذه المطالب وعاودوا الاتصال بشيخهم، فبعث لهم برسالة يعتذر لهم فيها ويحثهم بالسماع والطاعة للترك[1]، أما أولاده محمد الكبير وأحمد الصغير فقد ذهبوا معه إلى فاس وعادوا إلى مسقط رأسهم (عين ماضي) بعد وفاته[2]، ويقول رين "بعد وفاة الشيخ التجاني بوقت قصير سافر الحاج علي بن عيسى[3] إلى فاس لأخذ ولدي الشيخ بعد أن جردهم السلطان الجديد مولاي يزيد ابن إبراهيم من القصر الذي منحه لوالدهم مولاي سليمان ومن جزء من أملاكهما"[4]. وعند عودتهما إلى عين ماضي حظي بمكانة هامة من الأهالي وقد أشار لذلك الزهار بقوله "ولما كبر هؤلاء كانت لهم الطاعة من عرب الصحراء وكثر المريدون"[5]. ولما كان الأتراك يخشون سلطة تؤسس على الترهيب والقوة الدينية، أكثر من سلطة تؤسس على الأسس القوية للعدل والعصرنة، وكانوا يفكرون دوما في أن القوة الفائقة لسمعة الشيوخ المرابطين والطرقيون على السواء بإمكانها إعطاء القوة اللازمة لقلب نظامها في يوم ما. وأكبر دليل ما قام به أولاد سيدي أحمد التيجاني من ثورات عديدة ناحية وهران، ينادون فيها باستقلالهم عن وهران[6]. فحين ذهاب محمد الكبير إلى الحج عن طريق الصحراء برا عام(1824م/1240هـ)أرسل حسين باشا لحاكم قسنطينة بالقبض عليه وذلك لتخوفه منه ومن كثرة

---

1 – عبد الرحمان جيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج.3، ص-ص. 286-287، والرسالة نفسها التي وجهها أبي العباس محمد التيجاني إلى أهالي عين ماضي موجودة في الكتاب نفسه، ص.287.

2 – محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر، تحقيق محمود حقي، ص.125.

3 – وقد عهد لهذا الأخير بالإدارة الروحية للطريقة.

4 -L Rinn, Les Marabouts Et Khouanes, p.423.

5 – – أحمد شريف الزهار، مذكرات، تحقيق أحمد توفيق المدني، ص.159.

6 – محمد بن عبد الكريم، حمدان بن عثمان خوجة ومذكراته، ص.48.

أتباعه، وحالما عاد هذا الأخير لبلده أمر أتباعه بالثورة ضد العثمانيين[1] إلا أن الزياني أشار أن سبب قيام محمد الكبير بالثورة على الأتراك هو أن الباي حسن[2] بدأ يشك في التيجاني، فخاف أن يثور عليه، مثلما فعل الدرقاوي من قبل ضد الباي مصطفى، فجهز حملته واتجه إليه وحاصره شهرا كاملا في عين ماضي[3]. ومما تجدر الإشارة إليه أنه مما زاد في حماس سكان عين ماضي لمقاومته الأتراك، هو تنبؤ قائدهم ووعدهم بأن العناية الإلهية سوف تنتصر لهم فقال لأتباعه "...ستمنع بارود عدوهم أن يشتغل وأن سلاحهم سيحدث خسائر فادحة في صفوف الظالمين"[4]. أما رين فيقول أن سبب هذا الحصار كان بطلب من التيجانية الذين طردوا من عين ماضي إلى جبال العمور على يد أحمد التيجاني نتيجة لخلافات بينهما، وقد حاول التيجانية شراء انسحاب الباي حسن وقواته مقابل مئة ألف بوجو من الفضة وقبل الأتراك لهذا العرض ولكنهم لم يوفو بوعودهم وحاولوا اقتحام المدينة أكثر من مرة واضطروا للانسحاب بعد خسائر فادحة، وفي عام 1826 توجه التيجاني الكبير والصغير على رأس عدد كبير من فرق[5]، المقاتلين نحو معسكر للانتقام من الأتراك وقوات الباي وقد كان فشل الحكام في هجومهم على عين ماضى أحد أسباب تحرك القبائل المعادية لهم[6]. ومنه بدأ التيجاني في إتباع الباي

---

1 – محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر، تحقيق محمود حقي، ص.125.

2 – الباي حسن بن موسى: تولى هذا الباي سنة (1232هـ/1826م) ويعرف عند العامة بالباهي حسن، وهو آخر بايات وهران وكان أول أمره طباخا لأربعين جنديا من الأتراك ثم سار بائعا للتبغ ووصفه صاحب در الأعيان في أخبار مدينة وهران أنه ذو عقل وسياسة وشاهد الباي محمد الرقيق أبو كابوس هذه المزايا فيه فأحبه وصاهره وقربه إليه، وأسند إليه قيادة فليتة، ثم سار بايا فأصبح يظلم الناس كما كان ينعت بلقب حسن قطب، مسلم بن عبد القادر، أنيس الغريب والمسافر، تحقيق رابح بونار، ص.31.

3 – عين ماضي مدينة صحراوية تقع جنوب جبل عمور على بعد حوالي 80 ميل جنوب الجزائر
محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم المهدي البوعبدلي، ص.56 .

4 –ادوارد دونوفو، الإخوان، تحقيق كمال فيلالي، دار الهدى، ص.77.

5 - Rinn (L), Les Marabouts Et Khouanes, p.423

6- Rinn(L),Op Cit, p.424.

حتى مقر ولايته مثلما وضح الزياني في كتابه قائلا: "ثم إن التيجاني رأى ما حل به من غير موجب، ظهر له مقاتلة الأتراك والغزو على الباي الحسن في محلته كما جاء لمحلته"[1]. وقد تكونت القوات التيجانية بصورة رئيسية من عرب الصحراء وقبيلة الحشم[2] وتوجه محمد الكبير إلى اغريس قرب معسكر واضطر لتوقف بها بعد أن جرح في إحدى المعارك واضطر إلى الفرار إلى عين ماضي ومحاولة الكرة سنة(1827م/1242هـ) حتى وصل أسوار معسكر[3]، في حين أن الباي حسن كان قد خرج من وهران قاصدا تلمسان للإطلاع على أحوال البلاد، فعلم بما حدث حينها أرسل للداي بالعاصمة لطلب قوات عسكرية لمساعدته[4]، وقد تمكن من هزيمة محمد الكبير خاصة بعد أن تخلت عنه قبيلة الحشم التي تشكل الأغلبية[5]، كما تخلت عنه قبيلة هاشم الذين طلبوا تدخله وقتلوه هو و400 من أتباعه. أما محمد الصغير فلم يحضر المعركة لأنه بقي في قرية بوسمغون وعاد بقواته بعدها إلى عين ماضي وقد تولى الشؤون الدينية والدنيوية في زاويته وقد اتسع نفوذها على يديه[6]، كذلك ثورة المرابط عبد الله الزبوشي ضد عصمان باي سنة 1804م، فعندما ظهر بودالي في المنطقة كتب له الزبوشي معبرا له عن حقده وكراهيته للأتراك فتعاهدوا على حماية القبائل من ظلم هؤلاء ولكن الزبوشي انسحب إلى أعالي الجبال معلنا عن الانتقام من عصمان باي قائلا "أحلف بالله العظيم أنه عندما أقضي على عصمان

---

1 - محمد يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم المهدي البوعبدلي، ص.57.

2 - هذه الأخيرة التي يقول فيها الزهار "عرفت بمساندتها للثوار لأنهم أصحاب فتن، أحمد شريف الزهـــار، مـــذكرات، تحقيق أحمد توفيق المدني، ص.159.

3 -Rinn (L), Les Marabouts Et Khouanes, p.424.

4 - - أحمد شريف الزهار، مذكرات، تحقيق أحمد توفيق المدني، ص.159.

5 - وقد أشار حمدان بن عثمان أن هذه القبيلة هي التي دعت بثورة ضد الأتراك فانضم إليها التيجـــانيون وحاصـــروا المعسكر فجاء باي وهران حينها وواجه التيجانيون وحدهم في وجه الجيش إلى أن قتلوا عن آخرهم، محمد بن عبد الكريم، حمدان بن عثمان خوجة ومذكراته، ص- ص .53-54 .

ومحمد يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم المهدي البوعبدلي، ص.57.

Rinn (L), Les Marabouts Et Khouanes, p.424.

باي، سأضع قدمي على عينه العوراء".[1] ومما تقدم يتضح أن الثورة كانت رد فعل على الأعمال الوحشية والمعاملات القاسية التي سلطها الحكام على هذه الناحية.

2-4-نتائج الثورات:

وقد كانت هذه الثورات سببا في إنهاك القوى الحربية للأتراك من جهة فلم تبقى السلطة العثمانية تتمتع بتلك القوة التي كانت تتمتع بها أواخر القرن 18م[2].

- **الميدان السياسي:** وقد كان لهذه الثورات نتائج كثيرة في الميدان السياسي سواء داخل الجزائر أو خارجها.

ففي المجال الداخلي: دفعت هذه الثورات الحكام لتشديد قبضتهم على الرعية فزادت في طغيانهم وظلمهم إذ كان الجندي يأتي بثلاثة رؤوس وأربعة ويضعها بين يدي الباي كما يضع الرجل البصل[3]، وقد أشار الزهار كذلك إلى هذا بقوله: "فكانت تتجمع رؤوس بني آدم مثل الجبال"[4]. وكل هذه الأعمال زادت من فقدان الثقة بين الحاكم والمحكوم، مما جعل الطبقة الشعبية لا تلتف حول السلطة عند وقوع الهجمات الخارجية على البلاد[5]. كذلك من أهم النتائج الداخلية لهذه الثورات والتمردات التي حدثت داخل الحكم نفسه[6]، تعرض بعض البايات للقتل أو للعزل نتيجة فشلهم في التصدي لبعض الثورات[7]،

---

1 - Fèraud (Ch), "Zbouchi Et Ossmane Bey",In R.A, 1862, P-P.122-125.

2 – مسلم بن عبد القادر، أنيس الغريب والمسافر، تحقيق رابح بونار، ص. 57.

3 – مسلم بن عبد القادر، المصدر نفسه، ص. 53.

4 – أحمد شريف الزهار، مذكرات، تحقيق أحمد توفيق المدني، ص.87.

5 – أحمد بن محمد الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق المهدي البوعبدلي، ص.39.

6 – أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص.84.

7 – أحمد الشريف الزهار، المصدر نفسه، ص.46.

وحتى الرجال الموالين للسلطة لم يسلموا من هذا الاضطهاد وذلك للصبغة الدينية التي اصطبغت بها هذه الثورات[1].

أما في **المجال الخارجي**: فهذه الثورات أفسحت المجال أمام الدول المجاورة لاستغلال هذا الوضع المضطرب وشن هجومات على الوطن مثلما فعل حمودة باشا (باي تونس)حين استغلاله للاضطرابات التي كانت تعيشها قسنطينة وتجهيزه جيشا بعشرين ألف مقاتل[2] لمهاجمتها، كما أفسحت الثورة الدرقاوية المجال أمام السلطان مولاي عبد الرحمان سلطان المغرب لمهاجمة فجيج[3] عام 1805م. وقد أدت هذه الثورات إلى هجرة عدة قبائل من مواطنها الأصلية كقبائل بني عامر الذين رحلوا إلى المغرب، ورجعوا بعد دلك مرة أخرى في عهد الباي بوكابوس[4]. كذلك حاولت كل الدول الأوروبية استغلال هذه الاضطرابات لصالحها خاصة فرنسا وبريطانيا[5].

- أما نتائج هذه الثورات في **المجال الاجتماعي**: فقد كانت لها أثار سلبية خاصة للأضرار الكثيرة التي تسببت فيها مثال على ذلك ما قاله العنتري عن ثورة ابن الأحرش بقسنطينة بقوله: ".... فحصلت للناس شدة ومجاعة قد أشرف فيها الضعفاء على الهلاك خصوصا بعض نواحي القبيلة فإنهم تشتتوا عن منازلهم وتفرقوا بسبب الهول الواقع في وطنهم مع الشر والمصائب التي حلت به قبل أن ييبس الزرع وعدم الحرث ونزول القحط والفتن وغير ذلك..."[6] زيادة على ذلك عدم الاستقرار الذي يعيشه

– أحمد الشريف الزهار، المصدر نفسه، ص.46.

2 – صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، تحقيق وتقديم رابح بونار، ش.و.ط، ص.37.

3 – الفجيج وهي مجموعة من قرى تمتد نحو عشرين كلم مربع وتشمل سبعة من القصور البربرية العتيقة وكل قصر يحتمي وراء جدار كبير.

4 – مسلم بن عبد القادر، أنيس الغريب والمسافر، تحقيق رابح بونار، ص.55.

5 – أرجموند كوران، السياسة العثمانية اتجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر، نقله عبد الجليل التميمي، ط.2، ص–ص .17-20.

6 – صالح العنتري، مجاعات قسنطينة، تحقيق وتقديم رابح بونار، ص33.

الأهالي[1]، كما أثرت في الميدان الاقتصادي على المبادلات الداخلية والخارجية فقد زادت من سيطرة اليهود على التجارة الخارجية.

وأخيرا وليس آخرا فإن الفشل العسكري لهذه الثورات انعكس على الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية وأدت إلى استنفاد الطاقات الحربية لمواجهة العدوان الخارجي ،كما يظهر من خلال هذه الثورات عجز السلطة العثمانية عن احتواء جميع القبائل تحت سلطتها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1 – مسلم عبد القادر، أنيس الغريب والمسافر، تحقيق رابح بونار، ص.107.

خـــــــــــاتمة

أول ما يسترعي الانتباه كما ذكرنا انفا حين دراسة التاريخ العثماني في الجزائر أن هذه الجماعات الدينية قد لعبت دورا كبيرا في تثبيت أقدام الأتراك في الجزائر أو في إسقاط حكمها عن طريق مختلف الثورات وقد شكلت هذه الطرق محور الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر، وكان لشيوخ الطرقية والمرابطين من الولاء ما يضاهي بل يفوق الولاء العام لنظام الحكم. وقد يكون التفسير النفسي والاجتماعي لظاهرة الولاء هذه هو أحد أسباب عظمتها ونفوذها في المجتمع الجزائري[1]، وتمكنت هذه الأخيرة من توحيد المجتمع روحيا وهذا ما عجزت عنه السلطة العثمانية فالتداخل بين المصالح الدينية والسياسية تفسرها الأستاذة بن سالم بأن "سلطة الولي تقوم على البركة وتحظى بقيمة رمزية وبفعالية على مستوى الممارسات الاجتماعية ألما ورائية "لذا يرى كلينر الفصل بين الولي الفعلي "الحاكم السياسي" والولي الكامل "الولي الصالح" إذ لا يحظى بالبركة في وقت معين إلا ولي واحد من بين أبناء الجد الصالح"[2]، كما تمكنت هذه الأخيرة من التمسك بوزنها ونفوذها بين الرعية حتى أنها كانت تخيف كل حاكم عثماني أو غيره[3] والنتيجة التي يمكن أن نستخلصها مما سبق أن السلطة المرابطية الطرقية في الجزائر لها سلطة تفوق السلطة الحاكمة نفسها وأن وجودها سبق وجود السلطة المركزية نفسها، ولهذا فولاء الشعب لشيوخ الطرقية لا حدود له وقد كان لزاما على السلطة المركزية كما سبق وأشرنا أن تستعين بهؤلاء لتتمكن من بسط نفوذها على المجتمع، وما حدث من ثورات حين حاول العثمانيين التخلص من قوة هؤلاء الشيوخ خير دليل على ذلك، فقد كادت هذه الأخيرة أن تقضي نهائيا على الحكم المركزي لو أنها كانت متحدة. كما أشار إلى ذلك

---

1 – العيد مسعود," المرابطون والطرق الصوفية في العهد العثماني "، مجلة سيرتا، العدد.10، ص.22.

2 – ليليا بن سالم، "المقاربة الانقسامية لمجتمعات المغرب الكبير"، حصيلة وتقسيم، ترجمة عبد الأحد السبتي، بحث نشر في مجموعة الانتربولوجيا والتاريخ، حالة المغرب العربي، دار توبقال، المغرب 1988، ص.26.

3 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج.4، ط ا، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1998، ص.30.

ناصر الدين سعيدوني في كتابه الجزائر في التاريخ بقوله: "إن تزعم رجال الدين للثورة ضد الحكم لم يؤد إلى تدمير نفوذ البايلك والحد من مظالم الحكام، ولم ينتج عنه تعديل في سياسة وأسلوب الحكام وذلك لتعدد الطرق الدينية وتباين ميولها، وانحصار نفوذها في جهات دون أخرى فدرقاوة مثلا تركزت في الغرب الجزائري...، والشاذلية ظلت محصورة في الجهات الشرقية من البلاد أما التيجانية فهي معزولة في الجنوب، بينما الطريقة الرحمانية، فقد بقيت منحصرة في الجهات الوسطى والشرقية، ولم يتول أمرها شيوخ معادين للسلطة الحاكمة"[1].

1 - ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ، ج.4، ص.39.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الخامس

سلطة العلماء

تمهيد

أولا: واقع العلم والعلماء

ثانيا: كيفية ممارسة العلماء لسلطتهم

ثالثا: السلطة بين الحكام والعلماء

خاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيـــــد

يقول ابن خلدون"إن العلوم إنما تكثر حيث يكثر العمران، وتعظم الحضارة، والسبب في ذلـــك، أن تعليم العلم-كما قدمناه- من جملة الصنائع، وقد كنا قدمنا أن الصنائع إنما تكثر في الأمصار وعلى نـــسبة لصنائع في الجودة والكثرة، لأنه أمر زائد على المعاش فمتى فضلت أعمال أهل العمـــران عـــن معاشـــهم، انصرفت إلى ما وراء المعاش من التصرف في خاصية الإنسان وهي العلوم والصنائع ."[1] وقد اعتبرنا نظريـــة ابن خلدون صحيحة واخذ نا برأيه، فوجدنا أن الثقافة في الجزائر تحتضر، والسبب في ذلك هـــو اشـــتغال الجزائريين بأمر معاشهم وبحثهم عن قوت يومهم وعدم الاستقرار بسبب الحروب الداخلية والخارجية، كما أن الأتراك لم يكونوا من دعاة الثقافة بل هم رجال حرب[2]. ومن المتعارف عليه في المجتمع الجزائري كمـــا سبق وأشرنا أنه توجد للشيخ مكانة مرموقة في وسط أهله سواء كان متعلم أو غير متعلم وبمجيء الإسلام زاد هذا الاعتبار التوقيري للشيخ وازدادت هذه المكانة، كلما أقبل على التحصيل العلمي والمعرفي. والسؤال الذي يمكن طرحه: ما هي مكانة الشيخ العالم في الجزائر أواخر العهد العثماني؟، والإجابة على هذا السؤال تتطلب البحث الطويل وقد يتفرد بموضوع رسالة لوحده لهذا حاولنا فقط الإشارة لهذا الموضوع لما له مـــن أهمية وتعلقه بأحد أنواع السلطات الهامة الموجودة بالإيالة الجزائرية، وذلك مـــن خـــلال الإجابـــة علـــى تساؤلاتنا: من هم هؤلاء العلماء؟ وهل كان لهؤلاء سلطة على المجتمع؟ الإجابة أكيد نعم إذن فما نوع هذه السلطة؟ وما هو الإطار الذي مارس فيه هؤلاء العلماء سلطتهم؟.

لقد أسس العثمانيون نظام دولتهم في الإطار العام للشريعة الإسلامية، فتمكنت من تحقيق إنجـــازات ضخمة في مجالات السيادة والفتح والسلطة والقوة وتنظيم الجيوش واعتمدوا في سياستهم هذه على العلماء

---

1 - ابن خلدون، المقدمة، مكتبة المدرسة والدار اللبناني، بيروت 1961، ص.990.

2- محمد بن ميمون الجزائري. التحفة المرضية في الدولة البكداشية، تقديم وتحقيق محمد عبد الكريم، ص-ص. 45-46.

خاصة فهؤلاء هم أول من منحوا الشرعية السياسية للتواجد العثماني بالجزائر حيث بدا دور طبقه رجال الدين واضحا.[1]

أولا- واقع العلم والعلماء

1- تعريف العالم:

كما ورد على لسان الدين الخطيب فعالم مشتقة من صفة علم، وهي من صفات الله عز وجل، العلم والعالم والعلام، قال تعالى"وهو الخلاق العليم" وقوله "عالم الغيب والشهادة" وقال "علام الغيوب" كما يقول بعضهم العالم الذي يعمل بما يعلم كما يجوز القول علِم وفَقِهَ أي تعلم وتفقه.[2]وقد كان الفقه في بدايته هو العلم بكل أحكام الدين[3]، ورغم استقلال الفقه عن باقي العلوم احتفظ الفقيه بلقب العالم[4]. أما مفهوم العالم في- الفترة التي يتعلق بها البحث- فهو إتقان وفهم آيات الذكر الحكيم وحفظ المرويات للحديث الشريف ومعرفة الأصول والعقائد والفقهيات وتعمقه في الأصول ورجال الدين هم العلماء، فكل فقيه أو محدث أو مفسر أو أصولي أو عقائدي يعد في نظر الناس عالما.[5] أما عند الصوفية فالعالم هو من انتقل من الإنسان العابد لربه إلى الإنسان العارف بالله سبحانه وتعالى.[6]

---

1 - عبد الجليل التميمي، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي (1816-1871)، ط.1، الدار التونسية للنشر، 1972، ص.116.

2 - ابن منظور، لسان العرب، ط.1، دار صادر، بيروت، ج.4، ص.3082.

3 - ابن منظور، لسان العرب، مادة فقه، ج.13، ص.522.

4 - البغدادي، كتاب الفقيه والمتفقه، تحقيق عادل يوسف، ط.1، دار ابن الجوزي، الرياض، السعودية، 1996، ص.112.

5 -محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية، ص-ص. 46-47.

6 - احميدة عميراوي، فواصل من الفكر والتاريخ، سبتمبر 2002، ص 119.

2- أهم المذاهب الإسلامية في الجزائر:

قد كان المذهب المالكي[1] الأقوى في الجزائر فهو المسيطر في عمق المجتمع الجزائري والمسيطر على تنظيم العلاقات الاجتماعية[2] ولعل ذلك راجع كما يقول جوليان لانسجام هذا المذهب الفقهي مع طبيعة السكان الأصلية في الجزائر[3]. ويقول الأستاذ بيرم: " ... في هذه البلاد المسلمون أغلبهم على مذهب أهل السنة في العقيدة وعلى مذهب الإمام مالك في الفروع، ونسل الترك على مذهب الإمام أبي حنيفة، وبعض السكان على مذهب الاعتزال كبني ميزاب"[4]. وقد كان المذهب الثاني في الجزائر هو المذهب الإباضي[5]، الذي وصف العديد من الدارسين أصحابه بقولهم : " أن سمات الخوارج البارزة هي التشدد في الدين وعدم التسامح، والانقطاع للعبادة حتى عرفوا بوجوههم الصفراء وجباههم المعفرة من كثرة السجود "[6]. ومن خلال هذا احتفظ الإباضيون بمقومات ثقافية متميزة ولعل هذا ما يفسر علاقتهم مع الأتراك والعثمانيون

---

1 - وقد كان الأقوى في بلاد المغرب من المذاهب المذهب السني الأشعري، " أبو الحسن الأشعري (330هـ/945م) وهو مذهب وسطي بين غلو المعتزلة في اعتماد العقل وبين المكتفين بالنص من علماء أصول الدين والتوحيد، ومنه صارت الثقافة في الجزائر فقهية سنية. احميدة عميراوي، بحوث تاريخية، ص.78.

2 - J Berque, Ulémas Fondateurs Insurgés Du Maghreb XIII, Sindbad, Paris, 1982, p.242.

3 - Ch.Andre Julien, Histoire De L'Algérie Contemporaine, (La Conquête Et Le Début De La Colonisation (1827-18719), Presses Universitaire De France ،Boulevard Saint –Germain, Paris 1964. T .2, P-P. 64-65.

4 - محمد بيرم الخامس، صور الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، المطبعة الإعلامية بمصر، 1302هـ، ط.1، ج.4، ص.7.

5 - الإباضية هي فرقة من فرق الخوارج تنتسب إلى عبد الله بن إباض المري التميمي الذي عاش في النصف الثاني من القرن الأول الهجري ولم يشترك في توارث الخوارج على الأمويين اللهم إلا في ثورة قامت في أواخر حكم مروان الثاني (127هـ-132هـ) وعندما ضيق عليهم بالمشرق انتقلوا إلى المغرب، وتختلف الإباضية على جمهور الخوارج في كونهم لا يحكمون بتكفير مخالفيهم من المسلمين ويعتبرون التزاوج والميراث معهم حلال وقد كان أول الدعاة للمذهب الخارجي في المغرب هو سلمة بن سعد وقد تحققت أمنياتهم بإنشاء الدولة الرستمية الإباضية 160هـ. إبراهيم تهامي، جهود علماء المغرب في الدفاع عن العقيدة أهل السنة، دار الرسالة، ط.1، 2002، ص.471. وإبراهيم محمد طلاي، مزاب بلد كفاح، دار البعث، 1970، ص. 38. ودائرة المعارف الإسلامية للمستشرقين، ج.1، ص-ص.13-14.

6 - عبد المجيد بن حمدة، المدارس الكلامية في إفريقية، مطبعة دار العرب، ط.1، تونس 1986، ص70.

حيث تسالموا معهم دون أن يستسلموا [1]. أما الأتراك فقد اتخذوا المذهب الحنفي وحده مذهبا للدولة في القضاء والإفتاء و لم تمنع الدولة المثقفين من مذاهب الجمهور من ممارسة الإمامة ببعض المساجد، ولا من تدريس الفقه على هذه المذاهب للراغبين، إلا أنهم أطلقوا لقب(الإمام الأعظم) لأبي حنيفة ومذهبهم "مذهب الإمام الأعظم" كما كثرت الأوقاف والحبوس على فقهاء هذا المذهب ومدارسه[2]. ومن خلال هذه التعددية المذهبية نستمر في التساؤل عن مكانة هؤلاء العلماء في ظل هذه الخلافات المذهبية. خاصة وأن وجود هذه المذاهب قد عمق الروح الدينية في اخلاقيات المجتمع الجزائري، فوجود الإباضية في الجنوب والمالكية في الشمال كانت إحدى الوسائل النافعة في الحفاظ على استمرار وحدة الشعب في تكوين ضميره الجمعي، وإحداث التوازن بين أفراده ومنع التطرف فيه[3].

3- أهم العلوم:

قد أشار أحد الباحثين أن الحضارة الإسلامية هي حضارة فقه، وذلك لضخامة تراثها الفقهي تأليفا وشرحا واختصارا[4]، وقد أكسبهم هذا سلطة علمية هامة تأكدت بسيطرتهم على الوظيفة التشريعية والقضائية والمنظومة الفكرية الإسلامية[5] ويمكننا أن نستشف من خلال التراجم لبعض العلماء أن هؤلاء العلماء اهتموا بدراسة أصول الفقه[6] وأصول الدين، حيث كانوا مقلدين ومجتهدين مقلدين حيث أنهم يرجعون دائما لأصول المذهب المالكي، ومجتهدين فيما يخص علوم الحديث والفقه مع المحافظة التامة على

---

1 - احميدة عميراوي، بحوث تاريخية، دار البعث قسنطينة، 2001م، ص.79.

2 - عبد الجليل التميمي، الحياة الفكرية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، منشورات الدراسات والبحوث العثمانيةو الموريسكية والتوثيق والمعلومات زغوان 1990، ص.380.

3 - احميدة عميراوي، فواصل من الفكر والتاريخ، سبتمبر 2002م، ص.88.

4 - محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي ، ج. 1، نقد العقل العربي، ط.2، دار الطليعة، بيروت 1985، ص.96.

5 - الغزالي، إحياء علوم الدين، ج.1 ,ص. 17. وابن خلدون، المقدمة، ص-ص.350-354.

6 - الفقه: "معرفة الفروع الغريبة في الفتاوى والوقوف على دقائق عللها واستكثار الكلام فيها وحفظ المقالات المتعلقة بها"، الغزالي، المصدر نفسه، ج.1 ص.32.

السنة[1]، وقد اشتهر معظم العلماء في الحديث والفقه وأصوله والعربية والمنطق[2] والميراث والحساب وأشار لذلك الرحالة شو بقوله أنه ليس لهم من كتب في عهدهم إلا القرآن "علوم الدين" ويجهلون علوم الرياضيات والطب كما لا يولون أي اهتمام لأي لون من الدراسات العلمية والرياضية[3]، كما تستشف هذا من خلال حديث الرحالة ابن حمادوش عن شيخه ابن الحاج حيث قال: " ... قرأت عليه المختصر الخليلي أربع مرات، والألفية أكثر من ذلك والتسهيل مرتين وجل المغني وقواعد الإعراب بشرحها للأزهري بلفظي وجميع الرسالة والربع أو نحوه من مختصر بن الحاجب الفرعي، وصحيح البخاري مرتين وصحيح مسلم مرة ... وبعض كتاب الإحياء للغزالي وغير ذلك ..."[4]. ومن أهم الكتب التي تدرس في تلك الفترة ألفية العراقي (في المصطلح)، جملة من كتب السير: صحيح البخاري، مختصر خليل في الفقه، تحفة ابن عاصم في الأحكام، شفاء القاضي عياض، عقائد السنوسي، لامية ابن مالك في الصرف ومختصر ابن حاجب، ونظم ابن إسحاق التلمساني في الفرائض، والسلم المرونق لعبد الرحمان بن محمد الصغير ....الخ[5]. غير إنّ المستوى العلمي تميز بالضعف لقلة العثور على المؤلفات في الكيمياء والصيدلة والهندسة إذا ما استثنينا ابن حمادوش الذي اهتم بالطب والمنهج التجريبي[6]. كما تحول إهتمام بعض العلماء ا بالعالم

---

1 - يحي الهويدي، تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية، مكتبة النهضة، 1966، ج.1، ص-ص.290-291.

2 - أبي القلم محمد الحفناوي، تعريف رجال الخلف بالسلف، مطبعة بيرفونتانة، الجزائر، ص.147. ونور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر، ص-ص 216-219. ومحمد بيرم الخامس، صور الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، ج.4، ط 1، ص19.

3 - Shaw, Voyage Dans Plusieurs Provinces De La Barbarier Et Du Levant, Traduit Par Jean Neaulme .T 1.P.399.

4 - عبد الرزاق بن حماد وش، لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، تقديم أبو القاسم سعد الله، م.و .ط، 1983، ص.42.

5 - مولاي بلحمسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ش. و.ط، 1979، ص.33. ويرى بلحميسي أن هذه الكتب تمثل معظم جوانب الثقافة الإسلامية وقسط كبير من العلوم النقلية والعقلية، من منطق وحساب ونحو وعرض وصرف وتوحيد وحديث وتفسير وفقه.

6 - محمد بن عبد الكريم، حمدان خوجة ومذكراته، ص.104.

الخارجي خاصة بعد استرجاع وهران سنة 1205هـ أمثال ابن سحنون واهتمامه بالثورة الفرنسية على مصر والشام، وبا الحركة الوهابية[1] كما دعى كل من ابن العنابي وحمدان خوجة إلى الإصلاح الاجتماعي والحربي للجيوش الإسلامية، آخذين في ذلك على الدول الغربية[2].

4- حالة العلم والعلماء

لقد أسهم أوائل العلماء في تعزيز مكانتهم داخل السلطة السياسية ومن المواقف الدالة على ذلك قول الإمام مالك بن أنس: "حق على كل مسلم أو رجل جعل الله في صدره شيئا من العلم والفقه أن يدخل إلى دي سلطان يأمره بالخير وينهاه في الشريعة، حتى يتبين دخول العالم على غيره لأن العالم إنما يدخل على السلطان لذلك"[3]. وبعد العرض السابق الذي أشرت فيه إلى أهم العلوم وتطورها، أنتقل إلى الحديث عن مكانة هؤلاء العلماء وواقعهم فالعلماء في الجزائر لم يكونوا يشكون من ظلم الحكام فقط بل كانوا يشكون من ظلم الناس أيضا فقد اشتهر الجزائريون منذ القديم بأنهم لا يقيمون وزنا لعلمائهم ولا يعترفون لهم بحرمة أو عهد، وقد تكون هذه الظاهرة هي التي أجبرت العديد منهم على الهجرة ونقل عن محمد السنوسي أنه قال "إن أهل المغرب...أقل عناية بمشائخهم"[4]. وأوافق الدكتور سعد الله فيما ذهب إليه عن استمرار هذه الظاهرة حتى الآن "فالجزائري اليوم يحترم الموظف في الدولة أكثر من احترامه لأي مثقف مستقل مهما بلغت قيمته"[5]. كما كانت الجزائر تعاني من ركود ثقافي خاصة طيلة القرنين الأولين من الحكم العثماني

---

1 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج.1، ص-ص.20-21

2 - محمد بن عبد الكريم ,المصدر السابق، ص.104.

3 -أبو الفصل عياض بن موسى بن عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك، تحقيق أحمد بكير محمود، دار المكتبة الحياة،بيروت 1986، ج.1، ص.207.

4 - أحمد بن مريم التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية (1362هـ/1908م)، ص.7

5 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج.1، ص-ص.59-60.

للبلاد[1]، إذ يؤكد ذلك قول أبي راس الناصري قائلا ".... إذ في زمن عطلت فيه مشاهر العلم ومعاصرة وسدت مصادرة وموارده وخلت ديارة ومواسمه وعفت أطلاله ومعالمه لاسيما في التاريخ والأدب وأخبار الأوائل والنسب قد طرحت في زوايا الهجران ونسجت عليها عناكب النسيان وأشرقت شمسها على الأفول واستوطن فحولها زوايا الخمول يتلهفون عن أنداس العلم والفضائل ويتأسفون من انعكاس أحوال الأذكياء (كذا) والأفاضل... "[2]. كما علق على ذلك وليام شالر قائلا " إنه كل رجل عاقل يستطيع قراءة القرآن يمكنه أن يشغل منصب القاضي عن جدارة"[3]، حتى أن ابن ميمون يضيف أنه لم يكن بين ظهرانيهم عالم يحل مشكلتها، أو أديب يفك عويصها خاصة في المناطق النائية الصحراوية، وأصدق دليل على ذلك ما قاله أبو سالم العياشي: "... وكان دخولنا مدينة ورقلة (في ورجلان) عشية الخميس وأقمنا يوم الجمعة، وصلينا بجامع المالكية وخطب الخطيب بخطبة أكثر فيها اللحن والخطأ والتحريف والتقديم والتأخير مع إدغام أكثر حروفها، حتى كأنها همهمة، فكنت أتخوف أن لا تصح لنا معه الجمعة إن كانت صلاته كخطبته فنجا الله فأحسن في قراءة الفاتحة..."[4]. كما عرف عن بعض العلماء عدم الدقة في العلم وتهاون في أمور الدين طلبا وتزلفا للحكام كابن نعمون، الذي عرف عنه الجهل، ومع ذلك كان يدرس الرسالة وخليل، كذلك المفتي محمد النيار إذا سئل عن مسألة أجاب حسب رغبة السائل، وقد يجيب على مؤلفين محدثين لم يطلع على أثارهم[5]، وقد عد الفكون في فصل مدعي الولاية 17شيخا منهم أبي عبد الله محمد المسبح رحمه الله، وقد

---

1 - أحمد الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق المهدي بوعبدلي، مطبعة البعث 1973، ص-ص.127-135.

2 - أبو راس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار رقم.2، نقلا عن صالح فركوس بن سلمى، بايلك الغرب الجزائري في عهد الباي محمد الكبير(1796-1797)، تحت إشراف العيد مسعود، جامعة قسنطينة، 1997.

3 - وليام شالر، مذكرات، تعريب وتعليق إسماعيل العربي، ش.و.ط، ص.49.

4 - محمد ابن ميمون جزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم، ش .و.ط، ط.1، 1972، ص.49.

5 - devoulx albert, " les défice religieux de l' ancien Alger, R.A, 1867, p.389.

تولى نيابة القضاء أبو عبد الله محمد بن الفقيه وكان هذا الأخير كما وصفه الفقون "عاميَ القلم والفكر لا يعرف ما يصلح به وضوءه وصلاته، فضلا عما وراء ذلك، غير أنه اتخذ كتب الوثيقة صناعة على ما فيها من الفساد والإفساد علما ورسما وضعف الدين (هو الذي) أوجب إنزاله تلك المنزلة"[1]. ومن شاكلة هؤلاء كذلك سيدي أحمد العطار ابن أبي الحسن علي بن أبي الفضل وقد "كان هذا الأخير ضعيف العقل وعلى ثقة من علمه ويبالغ فيه، مع أنه لا معرفة له إلا بما يحفظه أو ينقله مسطرا، قد كان يأوي إليه سفهاء الناس فيسامرهم ويخاطبهم، وقد ذكر أن الوثيقة إذا كان شاهدها هو لوحده فهي لا تنسب إلاّ الباطل والافتراء"[2] ومن النماذج الحية كذلك عن هؤلاء: قصة عبد الله بن غرارة، ويلقب ابن ثلجون "وكان لسيدي عبد الله هذا معرفة بالعزائم والتخديم ذا حكمة ظاهرة فيه"[3] وله بعض الحوادث تدل على ذلك منها قضية البربري الذي كان يسكنه جني وقد أتى به أفراد عائلته للشيخ، مقدمين له ثور أسود، إذا تمكن من شفائه فما كان من الشيخ إلا أن أمر بوضع المصاب أمامه، وتمكن من إحضار الجني الذي كان يسكنه وأمره بالخروج من المصاب أو يعاقبه بحرقه، ولكن قبل ذلك أمره بأن يخبره عن مكان كتابه الذي ضاعَ منه[4]، وما كان من الجني إلاّ أن أخبره أنه سرق من ابنته ووزع على بعض طلبته، وأشار لهم من بين الحاضرين، فما كان عليهم إلاّ أن أحضروا الكتاب معتذرين للشيخ على ما بدر منهم، وبعدها عاهده الجني على مفارقة المريض، وتمكن فعلا المريض بعدها من الاستيقاظ، وكأن شيء لم يكن، ففرح أهله به وسلموا الثور للشيخ

---

1 - عبد الكريم الفقون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تحقيق أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، ط.1، 1987، لبنان، ص.90.

2 - عبد الكريم الفقون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تحقيق أبو القاسم سعد الله، ص-ص.91-92.

3 - عبد الكريم الفقون، المصدر نفسه، ص.70.

4 - وذكر عبد الكريم الفقون " .. وكان للفقيه المذكور كتاب فيه من الأسماء والطلاسم ما يستعين به على ما هو بصدده وعزائم به وخواتم وغير ذلك...." المصدر نفسه، ص.70.

وغادروا إلى وطنهم.[1] كما أن دراستنا لرحلة الورتلاني تضعنا أمام صورة واقعية لعلماء اعتقدوا وآمنوا بالأولياء دون إنكار فالمؤلف نفسه لم يترك قبر ولي إلا وصل إليه بهدف التبرك[2] وتراجم بعض العلماء التي وردت عن كل من الفقون وابن مريم تؤكد أن معظم علماء الفترة العثمانية كانوا إلى جانب مشاركتهم في المعقول والمنقول أصحاب كرامات وأولياء[3]. فالعلماء في هذا العهد حسب ما ذكر الدكتور سعد الله، لم يتمكنوا من عقد المجالس العلمية والمناظرات، كما كان يفعل قبلهم أمراء بني زيان وبني حفص وغيرهم وهذه المجالس والمناظرات هي التي كانت تشحذ المواهب ويتنافس فيها العلماء وتبرز القضايا الفكرية والخلافات المذهبية. كما أن حرمانهم من الجامعة[4]، جعل معظم علمائها يتكون خارج بلادهم الحكام، لأن أغلب الحكام يكتفون بالقليل فلا أحد يطالبهم بالاجتهاد[5]، كما أن التنافس على الوظائف أدّى إلى هبوط أخلاق العلماء وشاعت بينهم الرشوة والطمع والجهل والتساهل في أمور الدين والتعدي على الأوقاف وهذا طبعا ليس من أخلاق العلماء في شيء[6]، ومن أشهر الأمثلة تنافس أسرة الفقون وأسرة ابن عبد المؤمن في قسنطينة وانتهى الأمر بغلبة أسرة الفقون بمعاونة العثمانيين على الثانية ومنحها مشيخة الإسلام[7]. وهكذا

---

1 – عبد الكريم الفقون، المصدر نفسه، ص-ص.70-71.

2 – حسين بن محمد الورتلاني، الرحلة الورتلانية، تحقيق محمد أبي شنب، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ص-ص.12-27.

3 – عبد الكريم الفقون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تقديم وتحقيق أبو القاسم سعد الله، ص-ص.69-118. وكتاب يحي الهويدي، تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية، ج.1، النهضة المصرية، 1966، ص.292.

4 – رغم أن الرحالة الفرنسي فانتور دي بارادي قد تحدث في القرن 12هـ (18م) عن وجود 3 جامعات لتعليم المذهب المالكي في مدينة الجزائر وحدها.

Venture de paradis, Alger aux XIII, p.158.

5 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج.1، ص.18وص.320.

6 – أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ج.1، ص.405، كذلك رسالة فاطمة الزهراء قشي، قسنطينة المدينة والمجتمع، رسالة دكتوراه، معهد العلوم الاجتماعية، ص.55.

7 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج.1، ص.403.

يمكننا القول أن العلم في هذه الفترة كان مسخرا لخدمة المصالح الدنيوية بغرض الوصول للوظيفة والجاه وليس لخدمة الدين والشعب[1].

إلى جانب هؤلاء كانت فئة أخرى من بعض العلماء، الذين لم يكونوا راضين عن هذه الوضعية منهم يحي الأوراسي الذي ثار في منطقة الأوراس، وآخرون التجأوا إلى التصوف والبعض فر من الجزائر نهائيا والبعض الآخر التجأ للتجارة[2]، فهذه البلاد أبدا لم تخلى من العلماء الأجلاء فعبد الرحمان الجامعي يقول في رحلته المسماة "التاج المشرق الجامع ليواقيت المغرب والمشرق": "... وأما مدينة الجزائر فأول بلد لقيت بها مثل من فارقته من أدباء بلدي، وبها تذكرت بعض ما كان نسيه خلدي، الاجتماعي بالأديب الماهر، الدال وجوده على صحة القول بوجود الجوهر الفرد في سائر الجواهر، أديب العلماء، وعالم الأدباء، محيي طريقة لسان الدين ابن الخطيب الإمام الخطيب، ذي القدر العلي، ابن عبد الله محمد بن محمد المعروف بـ"ابن علي"...رأيته أول ما لقيته وأنا لا أعرف مسماه فرأيت صورة تدل على حقيقة الأدب ومعناه"[3]

أيضا من النماذج الحية على هؤلاء العلماء. الشيخ الورتلاني الذي يعد من أشهر العلماء الفقهاء وقد كان هذا الأخير ينتقل باستمرار بين القبائل والأمصار ويدرس ويبحث ويؤلف، ويعلق على مؤلفات وشرح سابقيه في الفقه والتوحيد والتصوف والنحو والبلاغة وغيرها، وقد ألف العديد من المؤلفات ضاعت كلها و لم يصل إلينا إلا الكتاب "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار" والمعروف باسم الرحلة الورتلانية[4]، وقد قام هذا الأخير بدور هام في التوجيه وتهدئة الأوضاع بحسم الخلافات الواقعة في المجتمع، وزيارته لبلاد القبائل بهدف تهدئة الأوضاع الاجتماعية تدل على ذلك فيقول: "فانفصلنا من مقام بنية

---

1 - أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ج.1، ص.407.

2 - أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ج.1، ص-ص .408-409.

3 - محمد ابن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تحقيق محمد بن عبد الكريم، ش.و.ط ،ص-ص. 54-55.

4 - محمد بن حسين الورتلاني، الرحلة الورتلانية، تحقيق أحمد بن أبي شنب، ص-ص.603-655

الزيارة وقضاء الحوائج لبعض المسلمين من إصلاح ذات البين إذ القتال بين المسلمين في وطننا كثير، والفتنة بينهم قل أن ترتفع، والهرج بينهم قوي.."[1]. كما تجدر الإشارة إلى أن أهل ميزاب[2]، قد ظلوا محافظين على مذهبهم الإباضي إذ كان تجارهم وعمالهم قد توجهوا للبحث عن الرزق والعيش في مختلف المدن[3]، فعلمائها قد أوكلت إليهم مهمة نشر العلم والتدريس في المعاهد العلمية والمساجد العامرة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإصلاح ذات البين، ومنه فمهام الإمامة والتدريس والإفتاء والقضاء والتأليف والقيادة السياسية والدينية والاجتماعية، تنحصر في أعضاء العزابة[4]. كما أن بلاد ميزاب هي الاخرى، لم تسلم من وجود علماء بها ذوي المستوى الضعيف، فقد وقع الاختيار أحيانا على من هم قليلي العلم اضطرارا لعدم وجود دوي قدر كبير من العلم، وكثيرا ما وقع أن انخرط في هيئة العزاب من يحسن فقط القيام ببعض الوظائف الدينية من الآذان والإمامة والصلاة[5]. هذه حالة العلم والعلماء في المدينة، فكيف هي حالة العلم والعلماء في الريف؟ لقد ظل أبناء المجتمع الريفي الجزائري عامة يتلقون قدرا من العلم في الزوايا التي كان يديرها المرابطون وشيوخ الطرق الصوفية[6]. وقد كان ابن حمادوش يحط من شأن العلماء في الباديه والريف

---

1 – محمد بن حسين الورتلاني، المصدر نفسه، ص-ص.7-8 وقد علق أحمد الراشيدي بأن المجتمع ينظر لهذه الفئة الواعية من العلماء نظرة احترام وتقديس، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق المهدي البوعبدلي، مطبعة البعث، قسنطينة، مارس 1973، ص.234.

2 – ويذكر حسن الوزان أن ميزاب كانت تضم 6 قصور هي "غرداية، بونورة، بنو يزقن، مليكة، سيدي السعيد"، وصف إفريقيا، ص. 437.

3 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج.1، ص.181.

4 – كما سبقت الإشارة في الفصل الأول، مشيخة العزابة هي السلطة الحاكمة في البلاد، وقد تنال غالبا بانتخاب الأمة.

5 – حمو محمد عيسى، نبذة عن حياة الميزابيين الدينية والسياسية والعلمية، 1962، ج.1، ص.63.

6 – حمدان خوجة، المرآة، تقديم وتعريب محمد العربي الزبيري، ش.و.ط، ط.2، ص-ص.54 -57.

ويعتبرهم أقل درجة من زملائهم في المدينة فيقول "إن علماء البادية ... إن علمهم أقل من دعوتهم وإنهم يدعون الوصول إلى قمة العلم فإذا جاؤوا الحاضرة لا يحسنون القراءة مع علمائها مبتدئين..."[1].

وأخيرا وليس آخرا، فمشاعر الترفع هذه كانت خاصة في كل من قسنطينة وتلمسان، لكن هذا الشعور قد اختلف في العاصمة ومعسكر لأنهما مفتوحتان سواء من المغرب أو تونس، فلهذا لم يتطور فيها هذا الشعور بين علماء الريف والمدينة[2]. أمّا الخط البياني للثقافة في الجزائر وحسب ما أورده الدكتور سعد الله فهو يكون حسب عدد العلماء وعدد التآليف في كل فترة في حالة اطراد وصعود كالآتي[3]:

القرن	وضعية العلماء	الأسباب
10هـ/ 16م	هجرة كبيرة للعلماء	نزاع سياسي كبير
11هـ/17م	توافد العلماء بشكل كبير على الجزائر ومساهتم في كثرة التآليف ووفرة الكتب	استقرار الأوضاع السياسية
12هـ/ 18م	شهدت هذه الفترة حركة قوية في صفوف العلماء فزادت العناية بالتآليف وقد ساهم في هذه الحركة بعض البايات أمثال صالح باي والحاج محمد الكبير.	استقرار الأوضاع وتشجيع التعليم والعناية بالأوقاف والاهتمام بالعلماء

1 – ابن حمادوش، لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، تحقيق أبو القاسم سعد الله، 1983، ص.32.

2 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج.1، ص.399.

3 – أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ج.1، ص.19.

ثانيا- كيفية ممارسة العلماء لسلطتهم

1- الإطار الوظيفي:

لقد كان العلماء يعيشون في دائرة اجتماعية ضيقة، فهم يعتبرون أهل حضر يسكنون المدن، ويفكرون في المادة، ويتعلقون بالمصالح التي تدر عليهم المال والجاه[1]، وبذلك شغلوا عدة مناصب إدارية وقضائية وتعليمية فكان منهم القضاة، والمدرسون والموثقون والمحتسبون والخوجات وبالتالي جمعوا بين الوظائف الأساسية والثانوية وتعددت مداخلهم المالية[2].

1-1- الإفتاء:

لم يكن الإفتاء وظيفة رسمية قبل العثمانيين، بل كان العلماء يستشارون في المسائل الفقهية كعلماء وشيوخ ليس إلاّ، وهذا ما أكسبهم نفوذا واسعا داخل مجتمعاتهم[3] والفتوى هي إخبار عن حكم شرعي لا على سبيل الإلزام[4] يحظى صاحبها بأهمية بالغة بوصفه قائما مقام الرسول في تبليغ أحكام الله فنجد المستفتي ملتزما بتطبيق تلك الأحكام عن قناعة شخصية ونظرا لخطورة هذا المنصب فقد كان على أولي الأمر رد الفتوى إلى من هم أهل لها[5]، ومن خلال هذا يمكننا القول إن سلطة المفتي هي سلطة ولاء وليست سلطة خضوع، فالفتوى: هدفها بسط سلطة الشريعة على المجتمع أي بسط السلطة العلمية للفقيه، وقد تكون وفق ممارسة مجتمعه فلا يوجد لها مثيل، يطلق عليها (النوازل)[6]، ومن هذه الآثار نوازل المازوني "الدرر

---

1 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص.405.

2 -Stambouli Fredj, Et Zghal(A)," La Vie Urbaine Dans Le Maghreb Précolonial",Ville Et Société Au Maghreb, Aix EN PROVENCE ,GRESM1973, In A.A.N, N11, 1972, p.211.

3 - علي أوميل، السلطة الثقافية والسياسية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط.1، 1969، ص.24.

4 - جمال الدين القاسمي، الفتوى في الإسلام، تحقيق محمد عبد الحكيم القاضي، إشراف المكتب السلفي لتحقيق التراث، البليدة، الجزائر، ص-ص. 46-48.

5 - ابن خلدون، المقدمة، ص.196.

6 - علي أوميل، المرجع السابق، ص.24.

المكنونة في نوازل مازونة" وفتاوي الونشريسي التي سمّاها "موسوعة المعيار" وكان المذهب الذي يفتي به هؤلاء هو المذهب المالكي[1] الذي يتبعه جميع السكان باستثناء أتباع المذهب الإباضي، فقد كان هؤلاء يتمتعون باستقلال تام عن حكومة الجزائر والامتيازات التي يتمتعون بها تضمنها معاهدة مكتوبه وقعتها مع حكومة الإيالة، وهم لا يعترفون في الشؤون المدنية إلا بسلطة الأمين الميزابي[2]، أما سلطتهم الروحية فهي بيد (نظام العزابة) الذي يتولى السلطة الفعلية خاصة في الأمور الشرعية دون التعرض لذوي السلطة والحكم من الأمراء وغيرهم[3]. وبمجيء العثمانيين إلى الجزائر جعل هؤلاء الإفتاء وظيفة رسمية على المذهبين الحنفي والمالكي واعتبر الأول مذهبا رسميا باعتبارهم أحناف ويعين هؤلاء من طرف السلاطين مع الباشا لمدة سنتين[4]، وقد كان للمفتي الحنفي مكانة كبيرة تشبه إلى حد ما وزير الشؤون الدينية والعدل(شيخ الإسلام)[5] ويضيف بيسونال أن هذا الأخير ليس لديه أية سلطة داخل الدولة سوى المشاكل المتعلقة بالقانون، وهو يشتري هذا المنصب بطريقة غير مباشرة من القسنطنطنية ويأتي للجزائر ليزداد ثراءا[6]. إلا أنه بعد ذلك أصبح المفتي الحنفي يعين من أبناء العثمانيين المولودين بالجزائر مثله مثل الباشا نفسه الذي أصبح يعين من طرف الوجاق[7]، أما المفتي المالكي فقد كان يعين من طرف باشوات الجزائر[8]، وكان يشترط في هذا الأخير المكانة والشرف والتعمق في مسائل الفقه ومعرفة قوية للقرآن وعلومه وعلوم الحديث

---

1 - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج.1، ص.392.

2 - وليام شالر، مذكرات، تحقي إسماعيل لعربي، ص.111.

3 - إبراهيم طلاي، ميزاب بلد كفاح، دار البعث، 1970، ص-ص.39-48.

4 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص.392.

5-Charles André Julien, Histoire De L'Algérie Contemporaine, p.5.

6 - Peyssonnel Et Desfontaine,Voyage Dans La Régence De Tunis Et d'Alger, Paris 1858, p.239.

7 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص.392.

8 - خليفة حماش، العلاقات بين إيالة الجزائر والباب العالي من (1798 -1830م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، تحت إشراف الدكتور ليل عبد الحميد عبد الغالل، ص.76.

9 - Venture De Paradis, Alger Au XIII Siècle, P-P.11-12.

والقياس[1] كما يتولى وظائف أخرى كالتدريس ومنصب وكيل الأوقاف وكذا الإمامة والخطابة وكان لكل مدينة مفتيها المالكي والحنفي ويتوليان نفس الوظيفة ويخضعان لنفس الظروف[2] غير أن الحكام العثمانيين كانوا يتقربون دوما من المفتين الحنفيين وذلك لأنه لو وقع نزاع في قضية ما بين المفتين المالكية والأحناف رجح الحكام غالبا رأي الأحناف. فمعظم الوثائق تتحدث عن الباشوات الذين كانوا يمدون أيديهم إلى المفتي الحنفي لتقبيلها بينما لا يفعلون ذلك مع المفتي المالكي[3].

1-2- القضاء:

يعد القضاء من أهم وأخطر المهام في الدولة، ونظرا لأهميته الاجتماعية يعتبر ركن أساسي في دعم واستقرار أي كيان سياسي[4] والشروط الأساسية المعتبرة فيمن يتولى القضاء هي الإسلام، العقل، الذكورة الحرية، البلوغ، سلامة الحواس، السمع، والبصر، واللسان، والعلم بالأحكام الشرعية[5] في حين تنازل الفقهاء المتأخرين إلى أفضلية أن يكون القاضي مجتهدا، ولقد عرف القضاء في الجزائر كذلك ازدواجية بين القاضي الحنفي والقاضي المالكي، وأهم ما امتاز به هو ارتباطه بالحكم وبساطته وسرعته في إصدار الحكم بين مختلف الفئات الاجتماعية خاصة في عنصر(الأرض) التي كانت تشكل (مركز ثقل) في جميع العلاقات الاجتماعية والدليل على ذلك أن جميع عقود الاستفادة من الأرض في العهد العثماني كانت تحرر أمام

---

1 - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج.1، ص-ص.391-392.

2-Charles André Julien, Histoire De L' Algérie Contemporaine, P-P 64-65.

3 - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص.404.

4 - ابن خلدون، المقدمة، ص-ص.129-131.

5 - أبي الحسن علي بن محمد بن حسن البصري البغدادي الماوردي، الأحكام السلطانية الولايات الدينية، بيروت، دار الكتب العلمية1977، ص.66.

القضاة المفتين وسيوخ الزوايا و كل ذلك يتم بحضور الجماعة ، كما يحكم بين الناس في خصومتهم وعقودهم ومعاملاتهم وسلطته تنفيذية بالدرجة الأولى[2]، فهو الذي يوجه الوظائف الدينية ويثبت مشائخ الحرف ويشرف على الأوقاف ويعين المتولين عليها، أيضا توزيع الأعطيات على الذين يقومون بمهام الخطابة والإمامة والآذان والإقامة والقراءة والوعظ والتدريس[3] وأهم ما يجب الإشارة إليه كذلك أن"النظام القضائي في الجزائر كان يخضع لأحكام الشريعة الإسلامية"[4]، وهو يأتي بعد الإفتاء من حيث الأهمية، وكان يساعد كل قاضي 12ضابط عدل ويتدرج هذا التنظيم في المقاطعات الأخرى في شكل هيئة قضائية، موزعة على مختلف المدن والقرى، أما الاستئناف فكان يتم أمام المفتي العام[5] وعادة ما يكون أمام (المجلس الشريف) أو (المجلس الكبير) ويعد أعلى سلطة قضائية في الإيالة وتضم المفتي والقاضي الحنفيين والمالكيين وتعقد اجتماعات المجلس كل يوم خميس من كل أسبوع في الجامع الكبير الخاص بالمذهب المالكي بمدينة الجزائر، وكان من حق كل شخص في أي مدينة إذا أحس بظلم القاضي له أن يرفعها لدى هذا المجلس ليعيد فيها النظر على ضوء الأحكام الشرعية[6]، أما إذا اتهم هذا القاضي بتعاطي الرشوة مثلا فالقضايا تحال مباشرة للداي وفي حالة غيابه وانشغاله ترفع إلى أحد الكتاب المأمين في القصر ويقومون بحل الخلافات البسيطة مباشرة[7]، ويؤكد شالر "أن الانتشار الأفقي والعمودي للجهاز القضائي وتعميم الهيكلة الإدارية، للتنظيم

1- Merad Boudia, La Formation Social Algérienne Précoloniale, Essai D'analyse Théorique Priface Mohamed Lakhdar, Achevé D'imprimé Sur Les Presses De L'office Des Publication, Hydra, Alger, p.113.

2 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص.400.

3 - خالد زيادة، " السلطة المدنية من خلال وثائق المحكمة الشرعية"، المجلة التاريخية المغربية، العدد 39-40، ص-ص.510-511.

4-Charles André Julien, Histoire De L' Algérie Contemporaine, p.5.

5 - وليام شالر، مذكرات، تحقيق إسماعيل العربي، ص-ص.46-48.

6 - venture de paradis, Alger au XIII siècle, p.254.

7 - show,Voyage Dans Plusieurs Provinces De La Barbarie Et Du Lenant,Traduit Par Jean Neaulme, p.409.

على الأقاليم والمدن جعله أكثر الأجهزة استعانا بطبقة العلماء والمثقفين بما كان يوفره من مناصب شغل كما سهل مهمة الفصل في القضايا وقرب جهاز العدالة أكثر إلى المواطنين"[1] ومنه يمكننا القول أن الإيالة كانت مغطاة بشبكة قضائية واسعة بحيث كان لكل مدينة محكمة تساعد السكان على حل مشاكلهم. إلا أنه وبمرور الزمن وخاصة أواخر العهد العثماني أصبح منصب القضاء لا يحتاج لا للمستوى العلمي العالي ولا حتى للنزاهة والشرف[2]، كما لوحظ أن القاضي والمفتي، قد فقدا منصبيهما كمستشارين للداي بعد استبداد هؤلاء بالحكم فأصبحوا لا يعينون لهذين المنصبين سوى من يرونه مواليا لهم في سياستهم من العلماء[3]، فأصبح المفتي والقاضي عبارة عن موظف خاضع للحكومة الجزائرية ولبست لهم أي سلطة سياسية[4].

علاوة على هذا فقد أصبح هذان المنصبان مدعاة للتنافس بين العلماء الذين يبحثون عن الجاه والنفوذ بدل الكفاءة العلمية والنزاهة الأخلاقية[5]، ومن أفضل النماذج على ذلك ما ذكره الورتلاني عما هو حاصل في مدينة بسكرة بقوله "... إن القاضي والمفتي فيها لا يتولى إلا بإعطاء لهم وارتشاء لديهم، وكذا في غيرها من عمالة الجزائر...."[6].

---

1 – وليام شالر، مذكرات، تحقيق إسماعيل العربي، ص–ص.47-49.

2 – وليام شالر، المصدر نفسه، ص.46. و :

-venture de paradis, Alger au XIII siècle, p-p.11-12

3 – خليفة حماش، العلاقة بين الجزائر والباب العالي، رسالة ماجستير، 1988، ص.76.

4 – وليام شالر، مذكرات، تحقيق إسماعيل العربي، ص.11.

5 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص.401.

6 – حسن بن محمد الورتلاني، الرحلة الورتلانية، تحقيق أبي شنب، ص–ص.110-111.

1-3- وظيفة نقابة الأشراف[1]:

وقد كان هذا الأخير يحظر إلى جانب علماء المذهبين اجتماع الديوان الذي يعقد عند تعيين وال جديد ويشارك في تقديم البيعة له[2]، وتعد عائلتي المرتضى والزهار من أشهر العائلات التي توارثت نقابة الاشراف في الجزائر خلال العهد العثماني[3]، وقد كان احمد شريف الزهار المولود عام(1196هـ/1781م)صاحب المذكرات التاريخية التي تعد من أنفس المصادر التاريخية للعهد العثماني في المرحلة الأخيرة آخر من تولى هذه الوظيفة[4]، فقد خص العثمانيون الأشراف بمكانة مرموقة في مجتمعهم، وتبرع محمد بكطاش داي الجزائر في 1709م بأمواله الخاصة من أجل بناء زاوية خاصة بهم[5]، وكان هؤلاء مندمجين في جميع الشرائح الاجتماعية فنجد منهم العلماء والجنود والتجار الأغنياء والفقراء والشحاذين[6]، أما من حيث المظهر فقد كانوا يمتازون عن غيرهم من المسلمين باحتكار اللون الأخضر وخاصة العمامة الخضراء التي لا يخلعها

---

1 - ويقول آلان رومي أن عند العرب هناك ثلاث مناصب للشرف، شريف الحرب، شريف الدين، وشريف بالأصل، أما ما يقصده العرب بالدرجة الأولى أنه يطلق على كل مسلم ينحدر من نسل فاطمة الزهراء بنت الرسول-صلة الله عليه وسلم- زوجة علي بن أبي طالب، وهذا ما يميز صاحبه ويجعله من بين الشرفاء الذين يكنون بسيدي، ودرجة الاحترام لهم تختلف حسب المكان المتواجدون فيه.

Alin Romy," L'état Turque Et Les Pouraus Religieuse En Algérie De La Fin De XIII Siècle", In R.A, 1862, p.203.

2 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص.238. وحمدان خوجة، المرآة، ص.132.

3 - أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ج1، ص.239.

4 - أحمد شريف الزهار، مذكرات، تحقيق إسماعيل العربي. وكمثال على ذلك، راجع تقرير علي باشا بمناسبة تعيينه عام 1132هـ/1805م إلى السلطان محمود الثاني عبد الجليل التميمي، بحوث ووثائق تاريخية، ص ص.259-260.

Alin Romy," L'état Turque Et Les Pouraus Religieuse En Algérie De La Fin De XIII Siècle", In R.A, 1862, p.204.

6 - D'Honsson Mouradjea Tableau Général De L'empire Automan , Paris,Imprimerie Des Monsieurs ,T2,1790. p.275.

الشريف عن رأسه أبدا[1]، ولهذا فقد أمر الحاج على باشا (1224هـ-1230هـ) (1809م-1815م) بإحراق عدد كبير من اليهود بسبب لباسهم اللون الأخضر[2].

وحرصا على نقاء شجرة الأشراف وتنظيم شؤونهم أحدث السلطان با يزيد الثاني (886هـ-918هـ) (1471م-1513م) وظيفة نقيب الأشراف وأعطى لصاحبها حق تنظيم شؤون أشراف إستانبول وتعيين من يقوم عنه بنفس المهمة في باقي الولايات العثمانية[3]. وقد كان النقيب في الجزائر يختارمن طرف أعيان البلد ويعين مدى الحياة، ويختار عادة من أعيان الأسر الكريمة ذات النفوذ القوي أو من عائلات المرابطين[4] ويذكر حمدان أن هذا الأخير -نقيب الأشراف- "أنه يجمع في بيته كلما وقعت حادثة شيخ البلد وسائر الأمناء للبحث عن الحلول الملائمة..."[5].

1-4- أمير ركب الحج:

ومن أشهر من مارسوا وظيفة ركب الحج عبد الكريم الفقون وقد ترك لنا عيسى الثعالبي وأبو سالم العياشي وصفا حيا لاستقبال بعض مسئولي هذه البلدان للفكون كأمير لركب الحج وموقفه هو من ذلك[6]، وهذه الوظيفة إضافة إلى المكانة والجاه التي تمنحه لصاحبها فهي تعود عليه كذلك بالأموال الطائلة، وقد ذكرت كتب التراجم عدة أسماء لمن تولوا هذه الإمارة وقد ذكر الحفناوي في كتابه "رجال الخلف برجال السلف" عدة أسماء منهم العلامة أبو زكريا يحي الشاوي الجزائري، كان رحمه الله فقيها متضلعا بفنيون

---

1 - D'Honsson Mouradjea, Op.cit, p.275.

2 - أحمد شريف الزهار، مذكرات، تحقيق إسماعيل العربي، ص.111.

3 - ليلى عبد اللطيف، الإدارة في مصر في العهد العثماني، رسالةدكتوراه، كلية الآداب جامعة عين شمس، 1985، ص.11.

4 - محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، ص.22.

5 - حمدان خوجة، المرآة، تقديم وتعريب محمد العربي الزبيري، ص.99.

6 - عبد الكريم لفقون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تقديم وتحقيق أبو القاسم سعد الله، ص.12.

العربية وغيرها، أخذ عن الشيخ التواتي النحو، ثم رحل إلى مصر والحجاز حتى صار له صيت بين المغاربة، إلى أن توصل إلى أرباب الدولة فتولى قضاء المالكية وترقت به الحال إلى أن تولى إمارة الحج المغربي وقد حج بالركب مرتين[1].

1-5- إدارة الأوقاف:

وقد كان القضاة نوابا عن الحكام في إدارة الأوقاف وحماية تلك الأملاك وضمان توجيه عوائدها بما يخدم مصالح المسلمين في جميع أنحاء الدولة[2]، وما تجدر الإشارة إليه أن المذهب المالكي كان متشددا في قبول الهبات الخاصة في الأوقاف لذلك نجد معظم الهبات تتم وفق للمذهب الحنفي لأن شروطه غير متشددة[3]، وقد علق على ذلك الأستاذ خليفة حماش بقوله " إن هذا ما يفسر كثرة الأوقاف في الإيالة بصفة خاصة والدولة العثمانية بطبقة عامة.."[4].

1-6- الإمامة:

وتعد الإمامة من الوظائف الرئيسية في المسجد تليها الخطابة، وقد ارتبطت من حيث مدلولها الديني في بداية عهدها بالإمامة الكبرى "الخلافة" ثم اختصت بالفرع الأخير منه[5] ويمثل القائم بها القائد الروحي لجماعة المؤمنين في أداء صلواتهم[6] ونظرا لأهمية هذه الوظيفة وشرفها فقد كانت مطمعا لكثير من

---

1 - أبو القاسم محمد الحفناوي، رجال الخلف برجال السلف، مطبعة بيير فونتانة، الجزائر، ص.191.

2 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص-ص.225-226. و
venture de paradis, Alger au XIII siècle, p.113.

3 - حمدان خوجة، المرآة، تحقيق وتقديم محمد العربي الزبيري، ص-ص.271-272.

4 - خليفة حماش، العلاقة بين الجزائر والباب العالي، رسالة ماجستير، 1988، ص.81.

5 - ابن خلدون، المقدمة، ص-ص.239-240.

6 - مالك بن أنس، المدونة، ج.1، ص.81. وابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، تحقيق نخبة من العلماء، دار الشريعة، 1989، ج.1، ص-ص.145-148.

المتطوعين[1]، ومن شروطها الإسلام، العقل، البلوغ، الذكورة، العدالة، حفظ القرآن الكريم، سلامة اللفظ من النقص أو اللثغ[2]، أما الكتب التي كان الإمام مطالبا بالاطلاع عليها تتمثل في مصنفات الفقه والحديث خاصة[3]. أمّا عن الإمامة في العهد العثماني فلم تكن هناك منافسة لأن لكل فريق مسجده وحرمته كما أكدت ذلك فاطمة الزهراء قشي في رسالتها عن قسنطينة بقولها: "...فلعبد المؤمن باب الجابية وزاويتهم بها، وللفقون البطحة ولهم الخطابة بجامعها الأعظم أب عن جد، كما كانت لعائلة ابن باديس إمامة مسجد القصبة وخطابتها[4].

ومن خلال هذه الوظائف تمكنت هذه الفئة من العلماء التي يمكننا أن نطلق عليها تسمية علماء إداريون من تشكيل وساطة وحلقة وصل بين السلطة والعامة، ومن ثم أكسبت السلطة الحاكمة الصبغة القانونية والأخلاقية لاستمرارها، وتمكنت بدورها من الحصول على ممتلكات مادية ضخمة عن طريق مختلف الوظائف التي شغلتها[5]، ولكن لم يستطيعوا وهم من السكان المحليين أن يشكلوا قوة محلية تحمسي الأهالي من ظلم الحكام واقتصر هؤلاء، كما أشرنا من قبل على تسويغ تصرفات الحكام وإصدار الفتاوى التي تزيد من فرض هيمنتهم[6].

---

1 – أبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة الفقهاءبإشراف محمد حجي،، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية1981، دار الغرب الإسلامي بيروت، ج .7، ص.475.

2 – أبي الحسن علي بن محمد بن حسن البصري البغدادي الماوردي، الأحكام السلطانية الولايات الدينية، ص-ص.101-102.

3 – يحي الونشريسي، المصدر السابق، ج.11، ص.229.

4 – فاطمة الزهراء قشي، قسنطينة المدينة والمجتمع، رسالة دكتوراه، ص.57.

5 - Gaillisot "R" , « Abdelkader Et La Nationalité Algérienne » , In R.H 1965, N°89, p.343.

6 – خالدة زيادة، "السلطة المدنية من خلال وثائق المحكمة الشرعية"، المجلة التاريخية المغربية، العدد 39-40، ص.511.

2- الاطار الغير وظيفي:

أما ممارسة هؤلاء العلماء لنفوذهم خارج الإطار الوظيفي فقد كان خاصة عن طريق بعض الاسر العلمية، والثراء الذي اكتسبوه لعدم معارضتهم للسلطة الحاكمة[1].

2-1 - الانتماء الأسري:

فقد كان هؤلاء العلماء يعيشون في دائرة اجتماعية ضيقة، وذلك بتوريثهم للمناصب والوظائف لأبنائهم وأقاربهم[2]، منهم المفتي السعيد قدورة، قد أناب عنه ابنه محمدا رغم صغر سنه في الخطابة بالجامع الكبير وبعد وفاته فقد أصبح محمدا هو المفتي الرسمي كما ظلت عائلة ابن العنابي تتوارث الإفتاء والقضاء طوال قرن من الزمن، كذلك هناك شبكة احتكار للوظائف في أسرة واحدة مدة طويلة، فالشيخ ابن الأمين تولى الإفتاء عدة مرات يعزل ثم يعاد، كذلك عائلة ابن جعدون بالإضافة إلى علاقة البنوة والأخوة كانت هناك علاقة المصاهرة فعائلة قدورة كانت تصاهر عائلة المرتضي وكانت فيها نقابة الأشراف، وكانت بين عائلة الزهار وهي من الأشراف وعائلة ابن المبارك بالقليعة وهي (أسرة مرابطية) مصاهرة أيضا، وكذلك بين أسرة المقري وأسرة الونشريسي وابن باديس والفكون...الخ [3].

وبقدر ما كانت هذه المصاهرة مفيدة في إستقرار الأسر وتطورها بقدر ما كان للصراع فيما بينها أثر في إضعاف مكانة الأسر العلمية مثل ما حدث بين أسرة كل من عبد المؤمن وأسرة الفكون حول مشيخة

---

1 - عميراوي احميدة، فواصل من الفكر والتاريخ، دار البعث، 2002، ص.91.

2 - Ben Chaneb," Un Contrat De Mariage Algéroise, Le Début De XIII Siècle" , In A.I.E.O, T.13, 1955, p.100.

3 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص-ص.405-406.

الإسلام في قسنطينة[1]. غيرأنّ المكانة الدينية لهذه الأسر فرضت على الحكام احترامهم والاعتراف بهم كوسطاء[2] فقد بقيت كل أسرة تمارس نشاطها الديني في أحيائها. ومنه يمكننا القول أن انتماء العلماء للأسر العريقة أكسبهم مكانة وهيبة بين الأهالي مكنتهم من الحصول على ثقة الحكام ليكونوا حلقة وصل بينهم وبين الرعية وذلك عن طريق إغرائهم بالهدايا والوظائف التي تدر عليهم الأموال والأملاك الطائلة، حتّى لو لم يكونوا على مستوى علمي رفيع، كمثال على ذلك ما قاله دفلو أنه بعد عزل المفتي عبد الرحمان المرتضى عوض بابن خالته لأمه الحاج سعيد وكان هذا الأخير "من أبله مخلوقات الله لا يفرق بين صوت الديك والخروف" ومع هذا عين مفتيا وكاتبا وهذا لأن سكان المدينة قبلوا به إكراما لعائلة أبائه وأجداده ضنا منهم أن هذه العائلة جالبة لحظهم وسعدهم لدرجة اعتقادهم أنه إذا ما لم يكن مفتي مدينة الجزائر من عائلة سيدي محمد بن سيدي سعيد فستعرض هذه الأخيرة حتما للمصائب والابتلاءات بارتفاع الأسعار والزلازل والصواعق ..الخ، وما حدث بعد عزل الحاج سعيد الذي دامت فترته17سنة، وتعويضه بالفقيه اللامع الحاج بن المهدي صالح ووقوع صاعقة على منارة مسجد سيدي الكبير في عهده زاد اعتقاد الناس بهذه العائلة وظنوا أن سبب هذه الصاعقة هي لعنه عائلة سيدي السعيد وطالبوا بعودة أحد أحفاد هذه

---

1 - عميراوي احميدة، فواصل من الفكر والتاريخ، دار البعث، 2002، ص. 19.

وقد تحدث ارنست ميرسي في تاريخه لمدينة قسنطينة عن قوة أولاد صاولة وحكمهم لمدينة قسنطينة بواسطة علمائهم وشيوخهم، وقد نزحوا من المغرب واستقروا ببسكرة، بعدها توجهوا لقسنطينة لنشر العلم، وأصبحت ذات سلطة دينية واسعة وتفرعت عنها أسرة عبد المؤمن الموالية للحفصيين، ولهذا أسند الأتراك القضاء والإفتاء لعائلة ابن لفقون. - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج.1، ص- ص.399-406. ومحمد المهدي بن علي شعيب، أم الحواضر بين الماضي والحاضر، مطبعة البعث 1980، ص- ص.118-119

2 - هذا ما تفاخر به عبد الكريم الفقون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، ورده العنتري عن شيخ البلد سنة 1837م.

الأسر فأزيح المهدي وعين مكانه عبد الرحمان المرتضى للمرة الثانية وهذا الأخير لم يكن على مستوى حاد من الذكاء واستمر في هذه الوظيفة خمسة سنوات وقد توفي في (شوال 1125هـ/ 23جويلية 1723م)[1].

2-2- سفراء:

ومن أحسن النماذج على ذلك ما فعل علي باشا في سنة 1232هـ، لما بعث العلامة الشيخ باش كاتب رحمه الله ومعه الحاج يوسف لإصلاح ذات البين كما أسلفنا، وقد بقي الأمر على ما هو عليه حتى تدخل السلطان بين البلدين وتم الصلح في 1236هـ/ 14مارس 1821م)، وسبب الخلاف أنه أطلقت سفينتان من تونس، وكانت واحدة منها تحت رئاسة حسونة ورديان باشي من حلق الواد، والمركب الآخر فيه هدية للدولة العثمانية فأخذ جزائريون المركبين، دخلا بهما إلى مرسى عنابة وأطلقوا سراح التونسيين، ولما رجع الجزائريون اطلع الأمير على المراكب فباع سفينة حسونة، والسفينة الأخرى أبقاها على حالها لاحتوائها على مكاتيب وهدايا للدولة العثمانية، وأرجعها لتونس وهذا هو سبب وقوع الفتنة بين البلدين[2].

كذلك ما فعله محمد عثمان بعد توليه لمنصبه باي وهران فأول ما قام به هو استشارته للعلماء عما يفعله مع الخونة المتعاونين مع الإسبان، هل يؤمنهم حتى لا يذهبوا مع الكفار أو يعاقبهم فأشاروا عليه بإعطائهم الأمان، عندها بعث إليهم كتابا يأمرهم بالقدوم إليه، فبعثوا له "ابعث لنا الأمان مع بعض المرابطين لتطمئن نفوسنا" حينها بعث لهم بالقاضي العلامة السيد (عبد الله بن حواء) وخطيب المسجد الأكبر (السيد أحمد)والسيد محمد بن فريحة فقدم معهم البعض آمنين والبعض الآخر انتظروا ليتأكدوا سلامة من سبقهم لتطمئن نفسهم[3]. أيضا سفارة محمد علي الخروبي الطرابلسي إلى المغرب أكثر من مرة مبعوثا من باشوات

---

1 - Develoux (A), " Le édéfice Religieus De L'ancien Alger",In R.A. 1866, P-P. 295-296.

2 - أحمد شريف الزهار، مذكرات، تحقيق أحمد توفيق المدني، ص 146.

3 - أحمد بن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق المهدي بوعبدلي، مطبعة البعث، 1973، ص.427.

الجزائر إلى سلاطين المغرب لتحديد حدود وتأمين العلاقات بين البلدين، وسفارة محمد بن العنابي إلى المغرب الأقصى عقب حملة أكسموث الإنكليزية سنة (1231هـ/ 1816م) حين أرسله عمر باشا لطلب المعونة العسكرية من السلطان سليمان كما أن ابن العنابي قد قام بسفارة أخرى إلى اسطانبول سنة 1232هـ ولعلها كانت لنفس الغرض الذي ذهب من أجله للمغرب[1].

والبعض الآخر من العلماء يقوم بالإصلاح والدعوة دون تكليف من الحكام وهؤلاء العلماء امتازوا بعفة النفس، وفضلوا حريتهم على الخضوع للسلطة وكانوا يحترفون التعليم والتجارة من أجل المحافظة على طهارة النفس[2] هذا حتى لا يشغلوا أي منصب وظيفي. ومن أكثر النماذج دليلا على ذلك الشيخ الورتلاني[3]، ويرى هذا الأخير أنه ملزما بهذا الدور لتهدئة الأوضاع نيابة عن السلطة التي ضعفا نفوذها، ورفض الأهالي الجبليون خاصة الخضوع لها ومن ذلك قوله "... وحكم السلطان غير نافذ فيهم، إذ لا يقدر عليهم، وإن كانوا قريبا من الجزائر لكونهم تحصنوا بالجبال، فلم يفد فيهم إلا همة الصالحين وأهل الخير، فيجب على من يقبل منه أن يذهب إليهم، ويصلح حالهم ليرتفع ما فيهم من المعصية..."[4]. وقد لعب

1 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص.398.

2 - ناصر الدين سعيدوني، والمهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ، ج.4، ص.23.

3 - وهو الحسين بن محمد السعيد بن الحسين بن محمد بن عبد القادر بن أحمد الشريف، بحل الشيخ الولي سيدي علي البكاي البجائي الذي أصله من مدينة تافيلالت بالمغرب الأقصى، ولد عام (1125هـ/1713م)، بقرية آنو عوار قرية بني ورتلان وحفظ القرآن الكريم، في زاوية جدة ووالده بنفس القرية، على الشيخ يوسف بن بشران، ثم تفرغ لدراسة علوم الفقه والحديث والنحو والصرف والعروض، على والده وشيوخ آخرين، ثم شد الرحال إلى المدن الأخرى، داخل الجزائر وخارجها، وقد أتاحت له هذه الرحلات إلى توسيع ثقافته ومداركه وتجارته ليتحصل على زاد ثقافي واسع نفع به أبناء جيله، ثم تولى التدريس في مسقط رأسه ثم بمدينة بجاية، التي يقيم بها في شهر رمضان من كل سنة، وتوفى سنة(1193هـ-1194هـ/1779م-1780م)بمسقط رأسه آنو، ومازال قبره قائما يزوره الناس باستمرار. يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ط.1، دار الغرب الإسلامي1995، ج.1، ص-ص.44-47.

4 - حسين بن محمد الورتلاني، الرحلة الورتلانية، تحقيق محمد بن أبي شنب، ص.8.

هذا الأخير دورا في تهدئة الأوضاع بين حكام كل من بني عباس وآل القاضي[1]، وبين سكان بلاد القبائل، خاصة الأعراش المحيطة ببني ورتلان، فقد اعتبرهم خارجين عن طاعة الله ورسوله بنبذهم الأحكام الشرعية وإتباعهم العادات السيئة والبدع الشنيعة كمنع النساء من الميراث وأكل أموال الناس بالباطل وأكل أموال اليتامى والضعفاء كالأرامل وقد وقع بينهم وبين المؤلف خلاف وعداوة مما جعله يستنجد بالشيخ أحمد الطيب الزواوي لحسم هذا الخلاف، وتمكن هذا الأخير بوضع حد لذلك وتوقيع الصلح بينهم[2]. ومن هذا نلتمس أن العلماء قاموا بدور هام في توجيه السكان وتهدئة الأوضاع لكن حتى يتمكن هؤلاء العلماء من الوصول إلى النفوذ بين الأهالي خارج الإطار الوظيفي. فقد التحقوا كما أشرنا في الفصل السابق إلى الالتحاق بمختلف الطرق الصوفية، خاصة وأن أهالي الجزائر لا يقدرون العلماء بشكل الذي يستحقونه فحسب الحقائق التي لدينا نستخلص أن معظم العلماء الذين لم يلتحقوا للتوظيف الحكومي، كان ملجأهم الطرق الصوفية، ليتمكنوا من النفوذ والإصلاح. فالورتلاني مثلا رغم مكانته الدينية المعتبرة فقد وصفه بعض مترجميه وناسخي رحلته المعاصرين "كعبد القادر بن محمد الصغير بأنه عالم ربّاني وولي صالح، وقطب واضح وإمام طريقة، الجامع بين الشريعة والحقيقة، البالغ الغاية في مذهب المالكية وما يؤكد ذلك أنه صاحب زاوية يتخرج منها العلماء والقضاة والمفتون"[3]. كذلك من أكثر الأمثلة التي تدل على اتجاه العلماء لطرقية من أجل توسيع نفوذهم الشيخ محمد بن عبد الرحمان الجرجري المعروف أيضا بنسبه إلى زواوة وإلى الأزهري "الزواوي الأزهري" هو من قبيلة آيت إسماعيل من عرش قشطولة توفي سنة 1208هـ ويعرف ببوقبرين فبعد أن تعلم بزاوية الشيخ الصديق بن أعراب بآيت إيراتن توجه إلى المشرق حوالي 1152هـ حيث ظل حوالي ربع قرن وعاد حوالي 1177هـ إلى قرية آيت إسماعيل حتى يتمكن من نشر أفكاره

1 - حسين بن محمد الورتلاني، الرحلة الورتلانية، ص-ص.8-16.

2 - حسين بن محمد الورتلاني، المصدر نفسه، ص.8.

3 - فيلالي مختار الطاهر، الرحلة الورتلانية، دار الشهاب، ص.32.

وطريقته بين أهل بلاده، أسس زاويته هناك[1]، وقد اهتم الشيخ بنشر العلم والتربية الدينية والصوفية على طريقة علماء السلف، وهذا جعل سلطه الجزائر السياسية تتهمه بالزندقة من طرف بعض الفقهاء وعقدوا مجلس لمناظرته وإبطال التهمة ضده وقد كان المجلس حينها برئاسة مفتي المالكية علي بن عبد القادر بن الأمين[2].

ثالثا- السلطة بين الحكام والعلماء

1- علاقة الحكام بالعلماء:

مما سبق ندرك أنه لم يكن للعثمانيين في الجزائر سياسة للتعليم، ولا خطة رسمية لتشجيعه والعناية بأهله وتطويره وتوجيهه هذا تسبب في ركود العلم وانحطاط مستواه[3]. فقد كانوا أول الأمر يجلبون معهم علماءهم إما لعدم ثقتهم في علماء الجزائر، وإما للقيام بشؤون المذهب الحنفي، الذي كانوا يتبعونه فقد اعتمدوا عليهم في الوظائف الدينية وكذلك تكليفهم بالمهمات الدبلوماسية و لم يعتمدوا على علماء الجزائر خاصة في بداية عهدهم[4].

فالسياسة العثمانية لم تكن تريد أن ترى فئة العلماء متماسكة وقوية، فكانوا دائما يخشون من العلماء سواء في الجزائر أو غيرها، وقاموا بحرمان هذه الفئة المثقفة من المشاركة مباشرة في تسيير شؤون الدولة[5]، وسعوا لإبقاء العلماء تحت نفوذهم وذلك باستعمال عدة وسائل نذكر منها:

1-تشجيع الخلاف بينهم.

2-البحث على الضعفاء منهم وتسليمهم أعلى المناصب .

---

1 - وقد تلقى تعاليم الطريقة الخالوتية على الشيخ محمد بن سالم الحفناوي عندما كان بالقاهرة، أو مكة؟.

2 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، ص.140.

3 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص.321.

4 - أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ج1، ص.391.

5 - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 2، ص.320.

3 -تجنب إعطاء النفوذ لعلماء البلاد الذين لهم صلة قوية بالأهالي.

4-كذلك نفي كل العلماء الذين يرون فيهم خطر على وجودهم وذلك بالضغط عليهم ليختاروا هم أنفسهم منفاهم[1].

كما أن الباشوات في الجزائر هم الذين يعينون العلماء في وظائفهم، بينما العلماء لم يكن لهم دخل في تعيين الباشوات، و كان دورهم يقتصر على تقديم بنود الولاء والطاعة عند تعيين كل باشا[2]. وهكذا صار الفقيه حسب قول الغزالي "الفقيه يحكم بصحة الإسلام تحت ظلال السيوف"[3]فهي لا ترى المثقف سوى أداة لتثبيت سلطتها[4].

وقد كان موقف الحكام من العلماء متقلب حيث يغيرون القضاة كلما كان مشكل ولأتفه الأسباب، مثلما حدث في عهد مصطفى باشا حين وقع انقسام في الرأي بين العلماء حول فتوى خاصة بعلاقة زوج وزوجته، ولما تصعد الأمر بين الطرفين انقسموا إلى شطرين سيدي مصطفى العنابي وأخوه حسين، والحاج المهدي بن صالح وسيدي محمد قندوز يساندون المفتي الحنفي النير، وسيدي محمد بن علي وسيدى عطار، وسيدي محمد بن علي بن سيدي المهدي يساندون بن سي أحمد المالكي، حينها التجئوا إلى الباي فانتهى الأمر لصالح الحنفية، وحينها عزل سيدي أحمد وعين مكانه، سيدي عبد الرحمان المرتضى (إمام في المسجد الكبير) وكان ذلك بحضور الأئمة وموافقتهم، لكن سيدي أحمد استعاد مكانته بعد ثلاثة أيام فقط بطلب من الباشا نفسه وعزل المرتضى[5]. كما أن محمد بكطاش عند ما تولى الولاية وعلى إثر وشاية قام بإقصاف

---

1 – أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص-ص.408-409.

2 – أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ج.1، ص-ص.408-409 و

2 - Peyssonnel Et Desfontaine,Voyage Dans La Régence De Tunis Et d'Alger, Paris 1858, p.197.

3 – محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج.1، ص.18.

4 – أحمد بن مبارك العطار، تاريخ قسنطينة, تحقيق رابح بونار، ص.122.

5 - Develous(A) ," Le édéfice Religieuse De L'ancien Alger", In R.A, 1866, P-P 290-291.

سيدي أحمد وسيدي علال وأودعهم في السجن لمدة يوم كامل ثم أعدمهم خنقا داخل مزبلة قرب سجن شلف[1]. أمّا العلماء الذين ينتقدون السلطة فكان العزل والنفي والسجن والقتل آليات للتخلص منهم فمدينة الجزائر مثلا اهتزت على وقع إعدام المفتي أحمد وعلال قدورة[2]، كما شهد علماء عائلة ابن باديس تذبذبا في علاقتهم مع السلطة، وكان خليل باي وهران (ت 1778) مبغضا للعلماء وبلاحقتهم وقد نكل بمحمد بن كشك علي أكرعلي الخوجة بعدما حظي بالتعظيم أيام صالح باي[3]،كما إن تسجيل الفكون في كتابه- منشورات الهداية-لتدخل العسكر والبايات في شؤون العلماء كان أمرا ملفتا للنظر فقد ذكر العديد من الحوادث التي سجن فيها العلماء وغرموا ونفوا وأهينوا وصودرت أموالهم حتى إن بعضهم كان يموت في سجنه والبعض الآخر يمنع من رفع القلم كما حدث لجد المؤلف حين فراره لزواوة، بعدما وجد نفسه مسجون بقصر الباشا في الجزائر، ثم يلقي عليه القبض ثانية ويعاد فيسجن وبعدها يطلق سراحه[4]. ومنه فعلاقة السلطة بالعلماء لم تكن قائمة على أساس الحب العذري، بل على أساس المصلحة والخدمة فلا تكاد تمر قضية يتدخل فيها عالم أو مرابط لصالح السلطة إلا وكانت متبوعة بامتيازات كالإعفاء من المطالب المخزنية والضرائب على الممتلكات والعقارات مثلما أعطى لأولاد سيدي الهادي[5] أو لشيخ سيدي ناجي أحمد المبارك سنة 1052هـ، أو أسرة المقراني بالقبائل التي لم تكن تدفع سوى ضريبة القفطان[6]. كما تقربت السلطة إلى العلماء بالهدايا، ومنحتهم احتكار ضرائب بعض البضائع، كاحتكار عائلة لفكون

---

1 - Develous(A), " Le édéfice Religieuse De L'ancien Alger", In op. cit,1866, p.292.

2 - والآخوين قدورة هما ولدي المفتي سعيد قدورة، ت 1066هـ، وكان الأول مفتي للمالكية والثاني قاضيا لهم وقد أعدمهما محمد بكطاش سنة 1118هـ لأسباب مازالت مجهولة، محمد أبو القاسم الزياني، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برا وبحرا، حققه وعلق عليه عبد الكريم فيلالي، ج.3، 1387 -1967، ص.155.

3 - محمد أبو القاسم الزياني، المصدر نفسه، ج.3، ص-ص.154-155.

4 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج.1،ص. 421.

5 - الإمتياز موجود في الرسالة 52، الملف2، مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية رقم 3206 مجموع.

6- Renseignement Sur L'organisation Et L'administration De La Province De Constantine Avant La Prise De La Ville Par L'armée Française, In A.M.G, 1840, p.14.

لضريبة الزرابي والخشب ولموال مكوس سوق الخضر والفواكه بقسنطينة، أما أسلاف المرابط قاسم بن أم هانئ، فقد كانت لهم حق جباية أعشار وزكاة أتباعهم وقد منحت هذه الهدايا والهبات والعطايا لرجال الدين إغراء لهم للوقوف إلى جانب السلطة[1].

هذا وقد اشتهر بعض الباشوات بتقربهم للعلماء ومراعاتهم وذلك إما حبا في الدين والعلم وإما حبا في المدح والثناء، وكان عدد هؤلاء قليل لأن طبع الحكام كما سبق وذكرنا غير ثقافي وهم لا يتقربون من العلماء إلا عند الحاجة، وقد كان الجهاد ضد الإسبان هو ورقة الحكام العثمانيين الرابحة لجلب الرعية واكتساب تأييد العلماء، فإذا توقف الجهاد ثارت الرعية وتحرك العلماء وكثرت الفوضى. ومن النماذج الحية على ذلك ما فعله يوسف باشا (1044هـ/1064هـ) خلال القرن (11هـ/17م) وقد عرف عن هذا الأخير أنه كان يقرب إليه العلماء والمرابطين والأشراف ومن الذين قربهم سعيد قدورة، وعلي بن عبد الواحد الأنصاري السجلماسي الذي استوطن الجزائر وعيسى الثعالبي المحدث الشهير وعبد الكريم الفقون شيخ الإسلام بقسنطينة، ومحمد ساسي البوني عالم عنابة ومرابطها الذي تبادل معهم عدة رسائل[2] طالبا منه القضاء على ثورة الذواودة والحنانشة بقيادة ابن صخري[3]

وقد احتوت هذه الرسائل على ما يلي:

الرسالة الأولى: من يوسف باشا إلى الشيخ محمد سالمي البوني: "... هذا والمراد إعلامكم إنا كنا أولا يومنا عقد العزم على الجهاد لوهران، واستخلاصها من أيدي حزب الشيطان، وإنقاذها من ورطة

1 - Charles Féraud, Le Sahara De Constantine Notes Et Souvenirs, p.202.

2 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج.1، ص .191. و"مراسلات يوسف باشا إلى مرابط عنابة"، مجلة الثقافة، 1877 بقلم أبو القاسم سعد الله، عدد51، ص.16.

3 - ثورة أحمد بن صخري وقيادته لجموع العرب والحنانشة والذواودة، وغيرهم ضد العثمانيين، وقد هاجم الثوار مدينة قسنطينة وغيرها، وقد جاءة النجدات إلى الجزائر، إلى مراد باي حاكم الإقليم وامتدت الثورة إلى الزيبان والصحراء وعنابة. وانتصر الثوار على مراد باي، فر خلالها، حينها توجه يوسف باشا لإخماد الثورة.

- Vaysette," Histoire Des Derniers Beys De Constantine ", In RA 1859, p. 344 .

الكفر والضلال..." وبعد أن أيقض حماس الجهاد لدى العالم أوضح له سبب الكتابة لـــه قـــائلا: "... ورأينا أنه لا ينجى مع الله فيما قلدنا من أمور خلقه، إلا أن نباشر ذلك بأنفسنا، طلبا لمرضاته، وقيامـــا بحقه، وكاتبناكم بجميع هذا رضي الله عنكم لتعلموا حقيقة أمرنا، وتطلعوا على خيبة (كـــذا) ســـرنا ولتجيزوا من هنا لكم بالمرام، وما عولنا عليه من إصلاح أهل الإسلام فلتخولوا رضي الله عنكم الخاصة والعامة بالذكرى والموعظة الحسنة كدأب العلماء في طريقتهم المثلى"[1].

الرسالة الثانية: وقد رد محمد البوني على يوسف باشا طالبا الشفاعة لأهل بلده ومما جاء في رسالته: "... وهاهو العبد الفقير، ليس ينس لكم ودا، ولا ينكث عهدا ولا يزال سائلا لكم من الله قابل التوبة وغافر الذنب، تلين صعوبة القبول، وتسهيل الصعوبة بجاه أكرم الوسائل بكل الوسائل... "[2].

الرسالة الثالثة: أما الرسالة الثالثة فاحتوت على رد الباشا لطلب محمد ساسي موضحا له دور العلماء ومما جاء فيها: "... لقد انتهى إلينا كتابكم البهي، وخطابكم الشهي، وما احتوى عليه من طلب العفو عمن ظلم، فالان الأمر هو ما شافهنا كم به من ترك ~~ما تركناه~~ وتأخير ما أخرنا، والواجـــب علـــيكم رضي الله عنكم أن تكون أحوالنا منكم ببال، وأن لا تدعونا في زوايا الإهمال، وأن لا تنسوا أمة نبيكم صلى الله عليه وسلم، من دعاء الخير أعقاب الصلوات والتعرف بما يجب عليكم من حقوق الـــسلطان، وإن طاعته من طاعة الرسول وطاعة الرحمان.."[3]. وقد ركز يوسف باشا في هذه الرسالة علـــى إبـــراز دور العلماء في مثل هذه الظروف لتحث الرعية على وجوب الطاعة وتفادي الفتنة.

---

1 - أبو القاسم سعد الله ،" مراسلات يوسف باشا إلى مرابط عنابة"، مجلة الثقافة 1977، عدد 51، الرسالة الأولى، ص-ص. 21-23 بتاريخ ذي الحجة 1050هـ

2 - أبو القاسم سعد الله،" مراسلات يوسف باشا إلى مرابط عنابة"، المرجع نفسه، ص-ص. 23-25.

3 - أبو القاسم سعد الله، " مراسلات يوسف باشا إلى مرابط عنابة"، مجلة الثقافة 1977، عدد 51، ص-ص. 25-26.

كما قام محمد بكداش (1117هـ-1122هـ) بتقريب الكثير من العلماء بمنحهم الهدايا وراسل هذا الأخير أحمد البوني الذي يتمتع بسمعة دينية وعلمية في عنابة وخارجها، ويؤكد سعد الله أن تقرب الباشا من البوني كان غرضه سياسي مثلما فعل يوسف باشا[1] وكان رد البوني عليه بكتابة أرجوزة وصَفه فيها بالنسب الشريف الهاشمي[2].

ومما تجدر ملاحظته بخصوص هذه العلاقات وجود بعض الحكام عملوا على تقريب العلماء إليهم وكسب محبتهم ومن هؤلاء الباي مصطفى بوشلاغم (1212هـ/1797م)، وحسن باشا 23 ربيع الثاني (1233هـ/1818م) فقد كانوا محبين للعلماء والأشراف والصالحين وأغدقوا عليهم الهدايا[3] كذلك محمد بن عثمان باي وهران حيث اتسعت حال العلماء في عهده خاصة بعد أن وضع لهم مرتبات يأخذونها من الأحباس بعد أن كانوا لا ينتفعون بشيء من ذلك، واشتد في عهده الحرص على العلم بعد أن كاد يترك اشتغالا بالتجارة فكثرت في عهده التآليف ومنها ما كتب بأمر منه كجمع فتاوي العلماء في جوائز الملوك، وغيرها من المؤلفات الكثيرة[4]

كما عمل محمد الكبير على تقريب العلماء في مجلسه واستشارتهم[5]، منهم أحمد بن هطال التلمساني الذي شغل عدة مناصب سياسية في بايلك الغرب، فقد كان مستشار للباي وكاتبه الخاص، والمبعوث له في

---

1 - أحمد بن مبارك العطار، تاريخ قسنطينة، تحقيق رابح بونار، ص-ص.122-127.

2 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج.1، ص -ص.413-414، نجد الأرجوزة في نفس الصفحة.

3 - أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ج.1، ص -ص.413-414.

4 - أحمد بن محمد سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، ص.146.

-Charles Féraud,"Un Veux d' Husein Bey", IN R.A, 1863, p.85.

5 - أحمد بن محمد سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، ص.427. ومحمد يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق المهدي بوعبدلي، ش.و.ط، 1978، ص.53

العديد من المهام الخارجية[1]، حتّى أن هذا الباي كان يعمل على تمتين علاقته الثقافية مع علمـــاء الجزائـــر العاصمة وكتابها المشهورين خاصة عندما يحين دفع الدنوش لخزينة الوجاق فيلتقي بهم هناك ويغمرهم بمنـــه وهباته[2]، وكان هدفه هو كسب تأييد العلماء لتدعيم مركز حكمه[3] كمـــا أتـــاح للعلمـــاء والمدرسيـــين والأساتذة ممارسة التعليم واستغلال مواهبهم في الكتابة والتأليف وبذلك فتح باب الوظائف لهم، ويقـــول أحمد الراشدي أنه في عهد محمد الكبير أصبح للعلماء أموال: "... يأخذونها من الأحباس بعـــد أن كـــان العلماء لا ينفقون من ناحية المخزن بشيء إلا من كان متوليا لحظة أو مستعملا في خدمة، فاتسعت بـــذلك حال العلماء وانشرحت الصدور للقراءة وشرهت النفوس وكثر طلبة العلم وتشوق كل أحـــد التـــدريس واشتد الحرص على العلم من بعد أن كاد يترك اشتغالا بالتجارة لقلة جدواه .. "[4]وما يمكننا أن نستخلصه من هذا أن هذا التحالف من بعض الحكام والعلماء رغم أنه اقتصر على البعض منهم فقط، غير أنه كان له أثر في بناء الثقافة الدينية والفكرية حيث نسجل ظهور بعض كبار العلماء والفقهاء الذين أغنـــوا المكتبـــة الجزائرية بمؤلفاتهم خلال القرنين (17م-18م) اللذين عرفا بحركة الإصلاح الديني والاجتماعي.

2-علاقة العلماء بالحكام:

إن العلماء دوما يدعون الرقابة على السلطة السياسية وهذا نابع من أن كل سلطة في المجتمع الإسلامي لا بد من أن تطابق الشريعة، ومنه فقد حاول العلماء القيام بدور الرقيب على هذه الأخيرة وهـــذا مـــا لم يسلم له به الحكام -كما سبق وذكرنا- فقد سعى هؤلاء دائما إلى إتباع الفقهاء بالترغيـــب والترهـــب حسب الاقتضاء، حارصين دوما على استشارة العلماء حتى يبرروا قراراتهم ويجعلون من سلطة العلماء تابعة

---

1 - أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير "باي الغرب الجزائري "إلى الجنوب الصحراوي، تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم، عالم الكتاب القاهرة1969، ط .1، ص.13.

2 - أحمد بن محمدسحنون الراشدي، المصدر السابق، ص-ص.144-146.

3 - أحمد بن محمدسحنون الراشدي، المصدر نفسه، ص-ص.233-241.

4 - أحمد بن محمدسحنون الراشدي الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني،، ص.135.

لسلطة السياسية وفي قول ابن خلدون توضيح لما آلت إليه سلطة هؤلاء العلماء حيث يقول: " إن العلماء أي الفقهاء أبعد الناس عن السياسة وعن واقع أمرهم، وإن واقع أمرهم أنهم تزين بهم مجالس السلطان، وان القلائل منهم هم الذين استطاعوا التآمر في واقع السياسة، فإن ذلك لم يكن بفضل علمهم المحصن بل لاستنادهم إلى قوة اجتماعية عصبية"[1] .

وقد ركن غالبية العلماء بالاكتفاء إلى النصيحة، فليس على العالم حسب غلب الفقهاء أن يثور على الحاكم حتى لو تفاقم جور هذا الاخير فعليه فقط أن يقدم إليه النصيحة على النحو الذي لا يثيره ولا يستثير الرعية[2]، وقد لاحظ التمغروطي في القرن(10هـ/15م) أن علماء الجزائر تغلب عليهم المادية فقال "إن حب الدنيا وإيثار العاجلة والافتتان بها غلب عليهم"[3]، كما قيل عن المفتي أحمد الزروق بن داوود أنه كان صاحب ثروة، وكذلك العالمان سعيد المقري في تلمسان وعمر الوزان في قسنطينة، ومن المعروف كذلك عائلتي ابن الفكون وابن باديس في قسنطينة التي تعتبر من أغنى العائلات[4]. لهذا حاول العلماء دوما أن يضمنوا لأنفسهم احتلال موقع الاستشارة لدى الحاكم، وقد كانت بداية العلاقة بين العلماء والحكام هي علاقة الوظيف كما سبق وذكرنا وقد كان احتياج العلماء للباشوات والبايات يقتصر على الطمع في المال والوظيفة[5]، وقد تكون هذه أحد الأسباب التي "جعلت النظام العثماني يعيش في قطيعة سوسيولوجية بينه وبين المجتمع الجزائري"[6].

1 – علي أوميل، السلطة الثقافية والسلطة السياسية، مركز الدراسات الوحدة العربية، ط .2 بيروت 1998، ص-ص. 12-11.

2 – علي أوميل، المرجع نفسه، ص.15.

3 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج.1، ص.390 .

4 – أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ج.1، ص.390 .

5 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج.1، ص.410 .

6 – احميدة عميراوي، فواصل من الفكر والتاريخ، ص.90.

ورغم قرب هذه الوظائف من الشعب فإن العلماء وخصوصا في المدن قد ابتعدوا عن الأهالي ينظرون إليه نظرة فوقانية[1]. وكثيرا من هؤلاء العلماء من كان يحرص على كسب مودتهم منهم سيدي حميدة بن حسن الغربي الذي كان يسعى لخدمة الولاة ويعظمهم ويمتهن نفسه في موالاتهم وإعطائهم الرشوة ويتوسط بينهم وبين الرعية وينال بذلك هو الحظوة[2]. كما أشار لهذه العلاقة عبد الكريم الفقيون (1580م/1662م) صاحب كتاب منشور الهداية في حال من ادعى العلم والولاية وهذا الأخير لم يتعرض في كتابه من قريب أو بعيد إلى الوضع العسكري والسياسي على المستوى الدولي، وقد يكون ذلك حسب تعليق أبو القاسم سعد الله في تحقيقه للكتاب لأحد الأمرين لإيمانه أن رجل الدين لا يدخل في الشؤون السياسية، أو قد يرجع ذلك لانتمائه للطريقة الزروقية طريقة الشيخ أحمد زروق[3] الصوفية التي ينتمي إليها الفكون وهذه الطريقة تؤمن بملازمة السمع والطاعة لأمراء المسلمين وعامتهم وخاصتهم من أهل الله فلا يخالف عليهم بقول[4]، ومن أهم المواقف التي تبين علاقة أسرة الفقون بالباشوات أنها انتصرت للباشوات أيام ثورة ابن صخري، وأيضا أثناء فتنة ابن الأحرش، وأيضا في ثورة أحمد شاوش القبائلي على علي باشا باي قسنطينة، كان وقوف العلماء وعلى رأسهم آل فكون واضحا في مراسلة الباشا إليهم[5]، وقد لجأ أهالي قسنطينة إليه في قضية الباي أحمد طوبال ومؤازرته بقتل احمد شاوش القبائلي وجميع شيعه فأشار عليهم بقتل رأس الفتنة ووعد بطلب العفو للبقية-شرط أن يقتلوا هم أنفسهم أحمد شاوش، وفي الحين قاموا بقتل

---

1 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج.1، ص.410.

2 – عبد الكريم الفقون، منشور الهداية ف كشف حال من ادعى العلم والولاية، ص.75.

3 – انظر لأصل الطريقة للشيخ زروق في كتاب النبوغ المغربي لعبد الله كنون، ط.1، 1961، بيروت، ج. 2، ص.209.

4 – عبد الكريم الفقون، منشور الهداية ف كشف حال من ادعى العلم والولاية، ص-ص.8-9.

5 – أيضا موقف فتح الله مفتي حنفي بقسنطينة، وما فعله مع أحمد القبائلي لما لجأ إليه حين وصل أحمد طوبال إلى قسنطينة مبعوثا من طرف أحمد باشا (1220هـ-1223هـ/1805م-1808م) طالبا منه أن يكاتب الباشا ويقول له "إن ما فعله أحمد شاوش القبائلي كان بطلب أهل المدينة " فرفض الشيخ طلبه قائلا له وأنا لا أستطيع أن أكتب على لسان أهل البلد ما لم يؤذنوا لي فيه، أحمد مبارك العطار، تاريخ قسنطينة، ص. 78.

هذا الأخير وخنقوه بالقصبة[1]، وعند تمرد صالح باي أتى الباشا على رئيس عائلة الفكون بهذه العبارات "إن العالم الأشهر... العارف بجميع الفنون، نستكثر خيرك من شآن وقوفك وصيانتك للبلاد ونصحك وحمايتك للعباد... ثم نلتمس منكم الدعاء الصالح، الجالب لنا ولكم كل المنافع والمصالح..."[2] كما ساهم العلماء في بناء السلم وحسن الجوار فسيدي أحمد ناصر شيخ خنقة سيدي ناجي قام سنة 1741م بمفاوضات متعددة بين تونس وقسنطينة لتحقيق الوفاق وقام قبله بنفس المهمة محمد بن محمد الطيب، كما قاد محمد بن علي الخروبي مفاوضات مع المغرب لتوطيد العلاقات[3].

كذلك في عهد علي باشا عام (1225هـ/1810م) عندما أوكل باي المقاطعة الشرقية إلى محكمة عنابة مهمة النظر في قضية النزاع الذي نشب بين بريطانيا وفرنسا حول أحقية أي منهما في امتلاك أحد المراكز التجارية الموجودة في نفس المدينة وقد حضر المحكمة علماء المذهب المالكي والحنفي وقائد الحامية العسكرية في المدينة وأعضاء ديوانه وكذلك نائب القنصليتين الفرنسي والإنجليزي في نفس المدينة، وقد صدر الحكم لصالح فرنسا على الرغم من أن الباشا المذكور هو نفسه الذي كان قد طرد الفرنسيين من المركز وسلمه للبريطانيين قبل ذلك ببضع سنوات، وقد جاء التوقيع على الحكم باسم ثلاث علماء من بينهم المفتي المالكي والحنفي وهذه المحاكمة تدل على تدخل بعض العلماء في القضايا السياسية.[4]

وهذه العلاقات قد أثارت جدلا واسعا في صفوف العلماء أنفسهم بين مؤيد ومعارض[5] ومع هذا لم يشأ الكثير منهم الدخول في صدامات مع الحكام، كما نلاحظ تواجد علماء البلاط في هذا العصر –على

1- Mercier (E), Histoire De Constantine, p.291

ومحمد بن علي شعيب، أم الحواضر في الماضي والحاضر، ص-ص.269-272.

2 – أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج.2، ص.237. دراسة أحمد الأمبيري، علاج السفينة في بحر قسنطينة.

3- El – Mahdi El Bouabdli," Le Chik Mohamed El Kharoubi", In R.A, 1956, p.334.

4 – خلفية حماش، العلاقات بين الجزائر والباب العالي، رسالة ماجستير، ص-ص.81-82.

5 – أبو القاسم سعد الله، "أربع رسائل بين باشاوات الجزائر وعلماء عنابة"، مجلة الثقافة 1980، ص.35.

قلتهم- منهم ابن ميمون، ابن زرقة وأبي راس من المقربين للسلطة السياسية مما أثّر على نوعية كتاباتهم، وقد أثارت هذه الظاهرة حفيظة الفكون الذي انتقدها بشدة، وشهر بمن أسماهم المتـــزلفين والمخـــالطين لـــدار الإمارة[1] حيث أن كتابات العلماء غلب عليها المدح للحكام والمهادنة والفكون نفسه-كما ذكرنا سابقا- لم يطرح مسألة السلطة وتجاوزاتها وربما كان ذلك لتورط عائلته نفسها في علاقات متشابكة مع الحكام فقـــد كان تماسك هيئة العلماء في قسنطينة هو الذي فرض على السلطة الحاكمة اللجوء إليها كوسيط و لم تقتحم المجال السياسي مباشرة إلا في المواقف القصوى للدفاع عن المدينة أو للفـــصل في أمـــر خطـــير[2]. وأيـــضا الورتلاني نجده انتقد حكام مصر، ولكنه غض الطرف على حكام بلاده[3].

إضافة لهذه الفئة من العلماء يشير سعد الله الى وجود فئة أخرى من المثقفون الأحـــرار في الجزائـــر وهؤلاء كانوا أكثر كفاءة من زملائهم الموظفين في المخزن وقد كانوا في ثورة دائمة على السلطة، حتّى إن بعضهم كانوا يحذرون من خدمة الحكام ويعتبرون خدمتهم فيها ذل وبيع للضمير ونـــزول في مـــستوى العلم[4]. وقصيدة محمد بن أفوجيل إلى الباشا حسن خوجة الشريف في (18م/12هـــ) تبين حالة العلمـــاء الذين لا يعملون في الوظيف فأهملوا من طرف الباشاوات فضاع الكثير منهم وجـــاع[5]، والرســـالة الـــتي وجهها العلماء إلى السلطان محمود الأول (1730-1754) يشكون التهميش[6] خير دليل، إضافة إلى هذا عانا بعض العلماء السجن والتشريد والإرهاب من بعض الحكام منهم الشيخ المهدي بن صالح هذا الأخير الذي

1 - عبد الكريم الفقون، منشور الهدايا في كشف حال من ادعى العلم والولاية، ص.97.

2 - فاطمة الزهراء قشي، قسنطينة المدينة والمجتمع، رسالة دكتوراه، ص.57.

3 - محمد الورتلاني، الرحلة الورتلانية، تحقيق محمد أبي شنب، ص.559.

4 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج.1، ص.396.

5 - محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشيةفي بلاد الجزائر المحمي،تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم، ص.70.

6 - محمد الزياني، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برا وبحرا، تحقيق عبد الكريم فيلالي، ط.1967، ص.362.

كان عالما بعلم الحديث الذي برع في تدريسه حتى التف حوله خلق كثير، وكان ممتازا في أربعة علوم "النحو، الأصول، الخطابة، الحديث" فخاف الباشا حسين خوجة الشريف من تجمع الناس حول هذا العالم فحكم عليه بالنفي إلى بلاد غير عربية بعد أن شوهت سمعته وذلك بتشنيع عليه واتهامه بقبول الرشاوى، والتي تمثلت في الهدايا التي أخذها من خلق كثير[1]، كما حدث للقاضي المالكي محمد بن مالك وهو من علماء مدينة الجزائر المشهورين، حين وقف عن الدرس ونفي إلى القليعة لا لذنب إلا بذنب مصاهرته لعلي خوجة الذي ثار على مصطفى باشا فقام هذا الأخير بمعاقبته لذنب لم يرتكبه، ولم يتراجع عن ذلك إلا بعد تدخل عدد من رجال الدولة لصالحه[2]، كذلك ما حدث ليحي بن سليمان الأوراسي هذا الأخير كان مفتيا بقسنطينة، وبدار الجزائر كذلك، وقد كانت تربطه علاقة جيدة مع الحكام، فلا يعقد أمرا دون استشارته "حتى أن متلصصة الأعراب لا يؤمنون إلا به" وهذا جعل معاصريه يحسدونه فوشوا به لدى الحكام، مما جعله يفر هو وأخوه أبو العباس أحمد إلى جبل الأوراس، فالتف حوله العربان وأولاد عيسى وأيدوه ووقعت بينهم حروب كثيرة مع العساكر الترك إلا أن قتل رحمه الله مغدورا به حين نزوله ضيفا عند أحد الفرق[3]، ومنه فعلاقة العلماء الجزائريين ورجال الحكم تذبذبت بين مؤيد كعلماء البلاط ومعارض فكان منهم الثائر على الحكام رافضا التقرب منهم مفضلا الهجرة خارج الجزائر، خاصة إلى المغرب هروبا من النظام العثماني المضايق لهم، منهم عبد الرحمان الثعالبي، كذلك تلميذه محمد بن يوسف السنوسي[4]. ومما سبق، وبما أن إطلاعنا على علاقات العلماء ومواقفهم من الحكام لم يكن شاملا، فاستنتاجنا لن يكون شاملا لكل العلماء فمواقف العلماء متباينة وهناك تفاعل حسب الظروف السياسية وحسب الشخصيات وتؤكد ذلك د.فاطمة

---

1 - Develous (A)," Le édéfice Religieux De L'ancien Alger", In R.A, 1866, p.296.

2 - أحمد الشريف الزهار، مذكرات، تحقيق أحمد توفيق المدني، ص-ص .122-127.

3 - عبد الكريم الفقون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، ص-ص. 54-55.

4 - احميدة عميراوي، فواصل من الفكر والتاريخ، ص-ص.92-93.

الزهراء قشي في دراستها للوازل الفقون بقولها: " أن النوازل تحتوي على مواقف كثيرة لهؤلاء العلماء لكنها مبعثرة وتحتاج لتمحيص..."[1] ومنه فسؤال يبقى مطروحا ؟

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1 – عبد الجليل التميمي، الحياة الفكرية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، ج.1-2، منشور الدراسات والبحوث العثمانية، 1990، ص-ص.331-333.

إن المجتمع الجزائري في القرنين (16م/19م) كان يعيش مرحلة ثقافية متأخرة من حضارة بدت آيلة للسقوط كل هذا منع من ظهور النمو الثقافي، فالجزائر العثمانية لم تعرف جامعة واحدة مثل ما هو معمول به في كل من فاس وتونس، لكن مع هذا أنتج نخبا من العلماء كانت مرآة عاكسة لإنتاج العصر، الذي تميز بانتشار الثقافة الدينية التي كان لها أثر بالغ على علاقة الحكام والعلماء وعلى المستوى النفسي والحضاري والإيديولوجي للمجتمع.

وكما سبق وذكرنا فا المدينة تعتبر مركز تجمع ثقافي مهم لا يمكن أن يوجد في الريف، ومع هذا فالعلماء في الجزائر كانوا يعانون من تهميش السلطة لهم خاصة أن هذه الأخيرة اعتمدت على علماء المذهب الحنفي، كما حاولوا احتواء علماء المدن بتوريطهم في المشاركة في السلطة عن طريق المناصب والوظائف وذلك لتسخر سلطتهم الروحية والدينية على المجتمع لصالحها.

وأخيرا وليس آخرا من خلال إطلاعنا المحدود نستنتج أن واقع العلماء في الجزائر كان يعاني من مساوئ أربعة وهي:

1- وضعه المعيشي المضي إذا كان لا يشتغل بالوظيف الحكومي مع قلة وسائل تعلمه وتعليمه، وهذا أدى إلى ظاهرة الانحطاط الأدبي ويتضح ذلك من خلال المؤلفات والكتب التي تركها أصحابها، حيث تغلب عليها المفردات العامية والعبارات الركيكة، هذا إذا ما استثنينا القليل من هؤلاء الكتاب أمثال"أحمد الراشدي" وأحمد القرومي وغيرهم. زد على ذلك فظروف التعليم كما أشرنا بقيت عبارة عن عملية نقلية تلقينية لا غير كالخطب والتفسير والأحاديث.

2- حسرته على بلاده من الغزو الأجنبي"الإسباني والبرتغالي" ومحاولته للمشاركة في تحميس المجتمع للجهاد.

3- ظلم الحكام العثمانين للعلماء ومضايقتهم إذا ما لم يسخروا سلطتهم الروحية لصالحهم وكـــذلك إذا عبر العلماء عن سخطهم ورفضهم لتصرفات السلطة الحاكمة.

4- عدم اهتمام المجتمع بأغلبهم والتفافه حول شيوخ الطرق الصوفية والمرابطين وهذا ما جعل أغلبهم يلجأ للانضمام إلى إحدى هذه الطرق المنتشرة في الجزائر.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخـــــــاتمـــــــة

إن إشكالية السيادة التركية في الجزائر خلال العهد العثماني، تعتبر إحدى النماذج المتميـــزة في العالم الإسلامي وتفرض علينا دراسة المعطيات التاريخية وفرزها لأنها وحدها الكفيلة بجعلنا قـــادرين على إصدار حكم موضوعي في المسألة.

وقد قمت بهذا العمل للإجابة على مجموعة من التساؤلات طرحتها في البداية وأخرى فرضت نفسها أثناء البحث.

وخلصنا في نهاية العرض والتحليل لموضوع بحثنا الذي عنوناه السلطة والمجتمع في الجزائر أواخر العهد العثماني، أن السلطة متأصلة وممتدة الجذور ومتعددة الجوانب، في أكثر من مستوى، وأنه وجب فهم المشكلات الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية، مع أخذ البنية الكلية للمجتمع الجزائري في الاعتبار والتي ظلت على امتداد القرون متأصلة في انتمائها، واستمرت كذلك إلى غايـــة دخـــول الاستعمار الفرنسي، وقد جاء تعقد العلاقات بين العثمانيين والمجتمع الجزائري نتيجة لإشكالية الفهم بالدرجة الأولى. فالتماسك الاجتماعي هو الذي جعل العثمانيين يحافظون علـــى مقومـــات البنيـــة الاجتماعية والثقافية. ولكنها كانت تختلف من حيث القوة والاستمرار بين المدينة والريف.

بعد هذا العرض لتاريخ السلطة والمجتمع في الجزائر أواخر العهد العثماني يتضح لنا أن الـــسلطة تاريخيا ظلت مطلب أكثر من طرف، فالطرف الأول ديني (إلاهي) والطرف الثاني فقهـــي شـــرعي (مذهبي والطرف الثالث طرقي (مرابط)، والرابع شيخي (عرفي)، أما الطرف الخامس فهـــو مـــدني (سياسي)، وبعد دراستنا لهذه السلطات وعلاقتها بالسلطة العثمانية يمكن أن نستخلص عدة نتـــائج أهمها:

1- أن الحكم العثماني الذي يقوم على الطائفة التركية كفئة متميزة وجماعة محتكرة للسلطة، قد يكون في ممارستها للحكم ظلم وإجحاف لغالبية الجزائريين، فهذا الحاكم الفرد حسب علماء الاجتماع عادة ما يكون غير مستقر سياسيا مهما استعمل من وسائل القهر إلا إذا استمد سلطته من الميثاق الاجتماعي، بهذا كان الدايات يلجأون دوما للعطاء والشيوخ المرابطين والطرقيين لحل المشاكل العويصة، وامتداد نفوذ الدولة داخل البلاد يقاس بمدى نشاط هؤلاء.

2- أن السياسة العثمانية اتسمت بالمرونة والمحافظة على الوضع القديم بالولايات العثمانية عامة. كانت من بين أهم أسباب إقرار الحكم المحلي بالجزائر. فهؤلاء الحكام لم يتزلوا إلى المجتمع الجزائري، و لم يحاولوا تغييره وتطوير حياته على غرار ما كان يحدث في أوروبا فقد اكتفوا كما ورد على لسان الأستاذة جميلة معاشي "اكتفوا بالاعتماد على من كانوا يثقون فيهم من العناصر المحلية، وعلى رأسها الأسر ذات النفوذ السياسي أو الديني بالبلاد"[1] وقد كانت قوة هؤلاء الأسر الحاكمة مستمدة من شرعيتها وكان ولائها طوعي حتى تحافظ على نفوذها ومراتبها وفي هذا الإطار قام الحكام كذلك بتشجيع القبائل على الاستقرار التدريجي بضواحي المدن والقرى بإسناد مهام عسكرية واقتصادية لها، جعلت منها قبائل مخزنية هامة لعبت دورا كبيرا في حفظ الأمن وتثبيت الحكم العثماني بالبايلك لفترة تربو عن ثلاثة قرون.

وقد استعمل هؤلاء الحكام عدة وسائل للمحافظة على علاقة الوفاق التي ربطتهم بهذه القوى المحلية والواقع أن سكان الإيالة قد استفادوا من هذه السياسة خاصة من الناحية الاقتصادية حيث لم تكن الإدارة العثمانية تقيد نشاطاتهم، و لم تكن تدخلات الإدارة تتعدى عملية جباية الضرائب.

3- أما بأرياف الإيالة فسلطة شيوخ القبائل والأسر الحاكمة الجماعات الدينية، كانت شبه مطلقة حيث كانت القبائل لا تعترف بغير سلطة شيوخها، فسلطة الشيوخ إذن في المجتمع الجزائري

سبقت سلطة الحكام، فالشيوخ يمثلون السلطة الحقيقية والمباشرة و لم يكن اعترافهم بالسلطة العثمانية إلا اسميا، وقد ثبت ذلك مرارا في حالة عداء هؤلاء للسلطة المركزية، حيث كانت القبائل تستجيب لأي أمر يصدر إليها من شيوخها لضرب القوات العثمانية، وقد كان الصراع دائما يتمثل حول نقطة واحدة وهي الجباية والأموال وظلت القبيلة تتمتع بكامل خصائصها البنيوية الأصلية.

فسلطة هؤلاء إذن ليست بالقوة، وإنما عن طريق الولاء الروحي، الذي يكنه لهم لأهالي.كما فهم العثمانيين دور الزوايا فعملوا على استمالة شيوخ الطرق الصوفية والمرابطين، لكنهم لم يتمكنوا من استمالتها نهائيا إلى صفها، لما لعبه هؤلاء من دور فعال في تنظيم عدة ثورات ضد العثمانيين خاصة خلال القرن 19م

4- إلى جانب هذه السلطات، هناك العلماء وهؤلاء لم تكن لديهم سلطة سياسية منفصلة عن الحكم العثماني، فوجود كل من الإباضية في الجنوب والمالكية في الشمال، كانت إحدى الوسائل النافعة في الحفاظ على استمرار وحده التشعب في تكوين ضميره الجمعي، فقد كان لهم دور هام في تهدئة الأوضاع، بحسم الخلافات الواقعة في المجتمع، لكن مع هذا لم يستطيعوا تكوين قوة محلية ما عدا قوة بعض الأسر العلمية، التي فرضت على الحكام الاعتراف بهم كوسطاء، وكان دورهم يقتصر على تقديم بنود الطاعة والولاء عند تعيين كل باشا واكتفى معظمهم بنصيحة.

5- ومن أهم ما لاحظناه أن السلطة في المدن كانت قوية مقارنة مع السلطة في الريف الجزائري وذلك راجع –كما سبق تحليله- إلى قلة عدد السكان في المدن في تلك المرحلة، وغلى صعف استعداداتهم الفطرية للمقاومة العسكرية إضافة أن المدينة لا تتوفر على القوى الاجتماعية الثقافية الخاصة بالريف والمتمثلة في القبيلة والطرق الصوفية.

6- أن القوة التي فسرنا بها السلطة لا تكمن في القوة العسكرية فقط، فقد تكون قوة شخصية، قوة عصبية، أيضا امتلاك الفرد لقوى خارقة تمكنه من السيطرة على الأفراد بالولاء طواعية مثل المرابطين والطرقيين، ومن خلال دراستنا يمكننا الرد على القول الشائع أن الجزائريون أبدا لم يحكموا بلادهم فالاحداث التاريخية تؤكد اشتراك أطراف عديدة بحكم المجتمع و ليس للدخيل سوى التعامل مع هذه الأطراف

هذا وأملي أن أكون قد وفيت الموضوع بعض حقه ومهدت الطريق لمن يكون أكثر استعدادا لتناوله من مختلف جوانبه والذهاب في أعماقه وأبعاده تحليلا وتعليلا وتقصيا واستقراء.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملاحق

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
دار الفاروق للعلوم الإسلامية

الملحق 01:

شرح بعض المصطلحات التركية

الكلمة التركية	معناها
• آتابك (ata-bek)	لقب يطلق على الوزير.
• افندي (éfendy)	لقب يطلق من العامة على الفئة المتعلمة وليس له علاقة بالألقاب الإدارية العثمانية.
• أوطة باشي (Oda -Bachy)	حارس البوابة.
• ايا ليت (e'ialet)	إقليم، مقاطعة.
• آغا (agha)	قائد، معلم، السيد، الحاكم.
• أوجاق (éïâlet)	لها عدة معاني منها الموقد، المنزل، المقر، المشتى، الدولة، الانقلاب، العائلة، وقد أطلقت هذه اللفظ في إستا نبول على فرق الجيش، أما في الجزائر فاستعملت لثلاث أغراض هي الإيالة، الجيش العثماني، وقد تستعمل بمعنى أورتة أي وحدة من وحدات الجيش الإنكشاري.
• السبايهية (سباهي) :(sypahy)	تعني الرجل العسكري، وهي إحدى الفرق المشكلة للجيش العثماني (الفرسان).
• الفرمان (Fermân)	هو المرسوم أو القانون الذي يتضمن أوامر السلطان العثماني من خلع أو تولية.
• افرنج (efrendj)	كلمة تركية تطلق على الأوروبيين.
• الديوان (dîvân)	وهي كلمة تركية تعني التوصية، المجلس العسكري، المحكمة، السكرتير، المكتب الخاص برسائل الصدر الأعظم، لكن من الناحية الإدارية فهو مجلس عام يظم وزراء الدولة وكبار موظفيها، يجتمع في أوقات معينة لمعالجة القضايا الهامة التي تخص الدولة.
• باش (bach)	كلمة تركية لها عدة معاني يقصد بها غطاء الرأس ،ألم في الرأس،منبع،قمة، قائد.
• بركتلي(béréketli)	شخص يمثل البركة الإلهية التي تجلب السعادة والازدهار .
• خزنه دار(khazna dar)	كلمة تركية تطلق على الخزينة.

• وكيل الحرج	وتنقسم هذه الكلمة إلى شطرين يالي وتعني ساحل البحر أما وكيل فتعني ممثل، مندوب، نائب، نقيب بحري ،و منه تم إطلاق .هذه الكلمة على المشرف على شؤون البحر والعلاقات الخارجيه.
• خرج(khardj)	يقصد بها المصاريف، التكاليف،الضرائب، التي أقرت من طرف المحاكم بواسطة موظفي السجل المالي،ومنه يقصد بوكيل الحرج المشرف على الأمور المالية للإيالة.
• الخلعه (khula)	كلمة تركية لها عدة معاني يقصد بها الطلاق عن طريق التراضي ،خلع عن العرش، نزع، رفع ، زاد، قوّم، اقتلع.
• دونش (Deunuch)	العودة
• دولتلوأو دولتلي (devletli)	لقب أعطي للوزير السامي في الإدارة التركية.
• قائد (Gâyd)	لقب يطلق خاصة على رئيس العسكر.
• كتابجي(Kitabdjy)	صحاف، حافظ الكتب.
• مير ميران (mir-miran)	أمير الأمراء، قائد القواد.
• يكيـــچري (ïéni-tchéri)	وتطلق هذه الكلمة على الجيش الإنكشاري وتنقسم هذه الكلمة إلى قسمين يكي وتعني الجديد، وجري وتعني الجيش أي الجيش الجديد .
• يولداش (ïoldach)	و تعني الرفيق، الصديق، الزميل.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملحق 02:

التعريف بأشهر الفلاسفة:

اسم الفيلسوف	تعريفه
اريك فروم	ولد في مدينة فرانكفورت الألمانية سنة 1900م ودرس في جامعات متعددة، امتهن التدريس في معاهد مختلفة إلى جانب عمله كمحلل نفسي وأضطر للهجرة إلى و.م.أ عند وصول النازيين، طور خلالها طريقة عمله الخاصة في العلوم الإنسانية في محاولة فريدة من نوعها للجمع بين الفريدية والماركسية ،كما بدا مشروعا فلسفيا واضعا بدلك اللبنات الأولى لفلسفته الإنسانية التي نبهت إلى مخاطر المجتمع الصناعي الذي يقود إلى الاستهلاك الأعمى وتفكك القيم الأخلاقية والاجتماعية للمجتمعات وقد توفى بسويسرا سنة 1980م بعد نشر أهم كتاب له بعنوان (الوجود) أو (الامتلاك).
جان جاك رو سو	ولد في جنيف سنة 1712، كانت عائلة من أصل فرنسي، وقد وضع في مدرسة داخلية عند القسيس البروتستانتي (لامبرسيه) فكر بعدها أن يصبح قسا بروتستان لكن ذويه أرادوه أن يتعلم مهنة يدوية، فوضعوه عند النقاش لكن قسوة هذا الأخير نفرت جاك من تعلم المهنة وواصل تربيته العلمية والأدبية والفلسفية-لأن تربيته أثرت عليه فان والده مرنه على القراءة وهو لم يتجاوز ستة سنوات حتى أن روسو قال :"لقد عرفت الشعور قبل أن اعرف التفكير" من أهم مؤلفاته (هيلويز الجديدة) و(العقد الاجتماعي) و(إميل) ،هذا الكتاب جلب على صاحبه سخط المدنين والملحدين المسحيين والفلاسفة، لم تمضي 20 يوما من نشر كتاب إميل بهولندا حتى حكم عليه البرلمان الفرنسي بالحريق، هرب حينها روسو إلى سويسرا توفى سنة 1778م من تسمم في الدم ناتج عن مرض مزمن في المرارة ،ونقلت رفاته إلى الباتينون سنة 1794م.
دوركهايم	فيلسوف اجتماعي من كبار مؤسسي مدرسة علم الاجتماع في فرنسا ولد في مدينة إبنال(Epinal)في 15 أفريل 1808م من أسرة يهودية ضمت كثيرا من الأحبار الربانيين وتوفى في 15 نوفمبر 1917م في باريس بعد تخرجه من مدرسة المعلمين العليا، وحصوله على ليسانس فلسفة ،سافر إلى ألمانيا لاتمام دراسته بها، عين بعدها أستاذا بجامعة السربون بفرنسا حتى سنة وفاته.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عبد الرحمان ابن خلدون	(1312هـ -1406هـ) مؤرخ وفيلسوف اجتماعي عربي من أعلام زمانه في الإدارة والسياسة والقضاء والأدب والعلوم ،ولد في تونس وتوفى بالقاهرة، تولى أعمالا سياسية في فاس وغرناطة وتلمسان ولقي دسائس ووشايات توجه بعدها للمشرق واستقر في مصر وولى بها قضاء المالكية، ألّف في التاريخ فكان فيه مؤسسا ورائدا لعلم فلسفة التاريخ والاجتماع وذلك في مقدمته الشهيرة لكتاب العبر وقد أرسى فيها أسس علم الاجتماع .
فيبر ماكس	عالم اجتماع ومفكر سياسي ولد في إيرفورت سنة 1864م، وترعرع في ظل الحكم البسماركي،كان والده نابا في البرلمان الألماني، تتلمذ في جامعتي برلين وهايد لبرغ ودرس مادة الاقتصاد السياسي في جامعة فريبورغ، أوقف نشاطه التعليمي عام 1903م لأسباب صحية، وعاد واستأنف نشاطه بجامعة ميونيخ كأستاذ لعلم الاجتماع عام 1919م، وقد قدم فيبر مجموعة أعمال وبحوث نظرية هامة في ميدان علم الاجتماع السياسي، من مؤلفاته (العالم والسياسي)، (اقتصاد ومجتمع)، (البحث حول النظريةالعلمية)...الخ
مكيافيلي	مفكر سياسي ومؤرخ إطالي ولد سنة 1464،تربى تربية كلاسيكية ممتازة، وصار موظفا في حكومة فيرنتسه في سنة 1489 وهو في 29 من عمره عين مستشارا ثانيا وكاتبا للجنة الحربة والسلام، وفي اللجنة التنفيذية التي تعنى بشؤون الداخلية والخارجية والعسكرية، وبقي فيها 14عاما كلف أثناءها بمهام ديلوماسية طويلة جعلته يسافر إلى ألمانيا وفرنسا وسويسرا، وتحتوي رسائله وتقاريره عن هذه المهام الكثير من الأفكار التي أودعها مؤلفاته فيما بعد وتوفى سنة 1527م وقد عني بالسياسة عمليا ونظريا وكانت نظراته السياسية تتركز حول الحصول على السلطة (الحكم) والمحافظة عليها، من أشهر كتبه (الأمير) (مقالات)وقد كتبها من سنة 1513م 1521م.
محمد أبو الوليد ابن رشد	(1162م- 1189م) فيلسوف عربي ولد في قرطبة وتوفى في مراكش، درس الكلام والفقه والطب والرياضيات والفلك والفلسفة قدّمه ابن طفيل لأبي يوسف يعقوب خليفة الموحدين 1182 فعينه طبيبا له ثم قاضيا في قرطبة، وقد حاول التوفيق بين الشريعة والفلسفة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وقد اعتمدت في هذا الملحق على عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية،ج.4 . وعبد الرحمان بدوي ،موسوعة الفلسفة ،ج.1-2، واستعنت كذلك بالإنترنت على الموقع التالي:.W.W.W.ALWATAN.COM.وأيضا الموسوعة الفلسفية .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملحق03:

الخط البياني للتنظيم الاجتماعي الجزائري خلال العهد العثماني

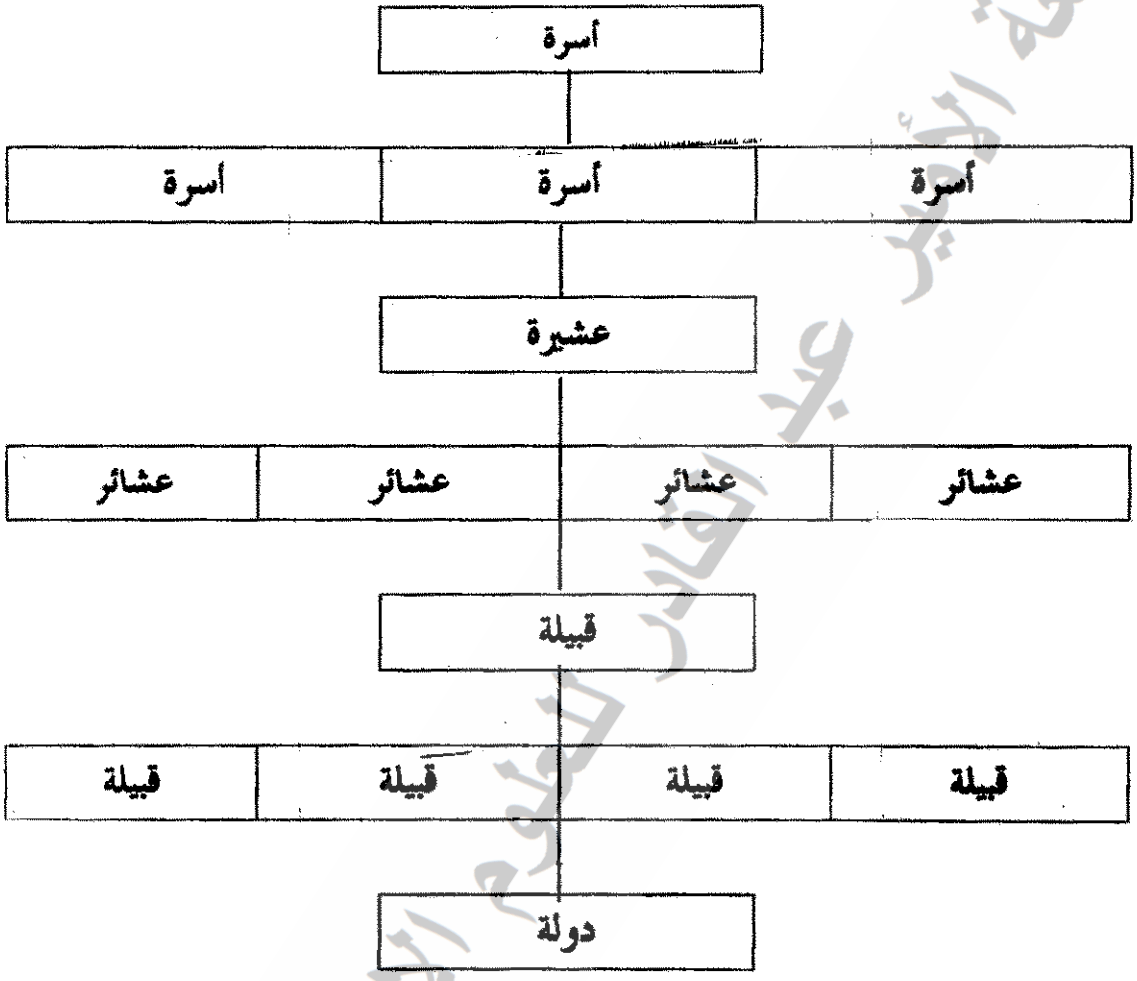

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إيالة الجزائر

مناطق نفوذ أهم الطرق الصوفية اواخر العهد العثماني

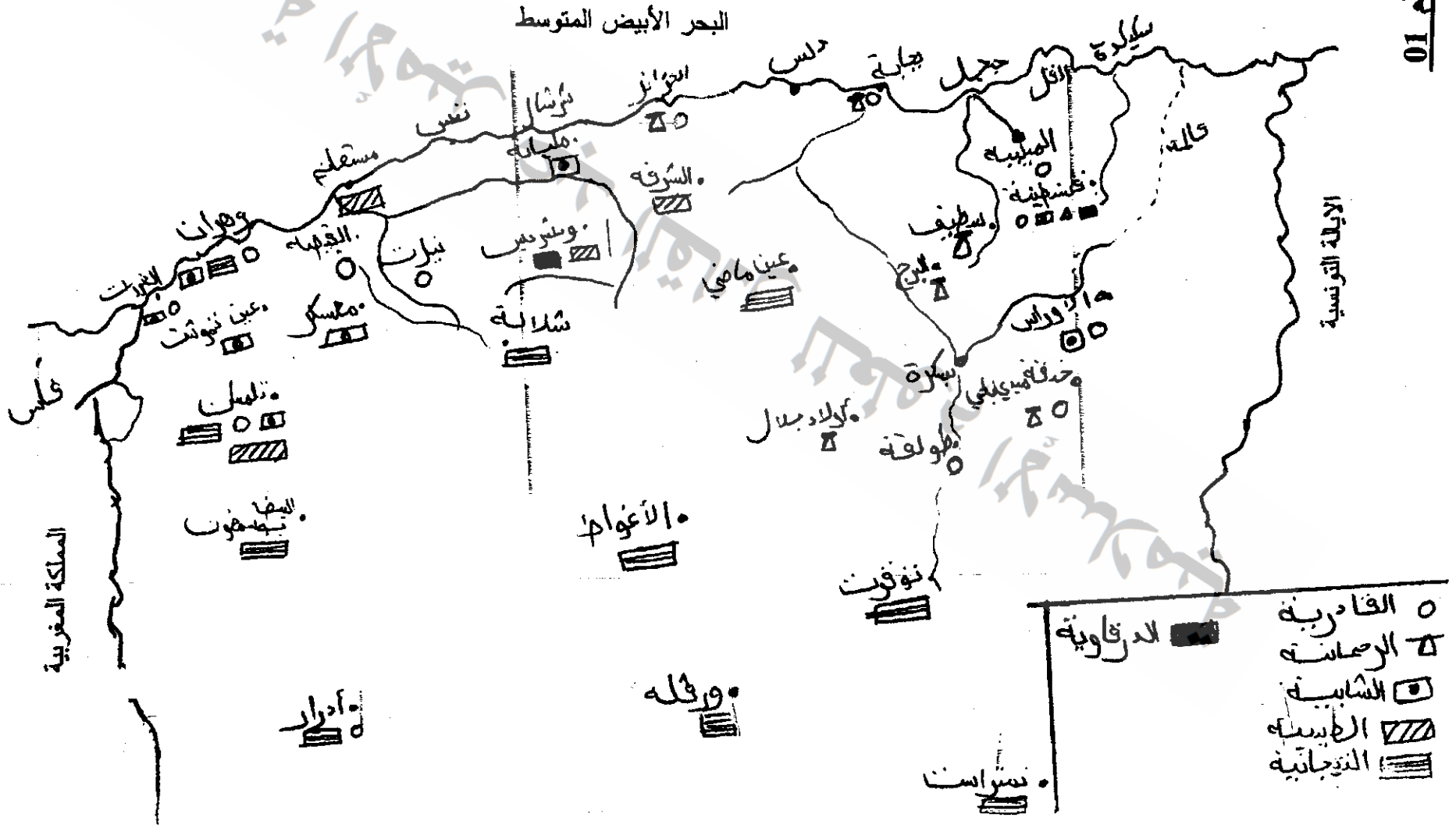

شكل: رقم 01

خريطة أهم المشائخ بالجزائر أواخر العهد العثماني

الشكل: 02 المشيخة في الجزائر أواخر العهد العثماني

الحدود السياسية للبايلكات الجزائرية العثمانية

الشكل 03: حدود البايلكات في الايالة الجزائرية خلال العهد العثماني

الفهارس

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا:فهرس الأعلام

العلم	الصفحة
أ	
إريك فروم	15، 16.
ابن خلدون	14، 27، 30، 31، 43، 100، 156، 189.
أحمد(باي قسنطينة)	24، 81، 84، 87.
أحمد بن بلعباس(مرابط)	41.
أبي مدين شعيب	44، 52، 81، 190.
أحمد شاوش القبائلي	164.
أحمد بن محمد مختار التيجاني	50، 51، 135، 136، 148.
أحمد بن الحسن بن محمود يوسف الملقب (أبو الدرقاوي)	52، 137.
أحمد بن مخلوف الشابي	53.
أحمد باي الفلي	86، 87، 122، 133.
أم هانئى	185.
أحمد بن عبد الرحمان (جد أولاد أمقران)	101.
أحمد المملوك	110.
أحمد بن صغيري الأخ الأصغر لبوعكاز	114.
أحمد بن يوسف الملياني (أبرز متصوفي الطريقة الشادلية)	132.
أحمد بو عكاز(المرابط)	134.
أحمد بن سالم التيجاني	145.
ابن حمادوش	160، 167.
ابراهيم بن علي	83، 91.
أحمد بن ناصر (شيخ الخنقة)	135.
أحمد شريف الزهار	23، 55، 65، 140، 173.
أبي حسن الشادلي تونسي	52.
ب	
بودان	15.
بن عيسى (المرابط)	111.
البهجة(في الجنوب)	130.
بمرة بن عبد المؤمن	147.
بوردیو	45.

ج

جروتيوس	15.
جعفر باي	82
جان وليام لابيار	16، 17.
جان جاك روسو	17، 41، 45، 64.
جوفيتل	19.

ح

حسين بوكمية (باي قسنطينة)	93.
حسن ابن محمد الورتلاني	78، 87، 166.
حسين باشا(حاكم تونس)	23، 24.
حمدان بن عثمان خوجة	25، 27، 34، 40، 63، 90، 145، 161.
الشيخ الحلوي	47.
حسن بن خير الذين	25، 65، 69.
الداي حسين	62، 85، 92، 95.
حامد بن عيسى	126.
حسن باشا(باي تلمسان)	11، 110، 128
حسن بو حنك(باي قسنطينة)	134 .
حسن قوصو	25.

خ

خالد بن نصر	103، 105، 111.
للا خديجة(في الشمال)	130 .
خالد السريري	90.

د

دوركايم	14، 16، 121.

ر

روبرت ماكيفر	19.
روجي كوتراني	20.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ش

شو	22، 23، 78، 104، 160.
شالر وليام	23، 33، 62، 78، 162، 171.
الداي شعبان	25، 65.
شاكر باي	82.

ص

صخري يعقوب بن علي	30، 191.
صالح باي	70، 81، 86، 91، 92، 101، 110، 125، 135، 136، 191.
صخري بن بو عكاز	90.

ع

عبد القادر الجيلاني	47، 49.
علي آغا (آخر الأغوات)	57.
عبد الرحمن الجمال	52، 81، 136، 190.
علي باشا (داي الجزائر)	65، 82، 114، 156، 163، 183، 191.
علي الغسال(الداي)	66، 67.
علي خوجة	67.
علجية بنت بو عزيز	93.
علي رضا أفندي	105.
عبد الرحمان الثعالبي	128، 193.
عبد الله العربي الدرقاوي	137، 144.
عثمان باي (باي قسنطينة)	89، 133.
عبد القادر بن شريف الدرقاوي	30، 52، 134، 140، 143.
عبد الله الزبوشي	163.
عبد الله بن غرارة (ابن ثلجون)	102.
عبد الكريم الفقون	111، 118، 163، 174، 184، 185، 190.

ف

فريدريك نيتشه(الألماني)	14، 16.
فرحات بن عمر الجلابي(شيخ بن جلاب)	110.

ك

الداي كردي عبدي باشا	64، 65، 66.

م

ميكيافيلي(الإيطالي)	14.

جمعية الأمير عبد القادر للثقافة الإسلامية

ماكس فيبر	15، 18، 20، 102.
مصطفى باي تونس	24.
محمد بن عبد الله الشريف (ابن الأحرش)	139.
محمد الكبير	25، 136، 147، 148، 163، 187، 188.
محمد بن عبد الرحمان القشتولي	49،50، 53، 117،158.
محمد باي قسنطينة	115.
مصطفى باشا (داي الجزائر)	65، 141، 144، 163، 165.
محمد بن سالم الحفناوي	50.
محمد بن عثمان(باي وهران)	67، 92، 93، 116، 117، 157، 187.
محمد بكير باشا	66.
مصطفى الوزناجي (باي التيطري)	83، 91.
مصطفى الوزناجي (باي قسنطينة)	111، 113، 183.
محمد أوقاسي	92
محمد بن صغيري بن بوعكاز	113.
مراد باي	113، 114.
محمد بن عباس(شيخ زاوية بني عباس)	122.
محمد الزواوي(محمد الغراب)	224.
المرابط الشيخ منصور	127.
مصطفى باشا(داي الجزائر)	132، 133.
محمد بن عثمان (أبو كابوس)	128، 135، 145، 146.
محمد بن يوسف السنوسي	193.
محمد بكداش	65، 154، 160، 162، 173، 183، 187.
محمد ابن العنابي	180.
محمد ساسي البوني(عالم عنابة)	185.
محمد عثمان	66، 93، 135.
مرابط بن عيسى	127.

ن

نوشي	22، 29.
لاله نسومر	130.

ي

يحيا آغا	92.
يوسف باشا (حاكم الجزائر)	110، 126، 135، 136، 185، 186.

ثانيا: فهرس الأماكن

الأماكن	الصفحة
أ	
أوجلان (قرب بغداد)	49.
أدرار	48، 50، 88، 91، 105.
الأوراس	48، 50، 53، 72، 81، 87، 88، 104، 106، 107، 109، 133، 165، 193.
الأغواط	51، 91، 92، 109.
أفلو	92.
أناضوليا	115.
آيت إسماعيل(قرية)	50، 117.
ب	
البحر المتوسط	23.
بجاية	28، 45، 82، 87، 88، 92.
با يلك الغرب	12، 23، 28، 36، 40، 67، 83، 89، 113.
بايلك الشرق	12، 18، 28، 37، 45، 67، 68، 82، 86، 89.
بايلك التيطري	66، 68، 89.
البرج (قرب طولقة)	50.
البليدة	67.
البرواقية	72.
بسكرة	87.
البابور	88.
بني مناصر	75.
بو سعادة	91.
بيبان	99، 105.
بو سمغون (قبائل)	51، 87، 146.
بغداد	48.
ت	
تطوان	23.
تلمسان	9، 21، 23،35، 43، 45، 48، 50، 51، 73، 74، 84، 87، 88، 145، 167.
تونس	23، 24، 50، 51، 52، 53، 58، 59، 63، 73، 102، 104، 107، 113، 114، 117.
توات(في الجنوب الجزائري)	23، 48، 50.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تيارت	48، 50.
تمنراست	48، 51.
تقرت	51، 108، 110.
تركيا	102.
تبسة	35، 86، 87، 102، 104، 107.
ج	
الجزائر	في معظم صفحات البحث
جيجل	86، 87، 133، 134، 136، 140، 141، 142.
جرجرة	49، 86، 87، 88.
الجلفة	91.
جبل مسيد	104.
جبل تليس	104.
جبال العمور	87، 92.
جبال درارا	23.
جميلة	107، 108.
خ	
خنقة	106، 107، 108، 109.
د	
دلس	67.
درعة(في المغرب)	132.
ر	
روماليا	115.
س	
السودان	50.
سطيف	32، 35، 50، 86، 89، 90، 133، 141.
سفوح الأطلس	67.
سكيكدة	141.
سوق هراس	35، 93، 102، 104.
ش	
شرشال	67.
ص	
الصحراء الكبرى	23.
ط	
طبرقة	87.

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ع	
عنابة	53،87،102، 104، 121، 130، 136.
عين ما ضي	51،50،138،137،92،87،146،145، 147، 148.
عين البيضاء	35، 107.
العلمة	116.
غ	
غريس(قرب معسكر)	132، 133، 134.
ف	
فاس	50، 51، 52، 112، 132، 136،135، 145، 146، 164.
فرجيوة	33، 86، 106، 107، 108.
ق	
القالة	23.
قسنطينة	في معظم صفحات البحث
القل	82، 87، 88.
ك	
الكاف(مدينة بتونس)	21.
م	
المغرب الأوسط	21، 134.
المغرب الأقصى	21، 22، 23، 134، 135، 158.
مستغانم	35.
الميلية	48، 50.
مصر	51، 132، 140.
المدية	67، 86.
مجانة	87.
مسيلة	48، 91، 108، 123.
المنعة	108.
ميلة	114.
ن	
نفطة(مدينة في الجنوب)	22.
و	
واد سراط	25.
واد ملوية	23، 26، 87، 104.
وهران	في معظم صفحات البحث
ورقلة(ورجلان)	51، 108، 109، 110.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وادي سوف	24، 51، 52، 53، 110.
الونشريس	87.
وادي الزيتون	81، 88.
وادي ريغ	109.
وادي الرمال	112.
وادي المعبد	134.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثالثا : فهرس القبائل و الجماعات و الهيئات

القبائل و الجماعات و الهيئات	الصفحة
أ	
عرب أنقاد	24.
آيت إسماعيل(ببلاد القبائل)	49، 50، 137، 159، 182.
قبيلة إمولة	110.
أولاد با لليل	133.
أولاد حداد	32، 35.
أولاد سنان	32، 35.
أولاد حمزة	32.
أولاد مقران	32، 35، 81، 83، 86، 108، 125.
أولاد عبد النور	35، 69، 89، 90، 115، 116.
أولاد علان(شرق البرواقية)	72.
أولاد شايب(جنوب الشلالة)	72.
أولاد بو عكاز (بالصحراء)	86، 107، 108، 109.
أولاد عاشور(بفرجيوة)	86، 107.
أولاد قاسم بلقاسم	86، 107، 108.
أولاد نايل	91، 92.
أولاد عيدون	141.
أولاد عبدي	108.
أولاد بلقاسم	32، 109.
أولاد بوعزيز	107.
أولاد ساولة	107
أولاد بوضياف	107
ب	
بني عباس	33، 35، 90، 91، 92.
بني عمران	27.
بني عامر	33، 35، 41، 113، 131، 138، 151
بني سيار	33، 113، 138.
بني خطاب	27، 31، 113، 138.
بني ميزاب	33، 90، 92، 109.
باغاي(مركز في منطقة الأوراس)	88.
بني سنوس	90.
بني زروال	52.
بني زواوة	90، 94، 125.
بني جناد	92.

بن قانة(قبيلة)	87، 100، 110.
قبائل بني جلاب	100، 109، 110.
قبائل بن عبيد	110.
الطريقة البكداشية	115.
بني توجين(أمراء تيهرت)	123.
بني ورتلان	158، 181.
ت	
التيجانية (الطريقة التيجانية)	47، 54، 129، 154،138.
ح	
الحنانشة (بسوق هراس)	24، 35، 91، 93، 101، 114، 185.
الحراكة(ناحية عين البيضاء)	35، 83، 87، 91، 106، 107.
قبيلة الحشم(جنوب معسكر)	91،138، 149.
الحنصالية	47، 138
خ	
الطريقة الخلوتية	47، 50، 51.
د	
الطريقة الدرقاوية	46، 47، 51، 53، 124، 131، 154.
نظام الدايات	63، 64.
ديوان عام	64.
ديوان خاص	64.
قبائل الدوابر	81، 90.
قبيلة الدواودة	35، 100، 107، 113، 185.
ر	
الطريقة الرحمانية	46، 47، 50، 54، 136، 138، 157.
ز	
قبائل زواوة	33، 35، 162.
قبائل الزناتة	35.
الزواتنة(قبيلة مخزنية)	76.
قبائل الزمول	33، 81، 100، 106.
الزاوية	117، 118، 121، 123، 126.
س	
قبائل سيدي عبيد	83، 90.
قبائل أولاد ساولة	91، 94، 107، 110.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ش	
الطريقة الشادلية	46، 132.
الطريقة الشابية	46، 52، 53.
ص	
قبائل صنهاجة	102.
ط	
الطرق الصوفية	في معظم صفحات البحث
ع	
هيئة العزابة	27.
قبائل العزل	72.
ف	
قبائل فليسة	33، 35، 90.
ق	
الطريقة القادرية	46، 54، 132، 133، 138.
م	
قبيلة مسيردة(تقع منطقة التل الساحلي)	23
قبيلة مازونة	28، 68.
قبائل المخزن	63، 71، 75، 76.
المكاحلية(قبيلة مخزنية)	76.
مجانة	87.
ن	
النمامشة	35، 82، 83، 87، 91، 106، 107.
و	
الحركة الوهابية	145.
ي	
قبائل اليعقوبية(جنوب معسكر)	76

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رابعا :فهرس المساجد و الزوايا

المساجد و الزوايا	الصفحة
أ	
زاوية أولاد مبحوث(في مشرية)	.148
زاوية أولاد الأكراد	.148
جامع الأزهر	.50
ب	
زاوية بني عباس(مول السبيل)	.118، 122، 130
ش	
زاوية الشليحي	.134
ص	
زاوية صدوق(ناحيةسطيف وقسنطينة)	.50
ع	
زاوية عين ماضي	.148
ق	
زاوية القيطنة	.133
زاوية قدور بن سليمان المستغانمي	.148
ك	
الجامع الكبير	.156، 160، 162

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المراجع باللغة العربية

1. إبراهيم تهامي، جهود علماء المغرب في الدفاع عن العقيدة أهل السنة، دار الرسالة، ط.1، 2002.
2. إبراهيم محمد الطلاوي، مزاب بلد كفاح، داتر البعث، قسنطينة 1970.
3. أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج. 2،دار الغرب الإسلامي.
4. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، (1500-1830)، دار الغرب الإسلامي، ط.1.
5. إحسان حقي، الجزائر العربية، منشورات المكتبي التجاري، بيروت، ط. 1، 1961.
6. أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، دار الكتاب، البليدة، ط. 2، 1832-1963.
7. أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، دار المعارف، الجزائر، 1963، ط. 2.
8. أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا، 1766-1791، الجزائر 1986
9. أحمد خشاب، التفكير الاجتماعي، دراسة تكاملية للنظرية الاجتماعية، دار النهضة العربية ،بيروت1981
10. أحمد كوران، السياسة العثمانية اتجاه الاحتلال الفرنسي (1827- 1847)، ط. 2، 1974، ترجمة عبد الجليل تميمي.
11. احميدة عميراوي، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني (مذكرات تيدنا أنموذجا)، دار الهدى 2003.
12. احميدة عميراوي، وصف رحلة من الجزائر إلى قسنطينة عبر الجبال 1832، المكتبة الجامعية غريان ليبيا، 2003.
13. إدريس خضير، التفكير الاجتماعي الخلدوني وعلاقته ببعض النظريات الاجتماعية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1983
14. ادوارد دونوفو، الإخوان، ترجمة كمال فيلالي، دراسة أنثو لوجية حول الجماعات الدينية عند مسلمي الجزائر ، دار الهد ى، قسنطينة.
15. إسماعيل علي سعد، في السياسة و المجتمع، المدخل إلى علم الاجتماع السياسي، دار النهضة العربية ، بيروت ،ط.1، 1989.
16. الجابري محمد عابد، العصبية والدولة، مركز دراسات الوحدة العربية، 1992، بيروت.

17. الفريد بيل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمه عن الفرنسية: عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1981.

18. أندري برنيان، أندري نوشي، إيف لاكوست، الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة اسطمبولي منصف عاشور، الجزائر، 1984م.

19. جان جاك روسو، العقد الاجتماعي، ترجمة دو فان قرقوط، دار القلم، بيروت-لبنان

20. جان وليام لابيار، السلطة السياسية، ترجمة إلياس حنا إلياس، ط. 3، منشورات عويدات بيروت 1983

21. جمال الدين القاسمي، الفتوى في الإسلام، تحقيق محمد عبد الحكيم القاضي، إشراف المكتب السلفي لتحقيق التراث، البليدة، الجزائر.

22. جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط، خلال القرنين 3-4 هـ/ الموافق ل9-10م، ديوان المطبوعات الجامعية.

23. حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته من قبل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، مجلد. 2، ج. 3، مكتبة العصر الحديث، لبنان، ط. 1.

24. حمو محمد عيسى النوري، نبذة من حياة المزابيين الدينية والسياسية والعلمية من سنة1505-1966م، دار الكروان باريس1984، ج. 1.

25. خليل أحمد خليل، الغرب والقيادة، ط. 1، دار الحداثة، بيروت1981

26. دي لاسي أوليري، الفكر العربي ومركزه في التاريخ، نقله للعربية وعلق عليه إسماعيل البيطار، دار الحتاب، لبنان.

27. رحيه كوتراني، السلطة والمجتمع والعمل السياسي من تاريخ الولاية العثمانية في بلاد الشام، مركز الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط. 1، 1988

28. رمزي النحار، الفلسفة العربية عبر التاريخ، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط.7، 1971.

29. روبرت ماكيفير، تكوين الدولة، ترجمة حسين صحب، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط. 1

30. سعد الدين إبراهيم، المجتمع والدولة في الوطن العربي، تحقيق غسان سلامة، عبد الباقي الهرماسي، ط. 2، بيروت، م. د. و. ع1996

31. شارل روبيرت أجرون، تاريخ الجزائر المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية ،ط.2، الجزائر 1982.

32. شكيب أرسلان، حاضر العالم الإسلامي، المجلد 2، دار الفكر، ط. 2، 1971.

33. عبد الجليل التميمي، الحياة الفكرية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، منشورات الدراسات والبحوث العثمانية و الموريسكية و التوثيق والمعلومات زغوان 1990.

34. عبد الجليل التميمي، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي (1816-1871)، ط.1، الدار التونسية للنشر، 1972.

35. عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج. 3، ديوان المطبوعات الجامعية، ط. 7، 1994.

36. عبد الله النقيرة ، انتشار الإسلام في إفريقية ومناهضة الغرب له، دار المريخ، ط.1، 1982.

37. عبد المجيد بن حمدة، المدارس الكلامية في إفريقية، مطبعة دار العرب، ط.1، تونس 1986.

38. علي أوميل، السلطة الثقافية والسياسية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط.1، 1969.

39. عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، دار الغرب الإسلامي، ط. 1، 1997 الجزائر.

40. عمر فروج، تاريخ الفكر العربي، دار العلم للملايين، بيروت 1960.

41. عميراوي احميدة، من الملتقيات التاريخية الجزائرية، مطبعة البعث، قسنطينة، 2000

42. عميراوي احميدة، فواصل من الفكر والتاريخ، دار البعث، 2002.

43. عميراوي حميدة، علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، دار البعث قسنطينة 2002

44. عميرواي احميده، بحوث تاريخية، دار البعث، قسنطينة 2001.

45. عميرواي حميدة، جوانب من السياسة الفرنسية وردود الفعل الوطنية في قطاع الشرق الجزائري، دار البعث، ط. 1

46. فرج محمود فرج، إقليم توات في القرن 18و19.

47. فيلالي الطاهر، نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني، دار الفن القرافيكي للطباعة والنشر، باتنة، ط. 1.

48. فيلالي مختار الطاهر، نشأة المرابطون والطرق الصوفية وأثرهما في جزائر خلال العهد العثماني، ط. 1، دار الفن، بيروت.

49. لوسي مير، الانتربولوجية الاجتماعية، ترجمة علياء شكري وآخر، دار المعرفة، مصر 1994- ليليا بن سالم، "المقاربة الانقسامية لمجتمعات المغرب الكبير"، حصيلة وتقسيم، ترجمة عبد الأحد السبتي، بحث نشر في مجموعة الانتربولوجيا والتاريخ، حالة المغرب العربي، دار توبقال، المغرب 1988

50. مبارك محمد الهيلالي الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، مكتبة النهضة الجزائرية 1964.

51. محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري.ش.و.ط.

52. محمد المهدي بن علي شعيب، أم الحواضر بين الماضي والحاضر، تاريخ مدينة قسنطينة، مطبعة البعث، 1980

53. محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، تحقيق محمود حقي،ط.2،دار اليقظة العربية 1964.

54. محمد عابد الجابري تكوين العقل العربي ،ج. 1، نقد العقل العربي، ط.2، دار الطليعة، بيروت 1985

55. محمد عابد الجابري، العصبية والدولة، معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، ط. 2، دار البيضاء، 1982

56. محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج.1، ط.1، المطبعة التعاونية، 1835-1965

57. محمد فاروق النبهان، المدخل للتشريع الإسلامي، ط. 2، وكالة المطبوعات الكويت 1981

58. مولاي بلحمسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ش، و،ط، 1979

59. مونتغي وات، الفكر السياسي الإسلامي، ترجمة صبحي حديدي.

60. ناصر الدين سعيدوني و المهدي بو عبدلي، الجزائر في التاريخ، وزارة الثقافة والسياحة.

61. ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط. 1،000ـ.

62. ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1830-1972)،ط.2،م.و.ط1985.

63. ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر "العهد العثماني"،م.و.ط. الجزائر. 1984.

64. ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، دار الغرب الإسلامي2000، ط.1.

65. ناصف النصّار، نحو مجتمع جديد، دار الطبعة، بيروت، ط. 4، 1981

66. نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، نشر كلية الآداب، قسنطينة، مطبعة البعث 1965.

67. هاملتون حبيب، دراسات في حاضرة الإسلام، ترجمة إحسان عباس وآخرون، دار العلم للملايين، بيروت،1964.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

68. يحي الهويدي، تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية، مكتبة النهضة، 1966

69. يحي بوعزيز ،أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ط.1، دار الغرب الإسلامي 1995.

70. يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، المطبوعات الوطنية الجزائرية، دار الطليعة، ط. 1، 1956.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المصادر باللغة العربية

1. ابن رشد، بداية المجتهد و نهاية المقتصد، تحقيق نخبة من العلماء، دار الشريعة 1989.

2. ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، المطبعة التونسية، ط.1.

3. ابن حوقل، أبو القاسم محمد علي البغدادي النصي 380ه/990ه، المسالك والممالك والمفاور والممالك المعروف صورة الأرض، بيروت، دار الحياة، دون تاريخ.

4. أبو الأعلى المودودي، الحكومة الإسلامية، ترجمة أحمد إدريس، ديوان المطبوعات الجامعية

5. أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق رابح بونار، ط.2، ش.و.ط، الجزائر، 1981.

6. أبو القاسم الزياني، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برا وبحرا(1734-1809م)، حققه عبد الكريم فيلالي.

7. أبو العباس خالد الناصري، الاستقصاء لأخبار دور المغرب الأقصى، تحقيق الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري، دار الكتاب، ط.1، 1956.

8. أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك، تحقيق أحمد بكير محمود، دار المكتبة الحياة، بيروت 1986.

9. أبي القلم محمد الحفناوي، تعريف رحال الخلف بالسلف، مطبعة بيرفونتانة، الجزائر.

10. أبي الحسن علي بن محمد بن حسن البصري البغدادي الماوردي، الأحكام السلطانية الولايات الدينية، بيروت ، دار الكتب العلمية1977.

11. أبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة الفقهاءبإشراف محمد حجي، ، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية1981، دار الغرب الإسلامي بيروت.

12. أحمد شريف الزهار، مذكرات نقيب أشراف الجزائر، تحقيق أحمد توفيق المدني، ش. و. ط، الجزائر، 1980

13. أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، مطبعة البعث، قسنطينة1973

14. أحمد مبارك الميلي، تاريخ حاضرة قسنطينة، تصحيح وتعليق نور الدين عبد القادر، الجزائر1952

15.أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، مذكرات، تحقيق محمد العربي الزبيري، ش.و.ط، 1977.

16.أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تحقيق ونشر محمد بن عبد الكريم، القاهرة، 1969م.

17.أحمد بن مبارك العطار، تاريخ قسنطينة، تحقيق رابح بونار

18.أحمد بن مريم التلمساني ، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق محمد بن أبي شنب ، المطبعة الثعالبية (1362هـ/1908م).

19.أحمد أبو العباسي بن أحمد الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق رابح بونار ،ط.2،الجزائر 1981.

20.أسير الداي كتكارت، مذكرات قنصل أمريكا في المغرب، ترجمها وعلق عليها إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر1982.

21.البغدادي، كتاب الفقيه والمتفقه، تحقيق عادل يوسف، ط.1، دار ابن الجوزي، الرياض، السعودية، 1996.

22.الحسين بن محمد الورتلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، المشهور بالرحلة الورتلانية، تحقيق محمد بن أبي شنب،ط.2، دار الكتاب العربي، بيروت1974

23. بن ميمون محمد الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تحقيق محمد بن عبد الكريم، ش. و. ط، ط. 1،1972.

24.بن عود المازري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر و إسبانيا وفرنسا أواخر القرن 19، تحقيق يحي بوعزيز، ج.1، دار الغرب الإسلامي ط.1.

25.حسن الوزان الفاسي، وصف شمال افريقيا، ترجمة عبد حجي ومحمد الأخضر،ط.2.دار الغرب الإسلامي، الرباط ش.و.ط.

26. حمدان خوجة، المرآة، تحقيق وتعليق محمد العربي الزبيري.

27. سيومون بفايفر، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تقديم وتعريب أبو العيد دودو، ش.و.ط. الجزائر1974.

28. صالح عنتري، مجاعات قسنطينة، تحقيق وتقديم رابح بونار، ش. و. ط، 1974.

29. عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، تحقيق علي عبد الواحد، دار الرائد العربي، بيروت، ط. 5، 1982.

30. عبد الرحمن ابن خلدون، العبر في ديوان المبتدأ والخبر والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط. 2، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1961 ، ج. 6.

31. عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تقديم وتعليق أبو القاسم سعد الله، ط.1، دار الغرب الإسلامي، 1987 بيروت.

32. عبد الرزاق بن حماد وش، لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، تقديم أبو القاسم سعد الله، م.و .ط، 1983.

33. عبد الله كنون، النبوغ المغربي، ط.1. بيروت1961.

34. عبد الوهاب منصور، قبائل المغرب العربي، جائزة المغرب، 1968، ج1، مطبعة الملكة، الرباط، 1968.

35. مالك بن أنس، المدونة، ج.1.

36. محمد بن عبد الكريم، حمدان بن عثمان خوجة الجزائري ومذكراته، دار الثقافة، بيروت–لبنان، ط. 1، 1972

37. محمد يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق المهدي بوعبدلي، ش. و ط، 1978م.

38. محمد صالح العنتري ، فريدة مؤنسة (في حال دخول الأتراك بلد قسنطينة واستلائهم على أوطانها، مراجعة وتعليق وتقديم يحي بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

39. محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج.1.

40. مسلم بن عبد القادر، أنيس الغريب والمسافر، تحقيق رابح بونار س.و.ط.1391ه/1974م.

41. وليام شالر، قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824)، تعريب وتعليق إسماعيل العربي.

قائمة الدوريات باللغة العربية

1. أبو القاسم سعد الله"مراسلات يوسف باشا إلى مرابط عنابة"، مجلة الثقافة، 1877 ،عدد51،
2. العيد مسعود," المرابطون والطرق الصوفية بالجزائر خلال العهد العثماني "، مجلة سيرتا، العدد 10، مجلة يصدرها معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، الجزائر 1988
3. المختار الهراس، " القبيلة والدورة العصبية قراءة في التحليل الخلدوني للمجتمع القروي المغاربي "، مجلة المستقبل العربي، عدد.98، أبريل 1987، مجلد.9، عدد.93
4. أوغسطين بيرلف "أسرى الألوهية"، مجلة البحر الأبيض المتوسط، عدد10، 1951
5. خالد زيادة، " السلطة المدنية من خلال وثائق المحكمة الشرعية"، المجلة التاريخية المغربية، العدد 39-40
6. عبد الإله بلقيز، " مقالة الدولة والسلطة والإيديولوجية"، مجلة المستقبل العربي، العدد 167
7. مولاي بلحميسي مقالة "الثورة على الأتراك، " مجلة الثقافة، العدد.48
8. ناصر الدين سعيدوني، "ثلاث رسائل تتعلق بأوضاع الجزائر قبيل الاحتلال"، مجلة التاريخ، الجزائر، العدد.7، 1979

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة الرسائل الجامعية

1. أحمد سيساوي ،فريدة مؤنسة (في حال دخول الترك قسنطينةو (في حال دخول الترك قسنطينة وإستلائهم على أوطانها وذكر شيء مستفاد من سيرة بايانها إلى انقضاء دولتهم و احتواء الفرنسيين على مملكتهم المشهورة با (تاريخ بايات قسنطينة)، بحث لنيل دبلوم الدراسات العمقةفي التاريخ الحديث، تحت إشراف العيد مسعود، 1979-1980.

2. جميلة معاشي، الأسر المحلية الحاكمة ببايلك الشرق الجزائري، من (10هـ/16م إلى القرن 13هـ/19م)، دراسة اجتماعية سياسية لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث، تحت إشراف حماد حسين، 1990-1991.

3. خليفة حماش، العلاقات الخارجية بين الجزائر والباب العالي من سنة (1798 إلى1830)، رسالة ماجستير، تحت إشراف خليل عبد الحميد عبدل الصال.1988.

4. رابح كعباش، النظم السياسية والتحولات الاجتماعية في الريف الجزائرية، رسالة دكتوراه الدولة في علم الاجتماع التنمية، تحت إشراف د. دليو فضيل، 1999-2000، جامعة منتوري.

5. صالح فركوس بنابلي، بايلك الغرب الجزائري في عهد الباي محمد الكبير(1779م- 1796 م)، دبلوم لنيل الدراسات المعمقة بمعهد العلوم الاجتماعية، تحت إشراف العيد مسعود سعيد، جامعة قسنطينة، 1979.

6. طاهر عمري، دور بنى المجتمع الجزائري في مقاومة الاستعمار، (1830-1900)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الأمير عبد القادر-قسنطينة 1989.

7. فاطمة الزهراء قشي، قسنطينة المدينة والمجتمع في النصف الأول من القرن 13هـ ومن أواخر القرن 18م إلى منتصف القرن19م، رسالة دكتوراه الدولة، التاريخ جامعة تونس الأولى 1998،

8. فرج محمد فرج، دكتوراه دواة في التاريخ، إقليم توات خلال القرنين 18 م و19 م، ديوان المطبوعات الجامعية، 1988.

9. فلة القشاعي، النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1771-1873م)، رسالة الدراسات المعمقة، تحت إشراف ناصر الدين سعيدوني، جامعة الجزائر، 1989-1990 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

10.ليلى عبد اللطيف، الإدارة في مصر في العهد العثماني، رسالةدكتوراه، كلية الآداب جامعة عين شمس، 1985 .

11.معاد عمران، أسرة بني حلاب في منطقة وادي ريغ خلال القرنين 19 و20م، دراسة سياسية واجتماعية، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، تحت إشراف فاطمة الزهراء قشي، 2002-2003، جامعة الأمير عبد القادر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

12.مكي حلول، مسألة الحدود بين الجزائر والمغرب رسالة ماجستير، تحت إشراف الدكتور مولاي بلحميسي، معهد التاريخ، جامعة الجزائر 1413هـ/1993م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

القواميس والموسوعات

1. ابن منظور، لسان العرب ، ط.1، دار صادر، بيروت، ج.4

2. أحمد الشناوي، دائرة المعارف الإسلامية، المجلد 9 ،بيروت، وزارة المعارف العمومية .ج15.

3. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الموسوعة العسكرية، ط. 3، بيروت1990

4. المعلم بطرس البستاني، كتاب دائرة المعارف، ج. 9

5. جيران كورنو، معجم المصطلحات القانونية، ترجمة منصور القاضي، ج. 2، بيروت 1998

6. عبد الفتاح مقلد الغنيمي، موسوعة المغرب العربي، مجلد 3، ج. 5-6، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي، القاهرة.

7. عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، تحرير ماجد نعمة، محمد بشير الكافي وأسعد رزوق وآخرون،ج. 3 .1990

8. محمد بن يعقوب الفيروز ابادي، القاموس المحيط، ج. 2، مجلد 3،ط.2 ،المطبعة الحديثة المصرية

9. محمد ثابت أفندي، دار المعارف الإسلامية ن مجلد9.

10. محمد رضا، معجم متن اللغة، مجلد 3،موسوعة لغوية حديثه، بيروت. دار مكتبة الحياة 1958. 5ج.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المصادر والمراجع باللغة الفرنسية

1. André Julien(CH) ,Histoire De l'Algérie Contemporaine, La Conquête Et Les Début De La Colonisation (1827-1871) , Presses Universitaires De France, Paris 1964.
2. Babes ‹Laila ‹Tribus Structure Sociale Et Pouvoir Politique De Constantine Sous Les Turque ,D.E.A,Fac. De Droit Et Des Sciences Politique ‹Aix-En-Provence,France1981.
3. Baudicourt, De La Guerre Et Gouvernement d'Alger, paris, sagnier Bray ‹ 1853.
4. Benachenhou,A L'ethat Algerien En 1830 ,Ses Institution Sou Lemir Abdel Kader. Sed.
5. Boyer Pierre, La Vie Quotidienne A Alger A La Veille De L'intervention Française, Paris. IMP, National 1964.
6. Carette Et Warnier, Description Et Division De l'Algérie,Hachette Paris , 1847.
7. Court Augustes, L'établissement Des Dynasties Des Chérifs Au Maroc Et Leur Rivalités Avec Les Turc De La Régence d'Alger (1509-1830) Paris , 1904.
8. D'Ajeghloul. la bibliothèque arabe Sindbad 1985.
9. D'hoson mouradja, tableau général de l'empire automan ,paris, imprimerie des monsieus .t.2. 1970.
10. Depont Et Copolani , Les Confréries Religieuse Musulmanes, Adolphe Jourdan Alger, 1897.
11. Ernest Mercier ‹Histoire De Constantine ‹Marlet Et Biron ,Constantine1903.
12. Esterhazy Walsin, Domination Turque Dans L'ancienne Régence d'Alger, Charle Gousslin, Paris ,1840.
13. Féraud ‹Le Sahara de Constantine notes et souvenirs ‹Adolphe jourdan ,libraire éditeur Alger,1881.
14. Hamden Khodja, Le Miroir, Aperçu Historique Et Statistique Sur La Régence D'Alger, Introduction D'A. Djeghloul. La Bibliothèque Arabe Sindbad 1985.
15. hanoteau et letourneux, la kabylie et les coutumes kabyle,T. 2,éditeur a challamel. Paris 1893.
16. Henri-Delmas(Degramont),Histoire D'alger Sous La Domination Turque(1515-1830),Presentation De Lamnouar Marouche ,Edition Bouchene2002.

17. J.Berque, ulimas fonalateur insurges du Maghreb XII Sindbad, paris1982.
18. Julien (ch), histoire de l'Afrique du nord, Tunis. Algérie. Maroc.
19. Louis Rinn, Le Royaume D'alger Sous Le Dernier Deys, , Alger, INT, Libraire 1900.
20. Louis Rinn, Marabouts Et Khouans,Jourdon,Alger1884.
21. Masqueray (E) ،Note Concernant Les Aoulad Daoud De Mont taures ،Alger ، Ajourdan ،1879.
22. Merad Boudia ،La Formation Social Algérienne Précoloniale ،Essai D'analyse Théorique Priface Mohamed Lakhdar ،Achevé D'imprimé Sur Les Presses De L'office Des Publication ،Hydra ،Alger.
23. Mercier Ernest , Histoire De Constantine,Marlet Et Biron,Constantine1903.
24. Mercier(Ernest) ،Histoire De L'Afrique Septentrionale Depuis Les Temps Les Plus Recul Jusqu'à La Conquête Française ,T.3, Paris, Le Roux1883.
25. Noushi (A) , Sur Le Féodalisme, Cahier Du C. E. R. M. Ed,Social,1974.
26. Pauyanne, la propriété foncière en Algérie , Jourdan, Alger1900.
27. Peyssonel, Et Desfontaines, Voyage Dans Les Régences De Tunis Et D`Alger.
28. Roudout, l'islam et les musulman d'aujourd'hui ,Paris1958.
29. Roudout, L'islam Et Les Musulman D'aujourd'hui, Vol1, Paris 1958.
30. Shaw. voyage dans plusieurs provinces de la Barbarie et du levant ,Traduit par Jean Neaume .T.1.
31. Valensi Lucette, Le Maghreb Avant La Prise d'Alger(1790-1830) , Flammarion, Paris , 1969.
32. Venture De Paradis, Alger au XIII siècle,édité par E. fagnons, Alger Typographie, Adolphe Jourdan Imprimeur Libraire Eduteur 1898.

قائمة الدوريات باللغة الفرنسية

1. Feraut (Ch) , "Note Historique Sur La Province De Constantine. Les Ben Djellab" , In R. A 1882.
2. Gabriel, "La Tribu De Msirda In R. A, 1927,
3. Ferdemann Et Aucapitaine," Notice Sur L'histoire Et L'administration Du Beylik De Titteri" In R. A, 1865.
4. Vayssette," Histoire Des Derniers Beys De Constantine", In R. A, 1863.
5. Féraud, "Les Harar Seigneur Des Hanancha, L'étude Histoire Sur La Province De Constantine", In R. A, 1874.
6. Vayssette," Histoire Des Derniers Beys De Constantine." In R.A ،1859.
7. -Féraud," Histoire De La Ville De La Province De Constantine Et Bordj Bouariridj ،" R.S.A.S ،1871-1872.
8. -Féraud" ،Notice sur Tebessa ،"R.A ،1874.
9. Féraud," Histoire De La Ville De La Province De Constantine Et Bordj Bouariridj", Recueille Des Notices Et Mémoire De La Société Archéologique De Constantine. 1871-1872.
10. Haedo" ، Topographie Et Histoire Générale D Alger Par Haedo ،"Traduise De L'espagnol Par Berberuger Et Monnereau,In R.A.1870.
11. Charle Féraud,"La Carasta Ou Exploitation Forestiere Turque ",In R.A ،1868.
12. Cour," Recherche Sur L'état De Confréries Religieuse Musulmanes",In R.A ،1921.
13. Robin,"(Note Sur Yahia Agha " ،In R.A ،1874.
14. Nadir (A) ،« Les Ordres Religieux Et La Conquête Française ،(1830-1851) » Revue Algérienne Des Scices Judiriques Economiques Et Politiques ،Vol IX ،Décembre ، 1972

15. Boyer (Pierre)," Histoire De Beni Amer D`Oranie Des Origines Ou Senatus Consult" In R.O.M.M. 1977.

16. Charles Féraud,"Un Veux d' Husein Bey",IN R.A ،1863.

17. devoulx albert" ،les défice religieux de l' ancien Alger ،"R.A ،1867.

18. Stambouli Fredj,Et Zghal(A)" ،La Vie Urbaine Dans Le Maghreb Précolonial",Ville Et Société Au Maghreb ،Aix EN PROVENCE ,GRESM1973 ،In A.A.N,N11 ،1972.

19. Gaillisot "R" ," Abdelkader Et La Nationalité Algérienne ،"In R.H 1965.

20. Ben Chaneb" ،Un Contrat De Mariage Algéroise ،Le Début De XIII Siècle" ,In A.I.E.O ،T..13 ،1955.

21. El – Mahdi El Bouabdli," Le Chik Mohamed El Kharoubi ،"In R.A ،1956.

22. Renseignement Sur L'organisation Et L'administration De La Province De Constantine Avant La Prise De La Ville Par L'armée Française ،In A.M.G ،1840.

23. Bodin(Marcel),"La Brève Chronique Du Bey Hasan" , Extrait Et Trad De La Taliat Assad Is So'oud De Mazari,In B. S. G. A. O,T. 44,1924.

24. Boyer," L'evolution De L'algerie Médiane" C.R Par Le Tourneau , In R.A, 1960.

25. Yacono,"Peut-On Evaluer La Population De L`Algérie Vers 1830" .In R. A 1954.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الموضوعات

مقدمة..... 1

الفصل الأول: السلطة والمجتمع في الجزائر

أولا: مفهوم السلطة وأشكالها..... 11
ثانيا:مجال السيادة في الجزائر..... 22
ثالثا: المجتمع الجزائري أواخر العهد العثماني..... 26
رابعا: الحياة الروحية في الجزائر..... 40
خاتمة..... 55

الفصل الثاني: نظام حكم الدايات

أولا: الإدارة العثمانية في الجزائر..... 58
ثانيا: أثر الضرائب في الحياة الاجتماعية الجزائرية..... 73
ثالثا: أثر القضاء في المجتمع الجزائري..... 76
رابعا: سياسة الحكام ونفوذهم داخل المجتمع الجزائري..... 79
خامسا: موقف المجتمع الجزائري من الحكام..... 89
خاتمة..... 95

الفصل الثالث: سلطة شيوخ القبائل

أولا: أهمية المشيخة في المجتمع الجزائري..... 99
ثانيا: نفوذ ومهام شيوخ القبائل..... 102
ثالثا: أشهر المشيخات في الجزائر..... 107
رابعا: علاقة الحكام بالشيوخ..... 111
خاتمة..... 115

الفصل الرابع: السلطة الروحية

أولا: موقع كل من المرابط والطرقي..... 119
ثانيا: السلطة والولاء للمرابطين والطرقيين في المجتمع..... 125
ثالثا: علاقة المرابطين والطرقيين بالسلطة المركزية..... 132
خاتمة..... 153

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا: واقع العلم والعلماء..... 157
ثانيا: كيفية ممارسة العلماء لسلطتهم..... 168
ثالثا: السلطة بين الحكام و العلماء..... 182
خاتمة..... 195

خاتمة الموضوع..... 197
الملاحق..... 201
فهرس الأعلام..... 215
فهرس الأماكن..... 219
فهرس القبائل والجماعات والهيئات..... 223
فهرس المساجد والزوايا..... 226
مصادر ومراجع 227

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية